

مصطفى محمود

www.TipsClub.com

اعترافات عشاق



دارالمعارف

هذا الكتاب من تأليف الآخرين وليس من
تألفي.

لقد تركت مقعد المتكلم واكتفيت بأن أكون
مستمعاً وأعطيت الميكروفون لكل من يريد أن يطلق
ضحكة أو يسكب دمعة أو يصرخ صرخة.. واكتفيت
بالتعليق.

هنا لقاء طويل تلتقون فيه بكل من عشق وأحب
وتألم.

تلتقون بأنفسكم.. برسائلكم.. وأوراقكم
وحروركم.

هذا كتاب منكم ولكم.

فيه جيلكم الشاب بأسراره وجروحه وأمراضه
ومباهجه وأحزانه وأفراحه.. وكل شيء فيه.. حتى
تفاهاته.. هو أرشيف صادق لخطاباتكم.

وأغلب ما فيه منقول بالنص من الخطابات
الأصلية، لم أتدخل بقلمى إلا للمجرد صياغة عبارة أو
استبدال كلمة بكلمة تعبر أكثر عما يريد أن يقوله

المتكلم.. وتجنببت النصح وإلقاء المواعظ، وتحاشيت
فرض الحلول، وآثرت تحليل المشاكل وتعميق
جوانبها وإلقاء الضوء عليها.. مجرد إلقاء الضوء..
ليصبح صاحب المشكلة أقدر على فهم مشكلته وفهم
نفسه.. وبالتالي أقدر على الاختيار.

وأحياناً يكون مجرد الاعتراف والإفشاء
والمصارحة والمكاشفة.. ولو على الورق.. ولو لإنسان
لا نراه ولا نعرفه.. أحياناً يكون مثل هذا الإفشاء
وإفراغ مكنون القلب، راحة وحلا. ولحظة صراحة
من النفس قد تشفى من داء عضال، تعجز كل الحيل
عن مداواته.

إن كتابة رسالة ليس أبداً أمراً صبيانياً.. فالكلمة
شئ ساحر.. وحينما تتجمع عواطفنا الحبيسة، لتخرج
في كلمة على الورق.. فإن سحابة من الراحة تلفنا..
وكأنما انزاحت عن كاهلنا أعباء العالم كله.

ولا أحب أن أطيل.

وأفضل.. أن أقدم لكم.. أنفسكم.

مصطفى محمود

البنات والمرأة

١٩ سنة مدللة دلوعة متهشكة على الآخر مع أنها السادسة
على خمس أخوات كلهن تزوجن وهى الباقية.

بعد ست سنوات تعليم ابتدائي وثلاث أخرى في الثانوى
تكتب اسمها بصعوبة ولا تفتح مجلة ولا تقرأ كتاباً وطول وقتها
أمام المرأة تسبب شعرها وترفعه وتضفره وتعقسه وتفكه وتربطه
وتحله.. إلخ.. إلخ.. إلخ.

وبعد الشعر يبدأ دور الحواجب.. والملقاط.. تنتف شعرة شعرة
في صبر مقرز حتى يصبح وجهها مثل وجه قرد مسلوخ.
ثم الأظافر الطويلة والطلاء بالمانيكير الأحمر الدامى ثم
البودرة والروج والريميل.

ثم تحزق الفستان، ونقل الحزام من مكان إلى مكان، ورفع
السوتيان وتقصير الحمالات وتطويل الحمالات إلخ.. إلخ.. إلخ.
هذا غير يوم الحلاوة.. وما أدراك ما الحلاوة.

والفستان غايته شهرين.. ثم يلقي في قاع الدولاب ويبدأ
الحناق على فستان جديد.

وأنا الأخ الغلبان طالب الجامعة إذا طلبت بدلة فتح الأب
المحترم جاعورته وراح يتصايح ويلقى درساً في أصول الكفاح،
وكيف أن العباقرة كانوا في أيام تلمذتهم يلبسون خيشاً ويذاكرون
على شمعة أو لمبة جاز.

وأعود إلى الست الهانم الأخت.

وهي حرة تلبس وتدهن وتلمع وتورنش وتستعمل الملقاط
والكماشة كما تشاء.. ما دامت تؤدي واجب البيت وتعطيه حقه.
أما أن يكون البيت زريبة والغرفات قذرة لا تعرف المكنسة
والعنكبوت مدلى من الأركان والبوق سارح على الفرش والأطباق
قذرة والأكواب مدهنة ورائحة البيت تفوح كريهة لحظة أن يفتح
الباب وكأن مقبرة فتحت فإنها مصيبة.

والمصيبة الأكبر أن الهانم نفسها لا تستحم.. لا تدخل الحمام
إلا في المواسم والأعياد.

الكسل.. الكسل.. الكسل.

كسلانة لدرجة الموت وكان الكسل صفة هوانى وخاصة من
خواص الأنوثة.. تزيد من فتنها وجاذبيتها.

وهي لا تنشط إلا في الرغى والتلقيح على الناس، وصوتها
مرتفع مسرع مزعج من رأس الشارع.. وكلامها كله لت وعجن
واللى تقوله تعيده.

كثيرة الأكل وفمها لا يخلوا أبداً من شىء.. لب وسودانى..
حمص.. كرملة.. جيلاتى.. سميط.. مفتقة.. عجة.. سد الحنك..
حلاوة طحينية.

وهي تفتح الثلاجة وتأكل.. لا تسأل لمن الطبق المغطى وإنما
تكشفه وتنهشه، فإذا كلمها أحد راحت تنهشه هو الآخر بلسانها
السليط.. وعندها لسان منشار تدخل به في الكلام في كل موضوع
وعاملة نفسها «أبو العريف» وتبالغ وتوقع بين الجيران وتوقع
نفسها وتوقعنا في مشاكل لا آخر لها.

فإذا حاولت أن أنصحها وأصلح من اعوجاجها قامت القيامة
وهبت الأم (٥٥ سنة على نيتها ومدروشة) وراحت تصرخ.. إنت
حاتكون السبب في أنها تطفش زى ما طفشت فلانة وعلانة..
يا ميلة بختى.. يا دهوتى.. يا حوستى.. يا مصيبتى.

وطبعاً الهانم تسمع الكلام ده تتمرع أكثر وأكثر، والنتيجة أنها
تدخل وتخرج على كيفها وتسهر على كيفها.

وسمعتنا في الشارع زفت..

كل الناس يتكلمون علينا..

وأنا إذا فتحت فمى انطلقت تصرخ في وجهى... يا خايب
يا نايب.. يا ساقط.. يا ضايح.. يا صايح.. اجري شوف لك كلمة
ذاكرها.. اجري اتشطر على كتاب تقراه.

وأنا فعلا ساقط.. بدل السنة سنتين.. وربما أسقط هذه السنة أيضا.

ولكن هي السبب.

فكيف يمكن أن أذاكر في زريبة.

وكيف أفتح كتاباً في مولد لا ينفذ.

أصبحت سريع الغضب ضعيف الذاكرة بسبب الحياة في نرفزة متواصلة.

ولا أمل.. الأم مدروشة.. والأب هتلى.

ولا أحد يريد أن يتفاهم.

وكل ما تفعله البنت سكر.

وكل ما يقوله الولد خايب مثله.

والأب يقول لى بالفم المليان.. إنت آخرتك حاتطلع حرامى شحات صايح مش نافع.. كل زمايلك فى كلية الحقوق تخرجوا. وأنت قاعد زى المرأة المطلقة.

- طيب وهى حاتطلع إيه فهمونى؟

- إنت مالبك يا أخى هى آخرتها حايجيلها عريسها وتنكش من على قفانا.. انما أنت راجل.

- نفسى أبقى راجل.. نفسى تخلونى مرة راجل قدامها.

- إحنا إالى حانخليك راجل.. فيه راجل طول بعرض

يسقط كل سنة زى الرطل.. إنت إالى حمار.. حانعملك إيه.. كلام.. كلام زى الدبش. زى السكاكين. زى السم.

وأنا أعيش فى ارتباك.

أختى قتلتنى.

نفسيتى تحطمت بسببها.

تخلفت فى كل شىء بسببها.

ولا حل أمامى.

المعذب م. م

أنا أفهم أن أختك بنت صايعة وضايعة فعلا.

ولكن لا أفهم كيف تكون هى المسئولة عن خيبتك.

وكيف تلقى على أكتافها مسئولية فشلك.

والرجولة معناها أن تكون مسئولاً أولاً وأخيراً عن أفعالك

وآلاً تقول رسبت فى الامتحان لأن أختى فعلت، لأن أختى

لبست.. لأن أختى قلعت.. أنت لم تخلق هذا العالم لتفرض على

الآخرين شروطك.. قوم نفسك أولاً لتكون قدوة للآخرين قبل

أن تطلب منهم أن يكونوا على مثالك.

ويمكنك أن تبدأ بأن تكنس غرفتك بيدك.. وتغسل أطباقك

بيدك.. وتنظف فراشك بيدك.

إن الزريبة زريبة لأنك لا تفكر بأن تمد يدك. بأى مساهمة في
تنظيفها.

وأختك قدرة.. هذا صحيح.

ولكنك لا تفعل أى شىء لتكون نظيفاً.

إن ما تفعله أختك لا يسقط عنك المسؤولية إلا إذا كنت أنت
الآخر صفرًا.. بلا إرادة وبلا عقل وبلا يدين.. كل دورك في
الحياة أن تنتظر ما تفعله الأخت.

وبالمعنى الواسع نحن لنا إخوة في الإنسانية قتلة وسفاحون
ولصوص، وبائعو مخدرات وهاتكو أعراض.. فهل نتخذ من هؤلاء
الإخوة عذرًا لنلقى المسؤولية عن أكتافنا ونقول رسبنا وفشلنا
بسبب هؤلاء الإخوة.

وأختك نموذج ردىء بلا شك ولكنها نموذج شائع جدًا، وكثير
من البنات مثلها لا هم لهن إلا الثوب والمرآة والمشط وانتظار
العريس فهل معنى هذا أن نصاب جميعًا بالعقم والفشل.

لن تكون رجلا إلا في اللحظة التي تتصرف فيها باستقلال
كامل عما تفعله أختك وتعثر على شخصيتك الخاصة، وتصنع
مصيرك كما تريد أنت لا كما تتخيلك الهانم وأمها.

الكلب

عمرى ٢٠ سنة وابن أكابر ومن عائلة غنية وشكلى وسيم
كما يقول جميع الأصدقاء..

ساقط في الثانوية العامة للمرة الثانية.. لم أجد حلاً لهذا
السقوط المتكرر سوى الهرب من وجه الأهل والأقارب ومن
كلمة «ياساقط» طفشت من البيت وأنا مصمم على عدم العودة.

فكرت أن ألتحق بأى عمل وأعتمد على نفسى وأكسب قوتى
وأدخل امتحان هذا العام وأذاكر وأجتهد ولا أعود إلى البيت
إلا ناجحًا.

كان الشىء الوحيد الذى أجيده هو قيادة السيارات.
وعن طريق صديق لى عملت سائقًا لدى عائلة مكونة من
رجل يكاد يكون «أهبل» ويمكن «بيستهبل» وكان من
الإقطاعيين وسنه فوق ٥٥ سنة وزوجة شابة عمرها حوالى ٣٥
سنة.

كنت على استعداد أن أقبل أى عمل بأى مرتب وحتى بدون

مرتب مقابل المأكل والمسكن فقط، ولكنهم أكرموني وأعظوني
ستين جنيهاً كل شهر، وغرفة صغيرة جميلة في حديقة الفيلا (هى
في الواقع قصر) وأكثر من هذا كانت هناك خادمة تأتيني كل يوم
بطعام جيد مرسل إلى من الفيلا.

كنت في غاية السعادة في عمل جميل وعندى فرصة للمذاكرة
وفي جيبى مبلغ اعتبرته ثروة ومصروف سخى يأتيني كل شهر.
وكانت السيدة صاحبة ذلك القصر تطلب منى أن أخرج لها
السيارة كل يوم لتعرفنى بالأماكن التى يذهبون إليها فكنت أقود
السيارة وتجلس هى خلفى وتظل طوال الطريق تسألنى.. إنت ابن
مين.. وليه سبت أهلك، وإيه نوع دراستك.. وباختصار عرفت
عنى كل شىء.

كانت لا تتحدث معى إلا بالإنجليزية بعد أن عرفت أننى
أجيدها.

إلى هنا وأنا أعامل كل من فى المنزل سواء أصحابه أو الخدم
بكل احترام وأدب.

ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة، فالزوجة تستغل سفر زوجها
(وهو دائم السفر) لتخترع أى مشاوير وتطلب السيارة وأنا
بالطبع معها، أكثر من هذا كانت تطلب السيارة للخروج، وعندما
أسألها على فىن تقول لى.. أنا عايزة أتفسح.. لف بالعربية كده قد
ساعة وارجع تانى.

كان المفروض أن أشك فى الموضوع ولكنى كنت أقول إن
بعض الظن إثم.. إلى أن كانت ليلة كنت جالساً فى حديقة الفيلا
ألاعب الكلب فخرجت هى من بلكونة غرفتها ونادتنى فصعدت
إليها.. التقيت بها فى صالة الفيلا.. كانت تمسح عينيها وتقول إنها
تعبانه ومش لاقية حد يجيبها كباية الميه تأخذ قرص الدوا (برغم
أن المنزل مليء بالخادومات) فنزلت إلى الدور الأول وأحضرت لها
كوب الماء وصعدت فلم أجدها فى الصالة.. وسمعتها تناديني من
غرفة داخلية وتدعونى للدخول.

كانت نائمة على السرير بغرفة النوم فى قميص نوم شفاف.

وقفت متردداً على الباب.

شجعتنى بإشارة من يدها.

لاحظت أنها لا تلبس شيئاً تحت القميص الشفاف.

ومن هذه الليلة تطورت علاقتنا زادت مرتبى عشرين جنيهاً
وعرضت على أن تحضر لى مدرسين لمعاونتى فى دراستى، وأصبحت
تغازلنى علناً مظهرة إعجابها بلون عيني وجمال شعري أمام زوجها
الذى كنت أشك فى رجولته، لأنه لم يكن يعبأ بكل هذا الذى
تقوله زوجته.

كل هذا ياسيدى وأنا سارقانى السكينة زى المثل ما بيقول،
إلى أن كانت ليلة فظيعة حاولت فيها أن أثور عليها وعلى
العبودية والخضوع الذليل الذى وصلت إليه وقمت لأخرج من

غرفتها فقامت هي وسدت الباب بجسمها وهددتني إذا حاولت الخروج أن تصرخ وتجمع حولنا الجيران والخدم وتدعى أني كنت أحاول أن أتهجم عليها في غرفة نومها في أثناء سفر زوجها.. عندئذ وفي تلك اللحظة فقط أفقت من سكرتي وعرفت أي ورطة وأي مصيبة وضعت نفسي فيها.

ولا تتصور ياسيدي كيف دارت بي الدنيا وكيف أصبحت خادماً لها أسيراً لرغباتها على كره ونفور مني. وقد تقول لي وماذا يكرهك على البقاء في خدمتها.. لماذا لا تترك البيت وترحل، والإجابة أنها تهددني إذا تركت خدمتها أن تعلق لي تهمة سرقة (والمنزل به نقود سائلة تصل أحياناً إلى عشرة آلاف جنيه عدا المجوهرات). أصبح فكري مشتتاً وانقطعت عن المذاكرة.

أصبحت تسلط على الخادmates وتهددني بأن تبلغ البك بأنى أغازهن وتلوح بأنها سوف تطلب البوليس، وسوف تطلب الكشف على الخادمة.. وسوف تزوجها لي بالإكراه إذا اتضح بالكشف أنى أفسدتها..

وهكذا أصبحت في دوامة من التهديدات.. وأصبحت كالكلب المربوط بالسلاسل عند قدمى سيده.. لا سبيل له إلى فكاه. أفكر فى الانتحار أو قتلها لأتخلص من المأزق الذى وضعت نفسى فيه.

كيف أنجو من هذا الفخ.

لا تشتمنى فأنا مش ناقص.

حاول أن تدلنى على طريقة أنقذ بها نفسى ومستقبلى.. ولك شكرى..

يبدو لى خطابك كأنه «حلم يقظة» من فبركة خيال تلميذ ساقط خيبان يحلم بأنه أصبح معشوق امرأة مليونيرة، وأنه أصبح يتمرغ فى فلوسها وفى أحضانها على كره منه وعلى نفور واشمئزاز، وكالعادة يتصور أنه ضحية.. ضحية الست.. كما كان ضحية المدرسين الذين اضطهدوه وسقطوه.. وإنه ابن الأكاير المجنى عليه.

والواقع أنه لا امرأة هناك ولا فلوس.. ولا عاشق ولا معشوق.. ولا خدم ولا حشم.. وكل ما هناك هو الخيال المريض الذى يبني القصور والفيلات فى الهواء.. ويصور لنفسه اللذات القريبة المنال وهو يرفضها وهى تطارده، وهو ينفر منها وهى تجزى وراءه وتحاصره.. وهو فى النهاية معذور مسكين غلبان يتأرف هذه اللذات تحت التهديد.

مسكين يعمل إيه.. مضطر لهذه اللذات المقرفة.

لا أقول إن مثل هذه الحكايات لا تحدث..

إنها يمكن أن تحدث..

وهي عادة تحدث بكثرة في الأفلام المصرية.
وهي تحدث دائماً في خيال المراهقين الذين يعيشون في انطواء
ووحدة وسوداوية تحت وطأة العادة السرية والعزلة والفشل
والسقوط في حياة الواقع.

وهي الغذاء الرئيسي لأحلام الفقراء.

وقد تحدث في الواقع فتعتبر نادرة تروى..
ممكن..

ولكن إذا وقعت فحلها يكون سهلاً جداً لا يحتاج إلى كل
هذه التشنجات.. فيمكنك أن تترك الخدمة التي لا تعجبك.. دون
أى خوف، فلن تتقدم الست بأى شكوى من أى نوع.. فمثل
هذه المرأة تكون جبانة جداً.. فهي سيدة مجتمع ولا يمكن أن
تجلب لنفسها فضيحة للاحتفاظ بهلفوت مثلك، وهي يمكن أن
توظف غيرك في هذه الوظيفة المغرية، ولو أعلنت عن طلب
سائق لجاءها ألف، ولأمكن لها أن تنتقى ما تشاء أجمل وأرشق من
سيادتك.. والمصابات بالشذوذ من أمثالها يعتمدون على خدمات
الكلاب لا على السواقين إلى زيك.

ولا أفهم كيف تكون ابن أكابر ومن عائلة غنية وتصف
«غرفة السائق» في الفيلا على أنها قصر.. أن هذا خيال رجل
فقير كحيان مش لاقى يأكل يبيت في غرفة. خدم فيتصور أنها

قصر لأن عمره ما شاف سرير.

ومثل هذه المرأة إلى في بيتها نقود سائلة أكثر من عشرة
آلاف جنيه غير المجوهرات وعندها هذه العربة الفاخرة، وسنها
٣٥ وجميلة، مثل هذه المرأة تكون مشتركة في عدة نواد ولها أكثر
من معجب وأكثر من صديق.. ولا يمكن أن تكون مقطوعة
ومتفرغة لواحد ساقط بكالوريا زيك أمثاله بالمئات على نواصي
عماد الدين.. وكلهم بشعر مسبب وعيون عسلى.. وما أكثر
وأرخص هذه البضاعة وما أوفرها في مجتمعنا، والعشرة بصاغ
يالمن.. والمسألة مش محتاجة لكل هذا الحصار وتعب القلب.

يا صديقى.. إنت بتحلم.

والحل بسيط جداً.. أن تفوق إلى نفسك وتبطل سرح وتفتح
كتاب الإنجليزى وتقرأ لك كلمتين ينفعوك بدل ما تحلم أنك
بتكلم صاحبك بالإنجليزى بطلاقة (أمال سقطت ازاي وأنت
بتتكلم زى شكسبير، يا أخى فلقتنى).

والدى قد باع أرضاً لراقصة متسولة أصبحت فيما بعد نجمة
سينمائية مشهورة.

وعندما تاب والدى ورجع إلى صوابه كانت ثمانون فدانا من
أجود الأراضى قد بيعت لراقصات وسماسرة ومقامرین ووفاء
لديون بعض البنوك.

ولم يكن لنا رصيد سوى والدتى فى ميراث وقف الجميع ضده
كى لا يبدهه.

وكنت أنا فى المدرسة، وكان أخى الأكبر هو الذى يرعى
الزراع ويجمع المحصول.. وهو الذى «لطيبته المتناهية» كان
يراهن على أن يأكل ٢ كيلو حلاوة طحينية مقابل ٣٥ قرشاً
فيأكل نصفها ويخسر الرهان وينام فى المستشفى ١٨ يوماً.

أما عمى فقد ابتعد عنا بعد ذلك وأصبح رجلاً فى حاله
لا يعرفنا ولا نعرفه، عاش عاكفاً على تنمية ثروته واستثمارها
وأنجب بنتاً أدخلها مدرسة أمريكية فى أسيوط.. وأنشأ لها حديقة
وأقام حول الحديقة سوراً وجلس خارج السور يلعب الطاولة..
هوايته الأزلية المباركة المفضلة.

ثم انفجرت العداوة بيننا وبين عمى.

كنت أيامها فى منتصف الدراسة بأحد المعاهد العليا عندما
جاءنى النبأ العظيم.. أخى الأوسط قرر الزواج من بنت عمى.
ورفضت البنت ثم أمها ثم أبوها.. رفضاً غير مؤدب مشمولاً

هل هو الجنون

سأظل أضحك.. ولكن ذلك لن يؤثر فى الحدة المتناهية التى
تحيط مشكلتى.

أبى وأبوها أخوان.. فهى ابنة عمى..
ولأبدأ لك بأبى..

وأبى نموذج طيب لرجال كثيرين كانت البارات براقصاتها
تعيش على أكتافهم فى الأعوام الماضية.. يملك الأرض وما يكاد
يجمع «قرشين» حتى يطير إلى كازينو بديعة بالقاهرة، فينفق
«القرشين» ويعود مرهق الأنفاس ضيق الصدر حاد الطبع يقضى
وقته متناوماً متعباً فى بار لوكاندة بالاس القائمة كالغراب على
قناطر سنورس.. وما يكاد المحصول الجديد يحصد حتى يجمع
الريع ويجرى إلى القاهرة.

ثم عمى..

ولكن عمى لم يكن يعرف القاهرة بل ولم يزرها طوال حياته
إلا مرتين، مرة أيام كان عضواً فى الاتحاد القومى وسافر على
نفقة الدولة.. ومرة ذهب ليحضر والدى عام ١٩٥١ حينما علم أن

بأسباب تؤرخ لحياة أخى بادئة من علاقته بنعيمة بائعة الطعمية
ومنتهية بموضوع الحلاوة الطحينية.

وثار أخى الأكبر وثار والدتى وثار أخوالى وثار أبى ثم
بالطبع ثرت أنا.. ولكنى كنت أضحك.

ولم أكن قد رأيت بنت عمى منذ ثلاث سنوات.
وفى الإجازة الصيفية رأيتها.

كنت أمر بجوار سور الحديقة عندما تلصقت نظراتى من
وسط النباتات فوجدت ابنة عمى.. كأودرى هيبورن.. جالسة
على الحشيش تحت شجرة مشدبة تطالع كتاباً ملوناً.

وداخل تلافيف مخى عششت البنت.. صورة حلوة هادئة مليئة
بحوافز الحصول عليها.

وبعد مناقشات ومباحثات ومفاوضات مع أقطاب البيت وافق
الجميع على أن يطلبوها لى حيث لم يسبق لى بشهادة الجميع أن
كانت لى صلة بنعيمة بائعة الطعمية، أو كان لى تاريخ فى الرهان
على التهام الحلاوة الطحينية.. بالإضافة إلى أنى كنت فى طريقى
لأن أصبح موظفاً محترماً تتمنى أى فتاة أن تدفى نفسها بين
أحضانها.

وتقدم الوفد مساء يوم الخميس من شهر أغسطس إلى والدها.
ولم يرفض والدها هذه المرة بل بصق.. نعم بصق فى وجه كبير
الوفد.. وكانت المأساة المروعة أن كبير الوفد كان خالى.. وهو

من عائلة أخرى شديدة البأس.

وانفجر الموقف.. وهراوات وضرب.. وانتهى الأمر بتدخل
أصحاب المعروف.. ولكن وما أظفح لكن هذه.. قرر أخى بعد
موافقة أبى أن يغتال عمى.

كما قرر خالى أن يغتال عمى ويغتال أبى أيضاً.
وجمعت حقائبى وذهبت إلى صديق فى قرية أخرى.. مجروح
الكرامة ولكنى كنت ربما من الغيظ.. أضحك.

ولأنك لا تعرف قرينتنا ثم لأنك لا تعرف عائلتنا، ثم لأنك
لا تعرف أبى وإخوتى.. فأرجو ألا تسخر أو تستهين بهذه
الكلمات.. فقد كانت هذه القرارات لا تعنى سوى التنفيذ.
ولأنى كنت مجروحاً.. ولأن سلوك أهلى لم يعجبنى.. ولأنى
واحد من معادلة لا يمكن الخروج عن قانونها، فقد قررت أنا
الآخر اغتيال عمى.

قررت أنا كاتب هذه السطور اغتيال عمى عن طريق بنته.
قررت أن أغتصب بنته.

كنت حزيناً ولكنى كنت واعياً مدركاً لخطورة ما أنتوى عليه.
درست حركات أبيها عند عودتى إلى القرية.

وعرفت أنه كل مساء سبت من الساعة الخامسة يترك جلسته
الأبدية أمام باب المنزل ويتمشى لغاية الجمعية التعاونية الزراعية

آه.. كم كانت بنت عمى تذوب رقة وحناناً خلال هذه الأيام
السته الرائعة.

وعاد عمى.

وجلس أمام المنزل من جديد يلعب الطاولة.

وبدأت الأوضاع بسرعة غريبة تأخذ مجراها القديم.

العبوس الدائم..

السلام الذى لا يلقي على عمى. وأن ألقى فلا أحد يرد عليه.

وبدأت أشعر بعودة الغيظ القديم.

ثم..

حيث حفرت بنت عمى لها مأوى فى نفسى وحيث أصبح
الحديث عن اغتيال عمى متداولاً بيننا.. وكان مرضه المفاجئ كان
مجرد نقطة لم تقطع خط الكراهية المستقيم.

وحيث عدت أتلصص من خصاص السور لأرصد تحركات
بنت عمى.

فقد عاد القرار القديم يراودنى.

مرة أخرى بدأ يلح على ذهنى أن اغتال عمى عن طريق
اغتصاب ابنته.

وابنته تجلس فى الحديقة عصر كل يوم هادئة.

وهو يلعب الطاولة أمام السور.

ليحضر الاجتماع الأسبوعى.

أما الابنة المدللة الارستقراطية التى كانت تشتمنى وتطلق
التصريحات ضدى فى كل مناسبة.. فما كان أسهل أن أعتدى
عليها.. ضربة فوق الرأس «على طريقة المصارعة الحرة» ثم
ينتهى كل شىء وبدأت اتخذ الترتيبات ثم حددت اليوم السبت
٢٦ أغسطس ١٩٦٧ الساعة ٥ مساءً.

وقبل الميعاد.. سقط عمى مريضاً بذبحه صدرية حادة أقول
لك صراحة لقد فرحت وتوقعت أن تعم الفرحة الجميع.. أبى
وإخوتى ووالدتى.

ولكن المفاجأة أن أبى المتحفظ فى تصرفاته جرى كالطفل
بيكى ثم تبعه إخوتى ووالدتى وجريت خلف الجميع.

طلبنا طبيباً فتأخر الطبيب فأحضرنا سيارة ونقلنا عمى إلى
أحد الأطباء بالبندر.. وتغير الجميع.. أبى ظل ملازماً لأخيه عدوه
اللدود فى العيادة.

أخى الأكبر أصبح الراعى للمنزلين.

أخى الأوسط الطيب ظل طوال اليوم والأيام التى تلت من
العيادة للبيت ومن البيت للغيظ ومن الغيظ للعيادة حتى كاد
يسقط إعياءً.

وأنا آخذ ابنة عمى وأمها فى السيارة إلى العيادة وأعود بهما
حيث أجلس أمام منزل عمى هادئاً مرتاحاً أرعى لهم أى طلب.

وأنا.. أنا من النار لا يهدأ.
المرغبة التي لا تقاوم تأكلني.
أخطط لتنفيذ انتقامي..
وأود أن تقنعني بعدم تنفيذه.. ولن أطاوعك.
ولقد بدأت اعترافي ضاحكاً.
وهأنذا أنهيه وأنا أبكي.

معذب من القرية

بالرغم من جاذبية أسلوبك وخفة روحك في الكتابة.. إلا أن دمك ثقيل جداً.. وأفكارك غاية في السخف والانحطاط بخصوص هذا القرار أو الخطة التي تقول أنك ستنفذها انتقاماً من عمك في ابنته التي تحبها.

إن مجرد الانتقام من شخص في شخص آخر هو ظلم غبي أعمى.

وأن يكون هذا الشخص هو من أحببت هو حضيض الأنانية. وأن تعامل من تحب بما تكره وبما يكره ينحط بعواطفك لمجرد الرغبة الحاقدة في الامتلاك بأي ثمن.. ومجرد التسلط والتحكم وفرض النفس على الآخرين بالقوة.

ولا يغفر لك إلا أن تكون كل هذه الأفكار هي مجرد خيالات مجنونة تسيطر عليك لمجرد حرمانك ممن أحببت.. أو أن تكون مزاحاً سخيلاً وثقيلاً يراودك.

أما إذا كنت تقصد بالفعل وبكل برود أن ترتكب هذه الحماقة فأنا لن أقنعك.. وإنما البوليس هو الذي سيعرف كيف يقنعك وحبل المشنقة سيكون أكثر إقناعاً..

وكنت أفهم أن تحاول أن تعرض رجولتك في القتال فتضع أمثال هذه الخطط لتوقع بأعدائك وأعداء بلدك.. أما أن تنفذ ما تعلمته في المصارعة الحرة على بنت قليلة الحيلة لمجرد أنها رفضتك، فإنك تصبح دون الرجل ودون المرأة ودون الحيوان.. ولن تفوز بشيء سوى بصقة أخرى من العائلة كلها والقرية بأجمعها تظل عالقة كالوصمة على صدرك..

والحب لا ينال بالكراهية.. ولا التفاهم بالقوة.. وواضح من أسلوبك أنك تفهم هذه الأشياء جيداً وأعود فأقول إنني سوف اغتفر لك هذه الكلمات الهوجاء إذا كانت مجرد الصفحات الأولى من رواية خيالية تكتبها فقد تعودت أن أقرأ أمثال هذه الفورات العنيفة في القصص من شخصيات أمثال هيثكليف في رواية أميلي برونتي وغيرها.

وأسلوبك يرشحك للدخول في ميدان الكتابة..

وهذا أفضل من الدخول في تخشبية البوليس أو مستشفى
القصر العيني بعد علقه ساخنة من هراوات الفلاحين، وأفضل
بكثير من حكم بالإعدام أمام محكمة الجنايات.

أكرهه.. أحبه..

هو ابن عمتي الوحيد.. كان المثال السيئ والفاشل والشرير
في العائلة كلها.. منذ نعومة أظفاره كان دائماً مطارداً.. أو سارقاً
أوهارياً من المدرسة.

توفي والده وهو صغير فحاول والدي - وهو خاله - وبصفته
أحد كبار رجال التربية والتعليم في ذلك الحين - حاول والدي أن
يصلحه وأن يحتضنه ولكنه فشل.. إذ أن «الولد» لم يكن يقيم
وزناً لأي شيء، مقامراً لصاً مشاكساً حتى كرهناه جميعاً وكرهنا
أن يدخل منزلنا وطرده والدي من عشر سنوات وترك الجميع
عوضهم على الله فيه.. بالطبع ما عدا عمتي.. «والدته» التي
عانت الأمرين وهي تتحمل شكاوى الناس وسبهم له ومطاردتهم،
وشتائمهم بسبب أخلاقه وصفاته التي لم يكن فيها ثقب إبرة
واحدة يستطيع الإنسان أن يرجو منه الخير.

ومنذ خمس سنوات حصلت على شهادة غير معترف بها وغير
ذات أهمية من إحدى مدارس «الفرير» الأجنبية، ونظراً لأن
وضعنا في القرية لا يساعد على أكثر من ذلك فقد قنعت بها

منتظرة - بعد ذلك - العريس القادم حتماً - كالدستور الأبدى لعائلي الكبيرة، والتي ترقد بناتها في البيوت.. ويعمل رجالها سواء أصحاب أراض أو ضباط أو موظفين.

وبدأت المتاعب في المنزل بعد أن أحيل والدي إلى المعاش - فقد قل دخلنا واستولى أبناء عمي على الأرض التي كان يديرها والدي لحسابهم «بعد موت الوالد» كوصى لهم أيام أن كانوا قصرًا.. ونتج عن ذلك هبوط شنيع في حياتنا بل وفي ضرورياتنا، ولا سيما أن أبناء عمي لم يرحموا أبي في مطالبتهم النهائية بكل التقديرات المالية المطلوبة منه.

ثم بدأ هو يدخل حياتنا جميعاً من جديد.

المكروه أبداً المطارد أبداً مثال الشر القاسي الذي لا يقيم وزناً لأحد أو لمثاليات.

لا أعرف كيف عاد إلينا - برغم أنه لم يكن قد ترك القرية أو نزح عنها.. إنما - كالماء - تسرب إلى حياتنا وأصبح الصديق الدائم لوالدي.

لم يعد يسرق، لم يعد يتاجر في الممنوعات - على قدر علمي - ولكنه أصبح شخصاً آخر.. مقامرًا سكيرًا يملك مالا ويزرع أرضاً.. هكذا أصبح - وفي نظري إذا كان لا يسرق، فذلك ليس معناه أنه لا يسرق، وإنما معناه أننا لا نعلم بذلك.. أي كل ما في الأمر قصور في معرفتنا وليس صلاحاً في أخلاقه.

وأحسست بأن والدي يقترض منه مالا، بل وأحسست أنه يملك قدرة التصرف في كثير من شئوننا.

أحسست أنني الصفقة التي ستقع قريباً فريسة له. وعندما بدأت أجر الخيوط مع والدي اكتشفت أن ليس عنده مانع نفسي لبيعي له.

انهارت أحلامي.. واستيقظت الأفعال الشريرة التي كان يطارد بها الناس وظللت مؤرقة ضيقة الصدر. وفكرت في الانتحار.

ولكنني قبل أن انتحر قررت أن أواجهه. لا يمكن أن انتظر حتى تقع الفاس في الرأس.

ثم استطعت أن انفرد به..

وبكل الضيق وبكل الأسى وبكل الحزن وبكل اليأس.. صارحته بأنني أفهم سياسته.. وأنه حقير وأن ظفري بعشرة مثله. وأنتى سأنتحر إذا ما فكر أن يحصل علي..

كنت نائرة ومستعدة لأن أقتله لحظتها.. ولكنه كان باردًا..

قال إنه لم يفكر في ذلك ولن يفكر في ذلك وليس مستعداً لأن يشتري «جثة جميلة» «على حد قوله».

وإذا كان أحد آخر قد فكر في ذلك فليس هذا شأنه..

ولكنني كنت أفهم خبثه ومكره.. فسببته وقلبت ماضيه على رأسه وبرغم ذلك لم يثر.. بل ازداد بروداً.. واستطاع أن يمتص غضبي وثورتي.. وتكلم كثيراً.. تكلم عني وقال إنني لا أصلح لشيء إطلاقاً لأن الحياة الحديثة «نعم.. هو يتكلم عن الحياة الحديثة».. الحياة الحديثة لا تقبل أن تضم مثلي بين جدرانها قال إنني لا أستطيع أن استقل قطاراً بمفردي.. وقال إنني لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة خارج المنزل، وكل الذي يمكنني عمله هو أن أقدم الطبخ الدسم واللحوم المشككة وقراءة مجلة حواء.. ويكفي أن مجلة حواء تنشر «باترونات» لم تؤثر حتى الآن في طريقة ملابسي، وأنني فلاحه سلبية دسمة جميلة تعلمت القراءة والكتابة في مدرسة أجنبية بحكم الصدفة، وأن كل الذي أصلح له أن أكون زوجة مدرس ابتدائي يعود إلى آخر اليوم حاملاً بطيخة غير ذلك لا أصلح له ولا لأحد آخر.

أما مسألة أنه لص فذلك أمر لا يخصني، وأن الذين يعلمون كيف تسير حياته أربعة: الله وأمه وضميره وحببته.. وأنه سيتزوج العام القادم.. موظفة في إحدى المصالح الحكومية بالبندر، وأنه مستعد لأن يقدمها إلى في الفرصة والوقت اللذين أحدهما. وفي المساء عاد - بنفس هدوئه - وقدم لي خطابات حبها له وقرأت بعضها ورأيت صورتها.. وعرفت أنه خلال الثلاث سنوات الماضية لم يكن له هم سوى نقلها من المحافظة التي تعيش فيها وهي محافظة بعيدة إلى البندر الذي تقع فيه قريتنا.

ودخلت الدوامة من أوسع أبوابها.

الأسى يطحنني والألم يهزني.. وعلاقاتي بالناس ارتبكت. وكرهت أبي وأمي وإخوتي.. وكرهته.. ثم كرهته.. ثم أصبح هو قطعة من أفكاري.. لم أعد أنام.. ولم أعد أستيقظ.. ولم أعد أراه ولكنني أرغب دائماً في رؤيته، أتمنى أن أستيقظ فأجده ميتاً.. وأحياناً أفكر أن أؤس له السم.. وأحياناً أتصور نفسي زوجة - نعم زوجة له قادرة على إسعاده وقادرة على أن أسافر إليه - أينما وكيفما كان - بمفردي أتصوره لصاً ومهرباً ومزارعاً ناجحاً أشاركه حياته «الجنة» كما وصفها.. ثم لم أعد أتصور شيئاً سوى أني حبيبته.

نعم حبيبته.. أترين له.. وأقص فساتيني على باترونات مجلة حواء كي أرضى خيالي معه..

أحبه.. حتى أنني أتمنى أن أقذف بنفسي بين أحضانه ثم نشعل النيران في البيت.. لنموت معاً..
لنموت معاً..

ومازلت أتقلب على فراشي داخل السجن في انتظار رجلي..
ر.. كوم أمبو

أكاد لا أشك في النار التي تأكل قلبك.
ولكن هل هذا حب.

أنت ذكية جدًا ويجب ألا تتدعى نفسك بالكلمات.
هل هي نار الحب التي تأكل قلبك أم نار الكرامة الجريحة
والأنوثة التي سقطت في الامتحان.

إنه في نظرك الشيطان اللص بائع المخدرات المقامر السكير
والانتحار أهون ألف مرة من التفكير في الزواج به.

ولكن اكتشافك أنه طول الوقت لم يكن يفكر فيك.. وأنت
في نظره واحدة ست بلدى لاتعرف كيف تلبس ولا كيف تتركب
قطارًا تعلمت كلمتين أفرنجى بالصدفة.. وأنه طول الوقت كان
يفكر في امرأة أخرى. كل هذا أشعل الغيرة في قلبك وجعل منه
رجلا محبوبا.

ولكن هذه أسباب لا ترشح رجلا مكروها لأن يجب..
إن ما حدث لم يكن شيئاً بينك وبينه.. وإنما شيء بينك وبين
نفسك.. ثورة امرأة جرحت في أنوثتها.

وأنت الآن تجرين وراءه لتحصلي على اعتراف عاجل بهذه
الأنوثة التي أنكرها والجاذبية التي أهدرها.

إن حبك لنفسك وليس حبك له هو الدافع الحقيقي.. أنت
تريدين رد اعتبار سريع لجمالك بأى ثمن ولو بأن تعلنى حبه..
وأنت في هذا أنانية مثله شريرة مثله.

كانت أمنيتك في البداية أن تستمتعي بإذلاله ورفضه. فإذا به

هو الذى يستمتع برفضك وإذلالك.

إنها مبارزة ذكية جدًا بين أنانية وأنانية.. مبارزة دوافعها
شريرة في الجانبين.

وإن كنت لا أستبعد أن يكون في أعماق هذا الشر حب
مستتر قديم وباطن في قلبك وفي قلبه.. فتعليقاته المفصلة حول
تصرفاتك تدل على أنه كان يراقبك طول الوقت وأنت تقرئين
حواء بما فيها من باترونات.. ثم لا تلبسين في النهاية إلا العباءات
والاشولة الفلاحى «ومعنى هذا كله أنه كان يتمنى أن يراك في
فستان محزق أو جابونيز أو ديكولتيه وهى أمنية عين تحب
وتشتهى».

وأنت بدورك.. كلامك الحاد البذى عنه يدل على اهتمام
مبكر به وبشئونه «ولو أن كلامك شتيمة».

ثم لم تكن هناك دواع عاجلة واضحة لهذه الخلوة التي صارحته
فيها برفضك له كزوج.. فلم يثر أحد موضوع هذا الزواج
المرتقب.. لا أبوك - ولا أمك.. وما قالاه في هذا الموضوع كان
نتيجة استدراج منك.. معنى هذا أنك أنت وأنت وحدك التي
فتحت موضوع الزواج بلا مناسبة.. وكأن باطن شعورك يريد أن
يقول: يا الله يا أخى بقى اتحرك واخطبنى.. ولو كان ظاهر كلامك
يقول العكس.. بعينك ولو تطلع عينك مش حاتاخذنى. ضافرى
بعشرة زيك.. يا راجل يا كلب.. «وهى مرقعة نسوانى شائعة في

الأخلاق الشرقية بين نساتنا.. أن تقول الواحدة للرجل..
يا سم.. ابعده عنى أوعى تلمسنى.. بعينك.. وهى تموت فيه وتدوب
فى دباديبه».

ومعنى هذا انك شريرة مثله كما قلت.. تريدان أن تسرقى
قلبه كما يريد هو أن ينشل أفكارك.

وأنت كذابة. أئيمة وهو كذاب أئيم.. وأنتو الاثنين ألعن من
بعض.

وأنا أحب أن أعرف كيف ستنتهى هذه المبارزة القاتلة بينكما
وإن كنت أتوقع أن ينتهى كل منكما إلى أحضان الآخر وأن تختتم
القصة بزواج قريب «وما تنسوش تعزمونى فى الفرح».

الصدمة

أشعر كأنى أكتب لك هذه الرسالة بدمى أنا ابن السادسة
عشرة الذى قدر له أن يفتح عينيه على مأساة ويصدم فى أمله
وأحلامه ومثالياته.

إنها قصة أشبه بما تقرأ فى الروايات للأبطال الذين ينتحرون
ويعيشون حياتهم على حافة الجنون.. ومع ذلك فما أجمل بداية هذه
القصة.

أب حنون طيب يجاهد طول عمره ليوفر المال والثراء
لأسرته.. ويقول دائماً إن الستر والحياة فى كرامة ونظافة لا يتوفر
لمن يعيش فى ذل الفاقة، وأن الدخل الميسور معناه أن تجد الأسرة
الطعام وتظفر برعاية الطبيب وتمتع بتعليم راق لأولادها وتأمين
لمستقبلها.

والحياة لا أمان لها.. ورصيد فى البنك بأسم الأم والأب
والأولاد هو ضمان ضرورى، فالأعمار بيد الله ولا أحد يعرف
ماذا يجيئ المستقبل من مفاجآت.

وهكذا مضى الأب الطيب يكدح ويقتصد ويستثمر ذكاه

ومجهوده واشترى بضعة أسهم وعقاراً.

ثم مات في العام الماضي ليترك لنا إيراداً شهرياً يبلغ حوالى أربعمئة جنيه وسيارة مرسيدس وفيللا جميلة في ضاحية راقية.

كل ما نحتاج إليه وأكثر لنعيش حياة مرفهة مستقرة، أنا وأمى وأختاى اللتان تتراوحان بين العشرين والثالثة والعشرين وتلتحقان بمدرسة أجنبية.

حياة يحلم بها أى واحد في هذه الدنيا.

ومكانة يحسدنى عليها أى ابن..

كنت في هذا الحلم الجميل حينما سافرت مع مدرستى في رحلة للبحر الأحمر لمدة أسبوعين.

ومضيت ألعب وأهو على شاطئ البحر وأصطاد السمك. وأمزح مع أصدقائى.. ولأمر ما اضطررنا الظروف للعودة قبل انقضاء الأسبوعين.

وعدت إلى الفيلا وكان ذلك حوالى الساعة مساءً.. وكان معى مفتاح للبيت ففتحت ودخلت بدون أن يشعر بى أحد لكى أفاجئ العائلة بعودتى.. ولكنى لم أجد أحداً.. وصعدت للدور الثانى وذهبت إلى غرفة نوم أمى وكان بابها موارباً.. ورأيت وباليمنى ما رأيت. رأيتها في أحضان عمى.

صعقت وتصعب العرق على وجهى وارتجفت أوصالى ودارت

الدنيا بى.. وعدت أدراجى وأنا كالمذهول.. ماذا أفعل؟.. كيف أتصرف؟

واستبد بى التفكير والأرق..

ولم أعد أستطيع التركيز في كتاب أنا الطالب المجتهد الذى داومت على التفوق في جميع مراحل تعليمى.

وتناوبتنى الهواجس والوساوس.. هل أقتل عمى، هل أصارح أمى.. وماذا أقول؟، وكيف تصبح العلاقة بيننا بعد مثل تلك المصارحة والمواجهة.. ماذا يصبح مركزها في نظر نفسها وفي نظرى ماذا يصبح مركزى في نظرها وفي نظر نفسى.. أنا الابن الذى فضح أمه وسقطت من نظره إلى الأبد، وفقد القدوة والمثل الأعلى.

كيف تقف منى بعد هذا موقف الناصح.. وكيف تواجهنى وترشدنى في حياتى وهى التى عجزت عن إرشاد نفسها..

وكيف أقف منها موقف الناصح وأنا ابن السادسة عشرة وهى السيدة الأم في الأربعين.. كيف أوجه إليها مثل هذا الاتهام المهين المشين المخجل..

وأى كراهية تنمو بيننا بعد هذا.. كراهية في نهايتها أسوأ من السقوط وألعن من الخطيئة.

وكان عقلى أضعف من أن يحتمل هذه الضغوط الفظيعة فبدأ ينهار.

وتحولت إلى طيف شارد سارح مذهول على الدوام.
وليت الأمر انتهى عند ذلك، ولكنني عرفت مؤخرًا أن إخوتي
البنات يذهبن إلى النادي ويترددن على شبان في شققهم ويعدن في
الواحدة صباحًا وأمي لا تكلمهن ولا تسألهن أين ذهبن،
وسمعتهن في النادي قدرة.
وتصور أن تنهار عمد البيت الذي أعيش فيه فجأة وبدون
توقع أو انتظار فاكتشف أن أمي ساقطة وإخوتي ساقطات.
وأنا من أكون.. وماذا أفعل.. وماذا يقول عنى الناس.. حينما
ينكشف عارنا للكل.

أنا المثالي المتدين الذي نبت في بيئة كلها حب.. أو هكذا خيل
لي.

وتصور كيف أجلس لأذاكر في الدور السفلى وعمى يداعب
أمي في حجرتها في الدور العلوى مطمئنين إلى جهلى بكل شيء..
وأخواتي يراقصن الشبان التويست في النادي.

كيف أجد العقل لأركز وأقرأ؟

كيف أجد الانتباه لأفهم؟

وكيف أجد الإرادة لأواصل وأتأبر.. وأنا مشئت مبعثر ممزق
الذهن والوجدان إنه عذاب فظيع الذي أعيش فيه.
أفكر في الانتحار ولكنني أخشى الله وعقابه.

سوف أرسب.. أنا أعرف أنك سوف تواسيني ولكن
ما جدوى المواساة؟
لماذا لم تكن أمي امرأة فاضلة.. وماذا تريد من الدنيا؟..
وعندها المال الوفير والعربة الأنيقة والسكن الراقى..
والمركز واحترام الناس وكل ما تتمناه امرأة؟
هل أخطأت ليعاقبني الله في أمي وفي أهلي..؟
إني أموت من الحسرة ولا أجد مخرجًا!!
ماذا أفعل؟

ا. ح. ح

* * *

إنها كارثة فظيعة بالفعل وربما لو قرأت أمك كلماتك وشعرت
بأساتك ربما تصرفت بكرامة وحفظت للبيت على الأقل هيئته
واحترامه وقطعت رجل هذا العم من البيت.

ولكنني لا أنصحك بأى مواجهة أو مصارحة بينك وبين أمك..
لا تفتح فمك بكلمة.. ولا تكاشف أمك بهذه السقطة
وإلا تقطعت حبال المودة وزرعت كلماتك كراهية لا شفاء لها.
وتذكر أنك لست خالق هذه الدنيا لتحمل وزرها على كتفك.
وإذا كانت أسرتك سقطت فالعالم كله في حالة سقوط.. العالم
أسرتنا الكبرى تتمزق بين الزنا والخمر والحروب والقتل والسرقة

والكذب ونحن أبناءها نتألم ولكن علينا أن نواصل ليصلح كل منا ذات نفسه ويكون قدوة حسنة للآخرين لا قاضيا وجلادًا لهم. كن رجلاً صالحاً في ذاتك لتصبح قدوة لأهلك وإخوتك. وسيكون هذا صعباً في البداية، ولكنك يمكن أن تتعود عليه. على كل واحد أن يحمل وزر عمله. وشرفك هو ما تقدمه أنت بيديك لا ما تفعله أهلك. إن النظرة التقليدية الأخلاقية بأن الأم يمكن أن تلتطخ ابنها بالعار بما تفعله هي نظرة غير صحيحة. فالإنسان يشرف بأعماله هو لا بأعمال غيره. والعار لصاحب العار وحده. وأنت لن تستطيع أن تصنع نفوساً جديدة لأم في الأربعين وأختين راشدين، كل ما سوف تفعله إذا قذفت بالطين في وجه الجميع هو مزيد من التمزق والكراهية والعداوة للكل. ستعاني صراعاً عنيفاً لتغالب الانفجار والغضب، ولتروض نفسك على تقبل مصيرك وقدرك.. ولكن تذكر أن من وراء الجدران في بيوت كثيرة حولك تخطئ أمهات وتسقط بنات، وأنه في هذه اللحظة يسقط قتيل بريء في فيتنام.. ويموت أطفال من الجوع في الهند.. ويقتل الاخوة بعضهم بعضاً في الصين. إننا ولدنا في أرض الخطايا.

والحل ليس الصراخ، وليس الغضب، وليس القتل، وليس قذف الطين في وجوه المخطئين. ولكن الحل مزيد من الحب. أن يحاول كل منا أن يصلح نفسه ويقوم ذاته ويكون قدوة لغيره قبل أن يقف منه موقف القاضى من المتهم. وتذكر أنك يمكن أن تخطئ أنت أيضاً حينما تكبر وتلح عليك شهواتك وغرائزك. حاول أن تكون الابن المشفق لا القاضى الجلاد. ولتكن مثلاً أعلى في تصرفاتك قبل أن تطالب الآخرين بأن يكونوا مثلاً علياً. إن الله يمتحنك بهذا البلاء الذى أنت فيه. ولكنى أعتقد أنك ستمر وستتفوق على نفسك وعلى عذابك.

وقلت لهم في تحد أعنف.. سوف أبيت الليلة وكل ليلة.. مع
السكان الجان وأجعلهم يدفعون خلو رجل كمان.
ونظروا إلى باستخفاف وإشفاق.. وهم يتهامسون.
أنت بتنتكت كمان على الجن.

ولن أطيل عليك ذهبنا جميعاً وكنا خمسة وبتنا ليلة في تلك
الشقة المشؤومة.. وكان ما حدث شيئاً لا يصدق.. انقطع النور في
البداية ثم أمطرنا السقف المظلم بقذائف لا حصر لها.. طوب
وملاعق وسكاكين وصحون وأشواك مسننة وقطع صابون وأكواب
وثمار فاسدة وبيض وكراسي.. ثم بدأنا نسمع نقرات عالية على
زجاج النوافذ والأبواب.

وحاولت أن أهرب بنفسى فأحسست بيد في الظلام تناولني
لظمة قاسية على خدى وصرخت وأغمى على.

وفي اليوم التالي كنت أمشى إلى الكلية وأنا كالمصعوق..
المشدوه.. أفكر.. وأفكر كيف يمكن أن تحمل روح كرسياً وتقذفه
في الهواء.. وهى ذاتها هواء أو أثير.. أو لا شيء..
وهل يوجد ذلك الشيء الذى اسمه عفريت.
وكيف يسكن العفريت جسماً آدمياً.

وماذا يحدث إذا كان أحد هذه العفاريت قد أعجبه جسمى
فسكن فيه وترك الشقة لزملائه.

العفريت الذى ركبنى

أتيت من الريف.. لأدرس الطب في القاهرة.
ولأعرفك بنفسى.. فأنا متفوق في دراستى دائماً طموح أهوى
الشعر وأؤلف الروايات والتمثيلات والقصص في أوقات فراغى..
مدمن اطلاع.. عقليتى علمية.. انظر إلى كل شىء نظرة علمية
وأرفض التعلق بأى خرافة ولا أصدق قضية لم يقم عليها دليل
محسوس.

تبدأ مأساتى حينما عرض على بعض الزملاء في أثناء نقاش
حول الأرواح والجن والعفاريت أن نقضى ليلة في شقة معينة
قالوا لى إنها «مسكونة» بالجن.

وضحكت طبعاً على هذه الخزعبلات وقلت لهم إنه لا يوجد
من يسكن الشقق غير البشر.. وإن الجن والعفاريت كلام فارغ
وتخاريف عجائز انحدرت إلينا من عصور ما قبل العلم.. عصور
الجهالة والظلمات.

وقالوا حينذاك فى حماس.. نحن نتحداك أن تبيت ليلة فى تلك
الشقة.

وكانت الفكرة عابرة في البداية. كما نرى في تلك
ولكنها بدأت تلح على ذهني.
وبدأت أشعر بالفعل أن هناك شيئاً أثيراً يسكن في داخلي،
شيئاً كالظل مكوم داخل هيكلتي.
ولم أعد أعرف النوم.
وتحول الليل إلى عذاب طويل ورعب وسلسلة من الهواجس
والمخاوف بدأت أشعر بالظل في داخلي يتمدد وينكمش.
ثم بدأت أشعر بأنه ينقر على رأسي ومفاصلي ويدق على
ظهري.
وأحياناً كنت أراه يقلب صفحات الكتاب الذي أقرؤه قبل أن
أمد يدي لأقلبه وتحولت حياتي إلى سلسلة من الجنون.
ولم أجرؤ أن أصارح أحداً بهواجسي حتى لا يذهبوا بي إلى
المجازيب.
واعترلت عن أصدقائي وسجنت نفسي في غرفتي.. أعود من
الكلية فأدخل غرفتي لا أبرحها وأصبحت أضيء غرفتي طوال
الليل بلمبة مائتي وات من الخوف ولم أعد قادراً على التركيز في
مذاكرة أو قراءة.
حتى الفتاة التي خطبتها قاطعتها وأصبحت أتجنبها حتى
لا تلحظ التغيير الذي طرأ عليّ، وهي بدورها أصبحت تعيش في
حيرة من أمري.

أكتب لك الخطاب الآن في الفجر وأشعر طول الوقت أن
العفريت الذي يسكنني يدق على جمجمتي من الداخل.
نعم أقسم لك أن هناك دقائق في داخل رأسي.
إنه شيء فظيع لم أقله لأحد ولكنه، هناك من يدق على رأسي
من الداخل.
أنا أصبحت كالخرابة المسكونة.
وأبشع ما في الأمر أني أحارب عدوا غير منظور.
لو أن ما بداخلي مرض أو ميكروب أو ورم سرطاني لأمكن
استئصاله بالجراحة أو علاجه بالدواء.
إنه يكون شيئاً معروفاً يمكن لمسه وتشخيصه ووصفه وتبين
خصائصه وملاحظته.
أما ذلك الذي يسكن بداخلي.. فهو عدو كالهواء.. كالاثير..
كالشيء.
ذهبت إلى المشايخ ولبست أحجبة وتعاويز أنا طالب الطب
ابن العشرين عاماً.. دون جدوى.. ودون فائدة.
إني أموت من الرعب والجنون.
وأهلي قد فقدوا كل حيلة معي.. ولا أحد يعلم مأساتي وأنت
أملئ الاخير.
إني أقرأ لك دائماً في الموت وما بعده.

واقراً لك تأملات عن الطبيعة وما وراءها.
وأرجو أن تجد لي مخرجاً.

المعذبى

أنت ريفى ساذج ولا شك، وقد ذهبت ضحية هزار سخيف
فالأرواح إذا كانت هناك أرواح لا يمكن أن تشغل نفسها بأمر
تافه مثل قذف الصحون والملاعق والشوك.

وإذا كانت الأرواح ترفع الكراسى فلماذا لا تفعل ذلك في
النور حتى يؤمن بها كل متشكك.

لماذا تفعل ذلك في الظلام فقط.. ويحتاج الأمر إلى انقطاع
النور من الشقة أولاً ثم تبدأ عرضها البهلوانى.

إن اللعبة واضحة من البداية.. ولهذا بدأت الحكاية بقطع النور
ثم شرع أصحابك يلبثونك على أصداغك ويقذفونك بالصحون
والبيض الفاسد ويضحكون عليك.. وبعد ذلك صدقت نفسك
وسقت في أوهامك.

وإذا كانت الأرواح تضرب بالطوب وبالسكاكين فلماذا
لا تحارب في فيتنام وتنصر أصحاب الحق الغلابة على المعتدين
الغاصبين بدلا من تقديم عرض بهلوانى في شقة.. وفي فيتنام
يسقط مئات القتلى كل يوم.. وما أكثر الأرواح.. وما أكثر
العفاريت إذا كان هناك عفاريت.

ولا شك أن الماريشال كاوكى يستحق قلما على صدغه من أى
روح من الأرواح التى أهرق دماءها.
أنت تحلم يا صديقى الريفى الساذج.. وما تشعر به من دق
على جمجمتك سببه أنك دائق عصفورتين.. وأنتك عبيط وأنا
شخصياً مستعد ومشتاق إلى ليلة أبيتها فى شقتك المسكونة لأمسك
بيدى ذلك السخيف الذى يرفع كوبس النور وأرقعه قلما على
صدغه وأحلق له شعره فى المحافظة بمساعدة عفريت حقيقى من
عساكر البوليس.

والله يا أخى ما عفريت إلا بنى آدم.

والأرواح الحقيقية لها عالم آخر شفيف رفيف لطيف غير عالمنا
السخيف وهى لا تفكر أبداً فى أن تقذفنا بالطوب.. لأننا بالنسبة
لها.. لا شىء.. لا نستحق حتى مجرد لفتة إلى وراء.
وهذه المرة أنا الذى سوف أدق على دماغك.. وأقول لك..
فوق واصحى يا كرودية.

الحياة بدون كبت

أنا كما يرانى الناس من الخارج فتاة عادية فى التاسعة عشرة..
مرحة منطلقة.. الكثيرون يحسدوننى على انطلاقى.. فأنا أبداً دائماً
ضاحكة عابثة.. ولكن قلبى من الداخل يدمى.. ولا أحد يعلم
ما أعانيه.

أحببت منذ ثلاث سنوات.. وكان حباً أكبر من عمرى.. وكان
هو فى الثلاثين أكبر منى بأربعة عشر عاماً.. وعلمنى كل شىء..
كنت كتاباً مقفولاً وموضوعاً على الرف. وجاء هو وفتحته وقرأ
كل سطر فيه.. وكل كلمة فيه.. وكنت سعيدة.. السنة الماضية فى
مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة فى الوجود.. فأنا جميلة خفيفة
الظل محبوبة من الجميع ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على
جميع طلباتى.. وأهم من هذا كله.. كان هو بجانبى.. حبيبى.

كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام
الله عرفت معه كل متع الحب.. وكل مسراته.. وقد حرصنا معاً
على ألا يتجاوز عبثنا الحدود.. فظللت عذراء.. ولكنه فى آخر
لحظة تركنى.. وهجرنى إلى غير رجعة.. قال إنه لا يستطيع أن

يعصى أمر والدته.. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة..
وخطبتها له.. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلباً فهو وحيدها.
وتعذبت.. ومرضت.. ثلاثة شهور..

ثم بدأت أضمد جراحى.. وأقاوم عذابى.. وأرسم الضحكة
على شفتى.. وأغتصب الابتسامة.. وبدأت أعود إلى الحياة.
وعرفت أحد زملائى فى الكلية.. وصاحبه..
ولم يكن حباً هذه المرة.. فأنا أعلم أنى لا أحبه.. وأنه
لا يحبنى.

ولكنى كنت أبحث عن سلوى.

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضى الساعات.. لا نرى
الفيلم.. ولا نرى ما حولنا.. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق
حتى يضىء النور..

وفى حى الشباب تأخذنا نشوة المراهقة التى نمر بها نحن
الاثنان فيشعر كلانا بأننا نقضى ساعات لذيذة.

ولكن بعد ذلك.. وبعد أن تمضى هذه الساعات.. يبدأ عذاب
الضمير.. وأرانى أصرخ فى نفسى.. إنى ساقطة.. مجرمة بدون
أخلاق مذنبه مصيرها جهنم.

ولكنى أعود فأسأل نفسى.. وما ذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا
التي ركبت فيها.. ورغباتنا التي خلقت معنا.

إني لو لم أفعل هذه الأشياء.. فسوف أظل مشغولة الذهن
طول الوقت أفكر وأتمنى أن أعملها.. وهذا ألين..
ما ذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا..

وأبكي.. وأصلي.. وأصوم، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء.. وأنا
أسأل نفسي في حيرة.. ما الفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير
المتزوجين.. إنها ورقة.. مجرد ورقة..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة..
ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين في المصافحة عملاً عادياً
لا غبار عليه.. وتلامس الشفاه في القبلة عملاً فاضحاً شائناً..
أليست كلها أجزاء جسم واحد..

وما معنى الفضيلة هنا..
وكيف يكون تحريم أشياء هي في صميم طبيعتنا.. فطيلة..
لماذا لا نعيش على الطبيعة، بدون تعقيد.. وبدون كبت..
وبدون تحريم.

قصدك لماذا لا نعيش كالحیوانات فننطلق مع غرائزنا
بلا ضابط.. وبلا نظام.. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة.. ولذة
الساعة.. مستحيل طبعاً.. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا
تماماً.. ونعود إلى عصر الغابة..

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة.. من اللحظة التي يحكم
فيها الإنسان رغبته ويكبح غضبه ويلجم شهواته ويتصرف
بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية
والبذل في سبيل الآخرين والعمل على إقامة نظام.. والانقطاع
للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس.. أما إذا انقلب الوضع
وأصبحت لذات الجسد العابرة.. ونزوات الغريزة.. مفضلة على
هذه الأغراض السامية فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب
حيواناً.. والنظام الاجتماعي كله ينهار من أساسه..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين.. الزواج تنظيم اجتماعي
للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه.. وحتى
لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط.. وتختلط
الأحساب والأنساب.. ولا يعرف الابن أباه..

والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهوته.. فإنه
لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته.. فإنه في الحقيقة يخرس صوت
الغريزة.. ولكنه في نفس الوقت يطلق صوت العقل.. وهو يشد
اللجام على الحيوان الهائج في نفسه ولكنه يطلق العنان للوجدان
والعاطفة والفكر.

ولا يمكن أن يقال في أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية.
فإن العقل أيضاً من طبيعتنا.. والعاطفة والوجدان والروح.. هي
صميمنا.. وهي أكثر أصالة في طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة
الحيوان الجائع.

أما حكاية تلامس الشفتين في القبلة وتلامس اليدين في المصافحة.. فهي مغالطة واضحة.. ولن أحاول أن أناقشها.. فأنت تعرفين جيداً الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة ومفيش داعى نكذب على بعض.

أما حكايتك مع صاحبك.. فهي حكاية يجب أن تنتهى.. فأنت باعترافك لا تحبينه وهو لا يحبك.. فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة.. وهى علاقة تخلو من عنصر الصدق.. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه.. ويهين نفسه.. وهى لهذا يجب أن تتوقف.. لا بسبب الدين وحده. ولا خوفاً من جهنم ولكن بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه أيضاً.

عريان أفندى

أنا شاب في العشرين.. مازلت إلى الآن طالباً بالثانوية العامة.. مظهرى محترم ومؤدب جداً.. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى أنى خجول وطيب ومهذب.. وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدوها أمام الناس.. ولكن فى الخفاء حينما انفرد بنفسى فى غرفتى أتحوّل إلى شخص آخر تماماً.. ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه.. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران.. وأتجرد من ثيابى.. وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان.. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة.

يحدث أحياناً أن تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال.. وأحياناً تبتسم..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة.. وهى طبعاً علاقات قذرة مع خدامات ونساء ساقطات..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تماماً وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد.. لا أستطيع لها دفعاً. ومهما

لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التماذى فيها..
والغريب أنى فى أثناء وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل
شديدين وكأنى شخص آخر.

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى
أماكن عامة.. وكنت أدعوهم إلى نزهة على النيل أو إلى سينما..
ولكنى كنت دائماً أخسرهن فى النهاية.. بسبب مسلكى الشاذ
فى السينمات.. فى اللحظة التى ينظفنى فيها النور ويسود الظلام..
كان يركبنى ذلك الشيطان.. فأتصرف بدناءة.. وقذارة وتكون
النهاية..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة.. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب
على أمرى.. وأنا أشعر بتعاسة لا حد لها..

أنا مريض.. أنا أعلم أنى مريض..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام.. وخائب خيبة لا حد لها
وفى أعماقى أحتقر نفسى.. وأشعر أنى ملوث.. ولكن ماذا أفعل
هل هناك حل لرجل مثلى.

حالتك يسميها فرويد «عقدة الاستعراض»..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعري ونخبط
على جسمنا العارى ونلهو به.. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى
الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا

الأسلوب الطفلى. وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية
التي توجهنا إلى الحب والزواج.

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر
بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث فى أثناء الطفولة.. فتنشأ عقدة
الاستعراض.. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات
البلوغ وبعده..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى
استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق
الأحلام والتذكر وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف.

فجأة.. وبدون سبب واضح.. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان.. وفشلت كل محاولاتي للعثور عليه.

وعلمت أنه رسب في الامتحان.. وأنى نجحت.. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى.. إن الامتحانات حظوظ.. وليس فى رسوبه ما يخجله أو ما يغضبى.. وما ذنب حبنا..

إن حبنا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل فى امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما حدث..

وتعذبت شهوراً.. وأنا أفكر.. وأتساءل.. ثم كتبت له خطاباً طويلاً ألومه.. وأعتب عليه.. وأذرف الدموع من أجل حبنا.. وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلى..

وعاد إلى.. وتقابلنا.. ولكنه كان ساهماً شاردًا متجهماً لم يكن طليقاً بشوشاً مرحاً كعادته.. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه.. وحاولت أن أفهم سر عذابه.. ولكنه لم ينبس بحرف.. وكان يقول دائماً حينما أشير إلى أمر رسوبه.. أن هذا أمر تافه.. وأنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان.

ما هو إذن السر فى وجومه.. لا أعرف.

وتكرر رسوبه.. وتكرر اختفاؤه.. وتكرر نجاحى فى نفس الوقت.. وتكررت محاولاتي للمحافظة عليه واسترجاعه..

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة فى كلية الطب. متوسطة الجمال.. ظريفة محبوبة.. منذ السنة الأولى وأنا أزامن طالباً.. وأحبه ويحبنى..

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معاً.. ونذهب معاً إلى النادى والملاعب.. ونقضى آخر الأسبوع فى السينما أو فى الحدائق.. ونتحدث فى آمالنا ومستقبلنا، ونرسم الخطط للسنوات القادمة.

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج.

قال لى إنه لا يريد أن يأخذ ملياً من أبيه.. وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عائلة على غيره..

وهكذا كان انتظارنا طبيعياً..

ولكن حدثت المفاجأة..

فى الإجازة الصيفية من العام الأول.. ونحن نعلق الآمال.. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ، والاشتراك فى رحلة الكلية إلى سوريا.. تغير فجأة..

والآن أنا في امتحان التخرج الأخير.. وهو مازال في السنة الأولى يتعثّر في كتب التشريح..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة.. وأكون في الظروف التي تسمح لي بمعاونته ماليا.. والإنفاق عليه.. والزواج به برغم كل شيء..

وأنا أحبه..

ومسألة رسوبه لا تهمني..

أريده بأى ثمن.. وهو يتهرب منى وينكمش في نفسه أكثر وأكثر، ويقابل عاطفتي المتأججة بالبرود..

وأنا أبكى حزناً عليه.. وحزناً على نفسي..

ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه.. وأتزوجه..

ماذا أفعل؟ ساعدنى..

ساعديه أنت واتركيه في حاله. ولا تحطيه أكثر مما حطته.

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبداً..

إن الرجل ورث تقليداً عن آبائه وأجداده.. إنه قوام على المرأة.. ووصى عليها.. ومشرف على بيتها وحياتها.. ومتفوق عليها بحكم كونه رجلاً..

وهذه التقاليد والأعراف في دمناء.. مهما تكلمنا عن المساواة..

إن عمرها خمسة آلاف سنة..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال.. وحتى هذه اللحظة تجدين في جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحناً كلهم من الرجال.. مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات.. ولا إلى رجولة.. إنه مجرد تفوق في شيء..

ونحن وراثنا التفوق في الواقع وفي التاريخ وفي الماضي القريب والماضى البعيد..

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات..

ونحن نردد كلام المساواة ولكن التاريخ أقوى منا.. لأنه بعيد قديم طويل ضارب بجذوره فينا..

ماذا نفعل.. لا بد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعيون.. وأنا رجال.. نشق في أنفسنا..

إن رسوب زميلك.. ونجاحك باستمرار. شيء فظيع لا يمكن أن تتصورى أثره لأنك لست رجلاً.

وزواجك به على أساس الإنفاق عليه.. سوف يزيد مشكلته تعقيداً، ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر.

لا يوجد حل.. إن الواقع قد تراكم ضدك..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائماً أنها غير متفوقة قليلة

الحيلة وعاجزة وفي حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسبه.. وتكسب
حبه..

فلاتضيعي حياته واتركيه لحاله.

عاشق النار

بدأت مشكلتي منذ المراهقة بطوفان من المشاعر الضارية..
تدفعني دفعاً نحو المرأة.

شلال مكتسح من الرغبة العارمة الملتهبة..

وبركان انفجر في جسمي كله فاشتعل وكأنه الحطب تأكله

النار.

منظر ساق عارية يحرمني من النوم ليالي..

صوت امرأة في تليفون يجعلني أندفع في سلسلة من الخيالات

البهيمية وأنسى نفسي.

حذاء حريري..

أفيش سينما على حائط فيه قبلة..

شبح امرأة خلف شيش نافذة..

خيال.. مجرد خيال في ذهني عن فتاة..

حكاية غرام يرويها راوية أمامي..

أمثال هذه المغريات البسيطة كانت بالنسبة لي كوخزات

السكاكين توقظ في جسدى حيواناً أعمى مجنوناً لا سبيل إلى كبح جماحه..

كنت أعلم أن ما بي هو مرض.. وأن المسألة ليست مجرد غريزة أو شهوة عارضة مما تنتاب الشباب في سنى.. ولكن ما حيلتى وقد ولدت بهذا الداء الوييل.

وتستطيع أن تتخيل ماذا كان يصور لى خيالى المحموم من قصص وحكايات كلما فتحت النافذة ورأيت بنت الجيران. وطبعاً لم يكن يتجاوز الأمر مرحلة التصور والخيال أبداً.. فأنا دائماً فى اللحظة الحرجة وحينما أواجه فتاة أتحوّل إلى طفل مرتبك سابح فى عرقه يتهته ويفأفئ بلا انقطاع.

كل هذا البركان كان يغلفه خجل وكسوف وخوف.

والنتيجة عذاب متصل وأحلام يقظة لا تنتهى.

كانت المذاكرة بالنسبة لى صداً وأوجاعاً وعذاباً مقيماً.. فالتركيز الذهنى فى أغلب الأوقات مستحيل والصفحة المفتوحة من كتاب الجبر كانت تتحول بقدرة قادر إلى عرايا يرقصن على الرموز والمعادلات، والأقواس.. وقصيدة الشعر تتحول إلى تأوهات..

وكنت أفتح الصفحة وأظن جامداً أمامها مثل التمثال طول الليل..

وكنت أحتاج فى آخر السنة إلى بذل إرادة رهيبه وإلى الوقوف

تحت الدش كل نصف ساعة فى محاولة يائسة لأفبق وأنعش ذهنى وأطفئ النيران الملتهية فى جوفى.

وتستطيع أن تتخيل أى مجهود احتجت إليه وأى صراع صارعته لكى أنجح فى الثانوية وأدخل كلية الهندسة.

وفى كلية الهندسة التقيت لأول مرة بينات.. بنات فى الواقع. ولسن بنات أفكارى.. فأنا فى المدرج أجلس إلى جوار فتاة وكتفى فى كتفها.. وفى المعمل إلى جانبى فتاة نشترك معاً فى تجربة. ولكن الخجل ظل هو نفس الخجل والخوف نفس الخوف.. بينما اشتعلت الرغبة أكثر وأكثر..

وبدأت أطفئ هذه الرغبة بكتابة القصص. أكتبها ثم أمزقها.. ثم بدأت أكتب مقالات وبحوثاً طويلة فى العلاقات بين الشباب والفتيات.

ثم بدأت أقرأ التاريخ وتطور العلاقات بين المرأة والرجل تاريخياً ونشأة نظام الأسرة وتفصيل ما كان يجرى فى عصور الفوضى والشيوعية الجنسية.. أقرأ وألخص وأكتب وأمزق.. كل يوم لى جلسة طويلة أمام الكتب لأطفئ فضولى الفظيع بالقراءة والكتابة.

وكنت أكتب أحياناً خطابات فى عشرات الصفحات لحبيبات خياليات لا وجود لهن.. وأحياناً كنت أرد على هذه الخطابات بالنيابة عن هؤلاء الحبيبات.

في هذا الجو المحترق بالكبت.. الملتهب بالرغبة كنت أجاهد
نفسى فى مشقة هائلة لأبدو فى الصباح وأمام الطالبات زميلاً مؤدباً
مهذباً.. وفى الواقع كانت كل تصرفاتى فى الظاهر تدل على إنسان
حسن السيرة طيب الخلق.. وكانت لى سمعة بين الزملاء بأنى
إنسان وديع طيب مؤدب.

ولكن فى حقيقة الأمر كان خيالى دائماً يشتعل بالرغبات
الخسيسة والأمانى الوضيعة.. كنت أنظر أحياناً إلى فتاة بجوارى
بجانب عيني فى وجل وأنا أتمنى أن أركع عند قدميها.. وأعبدها
حباً..

وعندما كنت أسمع فتاتان تتهامسان كنت أتخيل على الفور
أنهما تتهامسان عني.. وأنها تسخران بي.. وكان الدم يغلى فى رأسى
وأتمنى لو أحرقتها حيتين.

ودائماً كانت خيالاتى ومازالت ممزوجة بالنار.. فأنا أعبد كل
فتاة حباً ثم أنا فى النهاية أرغب فى الخلاص منها بحرقها.. فهى
لا تلتفت إلىّ ولا تشعر بي ولا سبيل إلى امتلاكها.

ومن فرط حبى للنار أحتفظ على مكتبى بشمعة.. أشعلها
وأفترج عليها وهى تذوب وهبها يرتفع وفتيلها يستطيل.. ثم وهى
تساقط دموعاً.. ياله من منظر رائع.

وأحياناً أحرق الأوراق مدعيًا أنها أوراق قديمة.. وأنا فى

الحقيقة أرغب فى الاستمتاع برؤية النار وهى تأكلها وتحيلها رماداً
وهباءً..
وأحس فى تلك اللحظات أنى قد فهمت السبب الذى أحرق
من أجله نيرون روما.

ولا أحد يعلم إلى الآن سر غرامى بوضع الشموع على
مكتبى فأنا فى العادة أقول لهم فى البيت إنى أضعها احتياطاً بسبب
انقطاع الكهرباء.

ولأحد يدري بهذه المتعة الخبيثة التى أشعر بها وأنا أشاهد
شيئاً يحترق.. وأنا أخاف الظلام.. وأرهب سواد الليل ومواته.

وأحب ساعة الفجر حينما أقف فى الفرندة وأشعر أنى الوحيد
المتيقظ فى تلك الساعة وأن الدنيا كلها ملكى.. أنا الوحيد الذى
يراها ويرى جمالها.

كانت رحلة حياتى رحلة صراع ومعاناة طويلة.

وأخشى أن تتفاقم هذه الرغبات الشاذة والخيالات المنحرفة
فتجرفنى يوماً ما إلى حافة الجريمة أو الجنون.
ولا أعرف ماذا أفعل..

لقد صارعت نفسك إلى الآن ببطولة وكفاءة منقطعة النظير
فأنت برغم تشتتك الذهنى، ومراهقتك المضنية نجحت فى الشهادة

الثانوية بمجموع ودخلت الهندسة.. ولم تحاول إطفاء عطشك بعلاقة طائشة أو ليلة رخيصة.. وهدتك نظرتك إلى وسيلة ناجحة تطفئ بها انفعالك بالكتابة والقراءة.. محاولة بدائية للخلاص بالفن.

ومازلت برغم كل شيء سيد نفسك وقابضاً بيد من حديد على شهواتك وغرائذك وهذا انتصار.

وارتياحك للنار رد فعل النار الداخلية التي تأكلك.

وأعتقد أنك بمزاولة الرياضة العنيفة كالسباحة والتجديف والجري والمصارعة والكرة سوف تجد مصرفاً آخر لهذه الحيوية الدفينة التي تغلَى في دماغك..

وبهذا تستطيع أن تكمل باقى الرحلة في أمان حتى تواتيك الظروف المناسبة للزواج.

والحياة المختلطة في المجتمع والنادى والبيت والكلية هي رثة لا بد منها.. ولا يجب أن تلوذ بالعزلة والوحدة وتغلق عليك باب غرفتك.. فمشاعر الصداقة والأخوة والألفة والمحبة تهذب الحيوانات الكامنة فينا.

وفي النهاية ليس مرضك عضالاً فالزواج سوف يشفيك منه إلى درجة الشبع والملل.. ويومها سوف تتعجب كيف كنت تفكر بهذه العقلية والجنون في مسائل لا تستحق كل هذا الاشتهاء الملتاث.. ويومها سوف تدرك أن الخيال والفضول.. هما اللذان تأمرا

عليك وضخها اللذائذ لعقلك المشتت.. وأن الممنوع والمحجوب والمحظور والمستور والمجهول.. كانت كلها تعويذة اللعنة التي غلت عنقك طوال هذا العمر.

وفي الغابة أذكر أنى صادقت قبائل تعيش على الفطرة.. أفرادها عرايا حتى من ورقة التوت.. ومع ذلك يمر على الرجل أكثر من الشهر لا يباشر امرأة ويهجر الزوج زوجته سنتين بعد الحمل لا يقربها ولا يباشرها.

وهذا شأن أكبر اللذات حينما تسقط عنها جميع الأقنعة.

الخطاب ودسسته في يدها.. ومرت أيام وأنا لا أقابلها وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب.. ولكنها سعت إلى بنفسها وجاءتني وهي تبسّم وفي يدها رد على خطابي.. وكان ردًا حارًا اعترفت فيه أنها تبادلني الحب.. وليلتها بت طول الليل مسهدًا أتقلب على جنبى من الفرح..

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة.. وفى أحد الأيام لم أستطع أن أكتف السر عن صديقى صارحته بالحقيقة وحدثته عن حكاية الخطابات المتبادلة.. وهنا كانت المفاجأة فقد نظر إلىّ فى دهشة واستنكار.. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه.. وكلها بخطها وكلها تذوّب حبًا ووجدًا وهيامًا.. وبعض العبارات مكررة فى كلامها.. عبارات مثل:

أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين.. القمر مضى مثل ابتسامتك..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتي لها.. ومن تغزلى فيها. وأجمتنا الصدمة ولبثنا ننظر إلى بعض فى ذهول..

كان من الواضح أننا ضحية مهزلة مثلتها علينا نحن الاثنين.. وأنا نبكى ونسهر ونتعذب على لا شىء.. على كلام فاضى..

وذهبنا إليها لنلقى فى وجهها بالحقيقة.. فبكت واعترفت.. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين.. وأن حبها لنا ينمو معها منذ

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة فى ثلاثة أشخاص.. أنا وهو وهى. صديقان هى ثالثتنا.. تعارفنا.. وكنا نتزاور منذ الصغر. ونلعب معًا.. ونخرج معًا..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا.. وكانت هى تحكى لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية.. وكيف تطهو وتغسل وتكنس الشقة وحدها.. وتبكي بالليل دون أن يشعر بها أحد.. وكانت جميلة وطيبة..

وكبرنا.. وكبرت معنا.. وكبرت معنا آلامنا.. وكنا نتكلم فى كل شىء إلا الشىء الوحيد الذى يؤرقنا.. حينا.

كنت أحبها ولم يكن يشغلنى غير شعور واحد هو حبى لها. ولكنى لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب.. كنت أخجل منها ومن صديقى، وكنت أسمى هذا الحب صداقة لاخدع نفسى..

ولكنى لم أستطع أن أستمر فى الكتمان.. وراودتني نفسى أن أرسل لها خطابًا أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد وكتبت

الصغرى.. وأن كل واحد فينا صورة من الآخر.. لا تستطيع أن تفضل أحداً ولا أن تختار أحداً.. ولا أن تستغنى عن أحد.. هذه هي الحقيقة.. وليظن كل منكما ما تشاء له ظنونه.. ولكنى أحبكما.. وهذا حبي الأول والوحيد.

والمهم الآن أننا نحبها.. بالرغم من هذه الخدعة. وأنا لا أدري ماذا يدور في قلب صديقي.. ولكنى أعلم بما يدور في قلبي.. وأعلم أني أحبها أعبدها.. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل.. وأن حبي لها سيكون حبي الأول والأخير في الدنيا.. وحلمى الوحيد أن أتزوجها.. وأعيش معها.. ما رأيك؟..

لو أن الظروف جمعتكما مع أية فتاة أخرى لوقعتما في شرك حبها تماماً كما حدث مع هذه الفتاة.. وهذه دائماً حكاية الحب الأول في كل مكان.. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل.. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة..

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى.. ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج.

إنها الحرارة التي تبثها المراهقة. واللهب الذي يبثه الشباب حوله في كل مكان..

احتفظ بالخطابات.. لتقرأها حينما تكبر.. واحتفظ بالقصة كلها في الدرج معها.. إنها الآن تثير دموعك.. ولكنها غداً لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة..

احتفظ بالخطابات.. لتقرأها حينما تكبر.. واحتفظ بالقصة كلها في الدرج معها.. إنها الآن تثير دموعك.. ولكنها غداً لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة..

من تجاربي البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب والحنان الذي تبذله الناس في هذه الدنيا. أنا مثلاً.. عندما أظهرت لأبي - الذي كنت أظنه عصبياً قاسياً - حنانى.. وأبدت له حبى بدلا من خوفى.. وجدته يتحول إلى إنسان رقيق غاية في الرقة.. ورأيته يفعل المستحيل ليحقق لى رغباتى.. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى قاسياً.

وكذلك أمى لما حاولت أن أتفاهم معها بدلا من العناد، وجدتها تحاول أن تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات.

وعندما أعددت العشاء لإخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت لهم تحية المساء على ورقة.. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة.. وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف.

ما رأيك.. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى الحب.. أم أنى صغيرة كما تقول أمى.. ولا أفهم فى الدنيا.

أنت لست صغيرة أبدا.. ربما كنت صغيرة فى السن.. ولكنك كبيرة فى القلب والعقل.. أكبر منا كلنا.

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرًا كبيرًا من أسرار الدنيا.

الحنان

أنا مازلت صغيرة.. اعذرنى فى أسلوبى الضعيف، إنى أشعر بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى، وهم يحبوننى ويبادلوننى الإخلاص والتضحية.. وأخى كان مثلى وهو صغير، ولكنه فقد الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافاً جامداً. لا يؤمن بالعواطف.

وأبى وأمى أكثر منه جفافاً.. وأقل منه إيماناً بالحب.. وهم يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة.. وإن كل واحد فى الدنيا يجرى خلف منفعته.

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلى. ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه بالإنسانية.

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون وما السبب؟ هل هى الظروف؟

إن الإنسان يبدأ حياته.. يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة.. ثم يجف هذا النبع العاطفي في قلبه كلما كبر.. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أناني بخيل لا يحس إلا مصلحته ولا يجري إلا خلف منفعته.

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله.. ويزلزل ثقته في الدنيا وفي الناس.

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه.. وصديقه يستغله ولا يجد في قلبه رصيلاً يغطي هذا الفشل.. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النظارة ويجف ويقسو.. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها.

والسبب كما قلت أنت.. إنه لم يجد كفايته من الحنان.. لم يجده في الدنيا.. ولم يجده في قلبه.. فأفلس.

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر وشاخ لأنه يجد في نفسه القدرة على بذل الحنان دائماً مهما حدث له.. ومهما تلقى من صدمات.

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذي فقده.. ويسترد ثقته في الدنيا..

وهذا هو ما حدث لك مع أبيك وأمك.

إن مشكلتنا جميعاً هي كما تقولين في خطابك.. حاجتنا إلى الحب..

إن اعترافك الصغير البسيط هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت في كتابة هذا الباب.

لقد هناك أي لا أستطيع حرمك السلام بها بذلك من محمود

والسبب كما قلت أنت.. إنه لم يجد كفايته من الحنان.. لم يجده في الدنيا.. ولم يجده في قلبه.. فأفلس.

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر وشاخ لأنه يجد في نفسه القدرة على بذل الحنان دائماً مهما حدث له.. ومهما تلقى من صدمات.

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذي فقده.. ويسترد ثقته في الدنيا..

وهذا هو ما حدث لك مع أبيك وأمك.

حتى المشرفين الاجتماعيين في المدرسة ضحكوا عليّ.
وأخيراً قادتني ظروفى إلى جمعية روحية.. اشتركت فيها
وأصبحت عضواً مريضاً بها أعالج بالجلسات الروحية.
وتحسنت صحتى ولكنى لم أشف تماماً.. وكنت أشعر حينما كنت
أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود.
وانقطعت عن الذهاب.. وعدت طبيعياً.
ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبينى من
جديد.. والمشكلة أنها تسبب لى متاعب جسمانية لا علاج لها..
والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذا الحال.. لا أستطيع
أن أكاشف أحداً بهذه المتاعب.. حتى لا يتهمنى بالجنون..
ولا أعرف ماذا أفعل.

وأخشى أن تعود هذه الروح إلىّ وأرجو أن تمد لى يد المعونة.

أولا هذا كلام فارغ.

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ.. وحكاية الروح التى
اسمها نعيمة التى ركبتك وعاشرتها وعاشرتك معاشرة الأزواج
وفتحت لك مغاليق الغيب.. فأصبحت مكشوف الحجاب.. كلام
فارغ.. ولو كنت مكشوف الحجاب بصحيح لعرفت أسئلة
الامتحان وعرفت الأجوبة، ولكن فى إمكانك أن تذهب إلى
سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتى حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة.
وكان نتيجة لتحضيرى هذا أننى أصبحت اثنين فى شخص واحد.
فقد تقمصتني روح من الأرواح تدعى نعيمة.. وسيطرت هذه
الروح على تفكيرى لدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن
نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم..
وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة دون أن
أراها.

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة
الأزواج.

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولاً.. وما فائدة
التفكير وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه.. بالعمل
الذى أعمله بالطعام الذى آكله.. بالخطوة التى أخطوها.. بكل
شىء.. كل شىء.

وكان نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت
على الانتحار والجنون.. وبحثت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد

الرابحة.. ما دمت تعرفها مقدماً.. ولرقت فرحاً بهذا الزواج
الروحي بالسنت نعيمة بتاعتك فهو زواج مريح جداً لا يحتاج إلى
إيجار شقة ولا إلى عفش، ولا مسئولية بيت وأكل وشرب
وأولاد.. إنه لذة صرفة يا بلاش بدون تكاليف عليها بقشيش
كمان هو الاطلاع على الغيب مجاناً.

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابع ما دمت
تعرفه مقدماً.. واشتره.. واكسب ألف جنيه يومياً.. ولا تبك على
حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك.. وليه.. واحد يعالج
نفسه من مرض هو الجنة بعينها.

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ.. وأوهام في أوهام
وخيالات أوهمت بها إلى نفسك وصدقت نفسك.. وإيمان ساذج
رحت ضحيته. وأؤكد لك أنك ستشفى تماماً في اللحظة التي تفقد فيها إيمانك
- بتلك الأرواح الخرافية.

وسوف تفقد إيمانك في اللحظة التي تناقش فيها نفسك في
هدوء وثقة وبدون خوف.
وتأكد أنه لا شيء في الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان
فالإنسان قد أثبت أنه مخيف أكثر من الشيطان نفسه.. فهو قد
صنع القنبلة الذرية وطار في صاروخ إلى القمر.. وركب كوكباً دار
به حول الأرض.

ومن الذي ركب الكوكب ودار به حول الأرض؟!
امرأة اسمها فالنتينا.

يا رجل عيب.. فوق لنفسك مش عيب نبقى في عصر
فالنتينا.. وأنت في عصر نعيمة!.

والذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...

...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...
...الذي يقرأ هذا الكتاب...

سوى أثر باهت من جماها وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب..
لا طفل.. ولا طفلة.. ولا ذكرى.
قال لي خالى الطبيب الذى فحصها.. إنها لن تعيش أكثر من
سنة.

وبدأ كل منا ينفذ همومه إلى الآخر.
وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة.. هى رابطة الألم.
كانت تقول لى.. وعيناها دامعتان.
ما نفعى.. لقد انتهيت.. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلى.
ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعيني وقد ذابت شكوكى
على وقع كلماتها.

أخيراً.. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد.
كيف حدث هذا.. لست أدرى!
وتطورت الأمور بسرعة.. وعرضت عليها الزواج.
وثارت العائلة.. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ
والاحتجاج.

كيف تتزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التى امتصها
الرجال.. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك.. غنى
جميل جذاب.. لا ينقصك شىء..

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل. ولم تعد تصلح لشىء
وأنها مقضى عليها بالموت لا محالة.. فزاد هذا تمسكى بها.

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاشل انتهى بخيانة زوجية وطلاق..
أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والحراب والأعصاب الثالثة
والأرق والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع.
كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات
والمسكنات.

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذا المنغصات الجسدية.
هو الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس
من الدنيا.. ومن الوفاء.. ومن جنس النساء على إطلاقهن.

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية.. أتحرك مذهولاً شارداً
كشبح.. أعيش فى عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت
المجتمعات كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى.. منعزل
عن القهقهات المرححة.. غائب فى نفسى، فى التيه المظلم فى داخلى.

ظللت على هذه الحال حتى عرفتھا، كانت امرأة فى الأربعين
مريضة عليلة ذابلة.. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج في الأيام القادمة.

سوف أتزوجها مهما حدث.

الكل ضدى.. الكل يخذلوننى.. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب.

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حباً كما تتصور.. إنه مرضك العصبى الذى وجد دواءه فى هذه المرأة.. إن مشكلتك الحقيقية أنك فقدت الثقة فى كل النساء.. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها.

ولهذا استحال أن يتجدد حبك.

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة.

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى.. ولم يعد لها نفع.. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل. كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك.

ها هى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك.. ولا موضع خيانة.

وشعرت بالراحة.. فى أعماقك.. وفى أعماق عقلك الباطن..
وحينما قال لك خالك الطبيب.. إنها ميتة.. ولن تعيش أكثر من

سنة.. شعرت بالاطمئنان أكثر فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبداً.

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك الواعى يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها

حب.

ولكنها ليست حباً.. إنها عقابك لنفسك.. وسوء ظنك الذى تحكم فىك.. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض.

انظر إلى حياتك من جديد.. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة واترك المريضة لحالها.. وابحث عن امرأة تناسبك.

إن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

وإن الدنيا مليئة بالبنيات.. وبالإخلاص والحب والخير.

لم أعد أنعم بالهدوء والبساطة التي كنت أنعم بها وأنا طفلة.
أجلس بين زميلاتي في المدرسة، وكل واحدة تحكى أن لها
صاحباً تقابله من وراء أهلها.. والبعض يخرج من البيوت بريلة
المدرسة وتحتها فستان ميني جيب ويخلعن المريلة في أول تاكسي
وينطلقن إلى لقاء الحبيب الموعود في الجبلالية أو السينما أو الشقق
الخاصة.

وتتجمع نحن البنات حول من تحكى عن تجاربها الأولى في
الحب، ونستمع بأذان مشتاقة لهفانة إلى أول قبلة وأول عناق.

ومن هؤلاء البنات من تفتح حقيبتها فنرى أوراقاً بعشرة
جنيهات، وبالطبع نتبارى في الشتم واللوم والتقريع لأمثال هؤلاء
البنات ونقول عنهن: منحرفات ضائعات خاطئات.. ولكن
ما يكاد ينفذ السامر حتى تذهب كل واحدة منا وقد بدأت
تسج لنفسها وفي خيالها رواية طويلة عريضة وشريطاً من
المغامرات والانحرافات المكروهة المحبوبة لتعيش عليها طوال
يومها في الفسحة وفي الطريق وفي البيت وهي تمسك بكتابها وفي
البلكونة في ضوء القمر، وفي آخر الليل في الفراش حينما ينام كل
البيت ولا تبقى إلا مخدتها لتسهر معها وتبللها بالدموع.

وفي كل منا يبدأ صراع بين الممنوع والواجب.. بين إغراء
الجديد المثير.. وسيطرة التقاليد والدين ونصائح الوالدين..

أحب العيب وأحلم بالعيب

ترددت كثيراً قبل أن أكتب لك هذا الخطاب ومزقته وأعدت
كتابته أكثر من مرة.

وصليت ركعتين لله ليلقى منك الاهتمام فلا تلقه في سلة
المهملات.

وأعرفك بنفسى أولاً.. أنا طالبة بالثانوية العامة.. شكلى
عادى، ولكن كل من يعرفنى يقول عنى أننى شيك وجذابة.

أخواتى كلهن أصبحن عرائس في بيوتهن وماما وبابا كبار في
السن.

كل ما أطلبه في البيت أجده.. ولى حرية في الخروج كما أريد
وهنا المشكلة، فأنا من صغرى نشأت على هذه الحرية وعلى
الاختلاط بأولاد العائلة وكنت دائماً مثال الأدب.. ليس هذا
شكراً في نفسى ولكنها الحقيقة.

ولكن لا أخفى عنك.

منذ سنوات.. ومنذ بدأ البلوغ يخلق منى الأنتى الكاملة وأنا
في صراع.

وبالنسبة لمن تملك الحرية يصبح هذا الصراع عذاباً ممدوداً بطول الليل والنهار. وبالنسبة لفتاة مثلى أشعر أنه من المستحيل علىّ تماماً أن أقوم بأمثال هذه المغامرات.

ولكن مع ذلك، أنا لى مغامراتى.

منذ ثلاث سنوات وأنا فى الإعدادية كان هناك من يقف تحت شباكى.

كنت أراه فى الترام كل يوم وأنا ذاهبة إلى المدرسة وهو ذاهب إلى الكلية، وكنت أشعر بنظراته تتقافز على صدرى وتتجول فى شعرى المرسل مكان الضفائر التى قصصتها. ولم أكن أجد القدرة على رفع وجهى لأنظر فى وجهه.. وعلى البلاج فى الصيف كنت إذا رأيته يدق قلبى وينخلع من صدرى وأشعر به ينبض فى حلقي ويكاد يغشى علىّ من الاضطراب.. وكان يكلمنى فأموت خجلاً ولا أستطيع أن أرد عليه.

وبالطبع انتهت هذه الحكاية الآن وانتهت هذه العواطف الطفولية الخرساء إلى لا شىء.

لم يعد صاحبنا يقف تحت الشباك، ولم يعد يحاول أن يكلمنى وانتهت الحكاية بالنسبة له وإن كانت لم تنته تماماً بالنسبة لى.

وأحكى هذه الحكاية للبنات فيضحكن على سذاجتى.

وأسير الآن فى الشارع فتطاردنى المعاكسات وكلمات

الإعجاب، ولا أخفى عليك أنى أطرب كثيراً لهذه المعاكسات وأننى لو توقفت لحظة مع ذلك الذى يعاكسنى بكلماته اللطيفة، لأنظر طويلاً فى وجهه، مجرد نظر ثم يمضى كل منا إلى حاله.. وبالطبع أطرد مثل هذه الرغبة بسرعة وأسير فى طريقى.

وسوف تضحك علىّ إذا قلت إنى ما زلت أقف عند محطة سيدى جابر لأنظر إليها بعينين دامعتين.

كم أحببت هذه المحطة وما زلت أحبها.. حيث كان حبيبى القديم الذى لا أعرف حتى اسمه يلتقى بى ذاهباً إلى كليته كل يوم.

وفى أحيان كثيرة أشعر بالثورة على نفسى لدرجة الرغبة فى تدمير نفسى تماماً لأنطلق كما أشتهى بلا حواجز وبلا حوائل لأعيش كما تعيش البنات المنطلقات.. فى سنى.

وبين الثورة والعجز.. بين مد وجزر العواطف أتعذب.

وبين الخيال المستحيل والواقع المهذب المؤدب، أعيش وتعيش مثلى بنات كثيرات.. ولا أعرف ماذا أفعل.. أريد على الأقل أن أقتنع بحياتى وسلوكى وفضائلى.

أريد نصيحتك.

لا أريد المواعظ والحكم إياها فإنها لم تعد تؤثر فى.

ولا أريد أن أقتنع بأنى على حق فى طريق الحرمان الذى

اخترته لنفسى وإنى لم أحرم نفسى من شيء هو الحياة كما تقول البنات.

أريد أن أشعر أن الأدب والتهديب والفضيلة لها ما يبررها فعلاً لا قولاً.

كلمنى كرجل عصرى ولا تقل لى حرام وحلال وعيب ومش أصول فأنا لن أكذب عليك.

أنا أحب العيب.

ونفسى فى العيب.

وخيالى كله يحلم بالعيب وينام فى العيب ويصحو فى العيب، وأريد أن أشعر أن هذا العيب هو بالفعل عيب وأنه ضد الحياة..

وليس الحياة كما تقول لنا الأغاني والأفلام التى تصور لنا كل يوم أن هذا العيب هو نعيم الحياة وبهجة الدنيا.

أريد أن أصحو من هذه الكذبة التى زينتها لنا الكتب الرخيصة، وموضة العصر التى تقول لنا كل يوم إن الحشيش هو الغذاء الصحى.

وكيف نفيق من غرزة الحشيش.. ونحن مغروزون فيها.

م. ع.

اسكندرية

لن أخاطبك بلغة الحرام والحلال.

وأكثر من هذا سوف أوافق معك ومع البنات إياهن على أن إشباع الشهوة ربما كان مسألة لذيدة لمدة الخمس دقائق.

ولكن الحياة ليست هى هذه الدقائق الخمس أبداً، وليست

أهداف الحياة وغاياتها هى هذا الإغماء العابر اللذيذ فى الفراش،

وهذه الدقائق من المتعة العاجلة التى تعقبها الرغبة فى النوم، ثم

لا شيء ولو أننا استهدفنا هذه الغايات فقط لظلنا قروداً على

الشجر وبهائم تسرح فى الغابات.. ولما اخترعنا الكتابة والقراءة

والورق والبارود والصواريخ والراديو والتليفزيون والقطار

والطائرة.

إن الإنسان الآن مشغول بالصعود إلى القمر والارتحال فى

الفضاء إن الإنسان أعظم بكثير مما تتصور صاحباتك البنات

المهفوفات. وبين إطلاق الشهوة بغير حدود وبين ضبطها..

بالإرادة والعقل يبدأ الإنسان.. إن الإنسان إنسان لأنه لم يترك

شهواته تقوده، ولم يترك أهواءه وعواطفه تسيره وتحكمه، وإنما هو

الذى قاد هذه الشهوات وحكم هذه الأهواء والعواطف.. وكان

سيدها.

وما تظنيه حرية هو فى الحقيقة عبودية.

التي تخلع مريلة المدرسة لتلتقط أول تاكسى إلى شقة صاحبها

حيث تخلع باقى ثيابها، هى إنسانة فقدت حريتها فلم تستطع أن

تقاوم رغبات حواسها العاجلة وأصبحت عبدة لها تجرّها أعضاؤها التناسلية من شقة إلى شقة، أو تجرّها أطماعها المادية، وهذا أسوأ، فجعلت من جسمها مادة للتجارة وهذه درجة من الاستعباد أبشع وأذل.

ولكن التي استطاعت أن تسكت صوت شهوتها لتستمع إلى صوت عواطفها هي امرأة أكثر حرية.. والتي استطاعت أن تتحكم في عواطفها وتسكتها لتستمع إلى صوت عقلها وتتحكم في جميع طاقتها وتسودها وتقودها في طريق تحقيق المعرفة والمحبة.. هي الإنسانية.. وهي مثل مدام كورى سوف تخترع وتكتشف الراديوم وتنقذ به ملايين المرضى وتغير به التاريخ وتؤثر في الحضارة.

وفرق كبير بين القردة «شيتا» التي تهersh طول الوقت بين فخذها وبين مدام كورى الإنسانية المستنيرة الجميلة في إنسانيتها. والمسألة ليست مسألة حرام وحلال فقط وإنما مسألة جمال وقبح. والله لم يحرم علينا إلا كل قبيح.

وليس أجمل في الدنيا من مريلة المدرسة.. لأنها رمز للإنسان ورمز لقدرته على سيادة جميع الخوافز الحيوانية.. واختيار طريق الحرية الصحيح والإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية الكثيرة التي ولد بها ليضع نفسه في النهاية في خدمة العلم والتقدم والحياة وليس في خدمة هذا الهرش الجنسي الذي لا يدوم أكثر من خمس دقائق.

وليس معنى هذا أن نخنق الحب ونقتل نوازع أجسادنا إلى النهاية وإنما العكس. لئلا نختار زواجا قبيحا نستهلكه نحن نفعل هذا لأننا نحترم الحب ونريد أن نجعل منه عاطفة دائمة ووسيلة إلى بناء أسرة واختيار زوج، والوصول إلى متعة طويلة الأجل لا قصيرة الأجل، ومحبة مستقرة لا شعلة غرامية تنطفئ في أيام وتترك الندم والحسرة لباقي الحياة.

وواضح جدا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدي إلى الزواج.. ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على الاختيار الواعي السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية ويولد الإنسان من الحيوان.. وتولد مدام كورى من القردة شيتا لا بد من الحرمان.. لا بد من المعاناة.

أما التي تخلع ثيابها عند أول زوبعة من زوابع المراهقة، والتي تلقى بنفسها بين ذراعي أول مراهق يعاكسها على محطة ترام وتظن أنها حرية، فإنها تخطئ الفهم.. فهي لا تمارس حرية.. وإنما القرد هو الذي يمارس فيها تجربته.. لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار في يد القرد الهائج داخلها.. وهي فاقدة للاختيار تماما.. فأى رجل يظهر في شباك الجيران هو

روميو.. وأى ذكر يلقي عليها كلمة في ترام هو الحبيب الموعود..
والهلوسة العاطفية التي يتبادلانها في البداية هي أعذار ومبررات
ليصل كل منها إلى حضن الآخر بطريقة ظاهرها محترم فيكذب
على نفسه ويكذب على رفيقه.. ولا يظهر كذب الاثنين إلا فجأة
وفي النهاية حينما يشبع القرد ويبدأ الملل بعد انتهاء الدقائق
اللذيذة.. يبدأ كل واحد يقفز إلى شجرة جديدة بحثاً عن دقائق
جديدة ينسى بها الخيبة التي أعقبت الدقائق القديمة.

والأخلاق ليست مجرد أوامر ونواه.. وليست قيوداً.. إنها
القيود التي يضعها الإنسان على مخالف الحيوان بداخله وليست
أبداً القيود التي يضعها على يديه الإنسانيتين.. وبهذه القيود تصبح
يداه أكثر حرية وانطلاقاً.

هل أنا واضح.
وهل بإمكانك الآن التفكير في وضوح برغم غرزة الحشيش،
وضباب الحشيش التي تعيشين مغرزة فيها أنت وغيرك من
البنات في أغاني الإذاعات وأفلام التليفزيونات.

وما هي النظافة؟

كانت جارتى..

تبادلنا النظرات.. ثم الإشارات.. ثم تلاقينا.. لتبادل الهمس
وليضغط كل منا على يد الآخر.. ثم ذهبنا إلى سينما وفي الظلام
وشوشت في أذنها بكلمة الحب.. ولثمت يدها وخذها..

وبعد شهور اختليت بها في بيتي وأعطتني نفسها.. جسماً
وروحاً.. ومنذ أيام.. كنا نتكلم أنا وأبي وأمي.. ولاحظت أن أبي
وأمي يتبادلان النظرات والابتسامات.. ثم قالوا لي إنها خطبا لي
عروسة.. وذكرنا لي اسمها..

ودار رأسي.. واظلمت الدنيا في عيني.. فقد كانت هي نفسها..
جارتى.

وكان أبي وأمي يتكلمان في براءة..

وكانا مسرورين.. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة.. ومن
أصل طيب.. ومن المدرسة إلى البيت.. ومن البيت إلى المدرسة..
ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول.. ولم تطلع عليها سمعة سيئة
مثل غيرها من بنات الجيران..

وكنت أسبح في عرقى.
ولقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة الطيبة
التي لا تعرف مياعة بنات اليوم.

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها. ودلعها. وخسارتها.
ولأول مرة.. حينما بدأت أتصور أنها زوجتى.. أحسست أنى
أكرهها.. بكل ما فى كلمة الكراهية من معنى.. ولا أطيق رؤيتها.
لقد كان حلمى.. طول حياتى.. أن أعثر على امرأة طاهرة..
أن أبني بيتى على حب طاهر نظيف.
ترى.. هل فات الأوان.

كان يجب أن تكره نفسك أولاً.
وكان يجب أن تبحث عن الشيء النظيف فى داخلك أنت
أولاً..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى اختليت بها.. ثم
بصقت عليها.. واعتبرتها غير نظيفة.

غير نظيفة لماذا؟ لأنها صدقت كلامك.. وطاوعت رغبتك..
إن ما فعلته من ندالة هو درس مفيد لكل بنت تطاوع ضعفتها
وتستسلم لرجل.

سجن بدون قضبان

ترددت كثيراً فى الكتابة إليك خوفاً من ألا تفهم موقفى..
وتتهمنى بأنى دلوعة.. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شىء.

أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمري.. تخرجت من
الجامعة من مدة ليست طويلة.. وحالتى المالية ميسورة ومظهرى
حسن.. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف، وعدم
اهتمام بأى شىء فى الحياة مما يجعل أيامى وليالى غير محتملة..
فأنا أستيقظ من النوم حاملاً على كاهلى هم وعذاب، إنى
سأعيش يوماً جديداً كاملاً.. ٢٤ ساعة.. ولا أتصور كيف ستمر
على كل هذه الساعات فليس لدى أى شىء اهتم بأن أشغل
نفسى فيه وأكون سعيداً بانشغالى به.. وإنما على العكس أنظر إلى
كل شىء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام.. ولا أعرف كيف
أفسر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياتى إلى جحيم لا يطاق
ودفعنى للتفكير فى الانتحار.

لقد أحببت لأول مرة حباً جارفاً ملاً على كيانى.. ولكن
بالرغم من هذا.. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من

الداخل.. لم يكن يظهر على شيء من هذا الشعور.. ولم أصرح
حبيبتى بأى شيء.. وإنما كنت أقف لأحدثها بمنتهى البرود
وكنت أعبدها.. وأعبد التراب الذى تمشى عليه.. وكان المكان
الذى تذهب إليه هو عندى أحسن الأمكنة.. والساعة التى تحضر
فيها أجل الساعات.. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان
تذهب إليه.. وأجلس إليها طوال الوقت أستمع إليها وأتحدث
معها وأنظر إليها، وكان قلبى يدق حينما أكلمها ولو فى التليفون..
وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها، حتى يهتز كيانى كله.
وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئاً.

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أتعس إنسان فى الدنيا..
وأصبحت مهموماً شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شيء..
وتزوجت هى وأصبح حبى شيئاً مضحكاً ومزرياً بالنسبة لى..
فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبى.. وانهمكت فى دراستى
بالكلية لأنساها.. ومرت سنتان.

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن
مقدار تفاهتها.. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك.

تمر على أيام.. لا أحس بأنى أرغب فى شيء.. لا أريد أن أقرأ
أو أخرج أو أسمع موسيقى، أو أمارس أى هواية من هواياتى..
وإنما أظل ممدداً على سريرى لا تصدر منى حركة.. ويمر الوقت
بطيئاً مملاً ثقيلًا وأنا كالبركان الثائر من الداخل.. كلى اشتمزاز

ونفور من حياتى بهذه الطريقة. بالتالى رغبى.. بالتالى
لم أعد أهتم بأصدقائى.. ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى
كانت تسعدنى فيما مضى كالموسيقى والقراءة والسينما والنادى.
وهكذا أعيش وقد. عدمت كل شيء حتى الذكريات..
فذكرياتى سخيفة تافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم.

لا أظن أن لديك نصيحة أو حلا.. والحقيقة أنى لم أكتب
منتظرًا أى حل.. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء
والتعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر
الفرص والوسائل لديه ليكون سعيدًا.

إن شخصيتك غريبة.

إن فىك انطواءً يدفعك دائمًا إلى أن تمضغ انفعالاتك فى قلبك
ولا تنطقها.

لقد عشت فى بروفة حب.. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو
تجربة.. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال.. ولكن فعلته
جنبنا وخجلا وترددًا.. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج
منها.

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك.. وانتهت فى داخلك دون
أن يسمع بها أحد.

وهأنت ذا تسلك فى حياتك كما كنت تسلك فى حبك.. تمضغ

انفعالاتك.. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار.. ثم لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوز إلى عدم الاهتمام.
إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطل.. كل شيء فيها مضر.. وممكن.. ولكنه غير واقع.

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعي وليس بها جهاز تنفيذي.. ومثل هذه الدولة تعيش في النظريات ولا تفعل شيئاً.
إن ما ينقصك ليس الحب.. ولكن العمل والبت والإيجابية والفعالية.

افعل شيئاً أى شيء.. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شيء.. ومن الحركة تتولد الرغبة.. ويتولد الاهتمام.
إن نجاتك الوحيدة في العمل.

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تختنق يوماً بالطاقة التي تفور داخلك ولا تجد لها منفذاً تعمل فيه.. وسوف تنتهي إلى أسوأ النتائج.

الاختيار

تزوجت في سن الخامسة عشر رجلاً يكبرني بنحو ٢٠ عاماً تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة، كل ههما الثراء والمركز والمكانة التي تليق باسم العائلة.
حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة وصراخ وبكاء.. ولكني لم أفجح.
وباعوني كلهم.

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه.. رجل قبيح الخلقة والخلق.. بخيل.. شاذ الطباع.. شديد المعاملة.. كل كلماته أوامره.. كان لا يعود بيته قبل الثانية صباحاً تفوح منه رائحة الخمر.. يترنح.. ويشكلم.. بقم معوج.

وتمضى لحظات الفراش ثقيلة.. هو من ناحية جلف غليظ في مغازلته.. أنا من ناحية أعاني الخجل والاشمئزاز والإحساس بالهوان.

وكنت أشكو لأمي كرهى له وعزمت على النوم وحدي..

وكانت تنهرني وتقول لي كرهك وحبك لنفسك ضعيه في قلبك.. أما جسدك فهو ملك له.

وسمعت كلامها.. وبدأت أترك له جسدي كخرقة بالية لا حراك فيه ولا روح.. وأنجبت أربعة أولاد.. وأنا أتعذب.. وأكتم في نفسي.. حتى انهارت أعصابي.. وأصابني ضغط الدم والقلب.. وبدأت تتناوبني الأمراض.

وبدأت أبتعد عنه جسمانياً. كان هذا منذ اثني عشر عاماً.

أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينها أراه يدق قلبي بشدة ويكاد يتوقف وتتناوبني حالات عصبية.

ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه.. وأصبح لي جناح وحدي في البيت.. وله جناح وحده.

وإلى الآن لم يطلقني.. وهو يقول.. إنه لن يتركني حتى أصبح غير صالحة له أو لغيره.

ولكني لم أعد صالحة له ولا لغيره.. منذ الآن. لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة أولادي كبير وأصبحوا شباناً.. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة.

والآن أريد أن أستريح.

أريد الخلاص منه بأي طريقة.. إنه لا يريد أن يطلقني

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزي ومركز أولادي ومركز العائلة لا يسمح.. لا أريد فضائح.

أفكر في تغيير ديني لأصبح محرمة عليه.. ولكني أخاف من الله. كيف يكون خلاصي.. إني تعيسة.

إن العجيب في خطابك هو صبرك العمر الطويل.. هذه لسنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من ضغط الدم والقلب والانهيارات العصبية والمقاطعة الجسدية، ثم في النهاية إلى عدم تبادل الكلام.

وأخيراً وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب الباهظة أحسست أن الحياة أصبحت لا تحتمل. وأنه لا بد من خلاص.

وأى خلاص؟! خلاص يتم بمعجزة.. بدون ان يطلقك.. أو تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين.. وتقولين.. أولادي.. عائلتي.. مركز العائلة لا يسمح.

ولكن أمك حينها زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضاً.. مركز العائلة لا يسمح.. اسم العائلة يستدعي.. إلخ.. إلخ.

كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاخترت لك زوجاً ذا لقب وأطيان.

وتعدت العمر كله لأنك عجزت عن البت في مصيرك.. كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات.. وأنت مثل أمك تخافين على هذه الاعتبارات!

واتخاذ أى قرار في الدنيا يحتاج إلى التوضيح بشيء.

نحن نقامر بحريتنا واختيارنا في كل لحظة. وأنت تطلبين الأمان.. وهذه نتيجة الأمان.

أنا أعرف الشيء الذى يرهقك.. إنه ليس كره زوجك. ولا ضغط أمك.. إنه ضعفك.. ضعفك أمام اللحظة الفاصلة. لحظة اختيار المصير.

ولكنك تنسين أنك اخترت وانتهى الأمر، وأن هذه ثورة بعد

فوات الأوان.

وإن الأكرم لك الآن الصبر والتوضيح بهدف الحفاظ على كيان الأسرة أفضل من الطلاق بلا هدف.

حقيقة المشكلة

أنا طيب حديث التخرج.. ناجح في عملي كما كنت ناجحاً في دراستي.. حالتى المالية من عملي ومن إيراد خارجى متيسرة جداً.. أمتلك سيارة.. وشقة خاصة.. مؤهلاتى الشخصية ممتازة.. رياضى متفوق فى أكثر من لعبة.. صحتى جيدة.. شكلى جميل.. أنيق جذاب.. ذكى.. محبوب من الجميع.. خفيف الروح.. بارع فى اكتساب الصداقات.. وفى استهواء القلوب.

بدأت تجاربتى مع الجنس الآخر فى سن مبكرة، من الخامسة عشرة.. وكانت لى علاقات كاملة منذ تلك السن.

أنا الآن عضو فى أحد أندية القاهرة.. وملك هذا النادي غير المتوج على قلوب الحسان.. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التى أحببتها هى التى لم أحظ منها بأقل اهتمام.

وقلبى الآن موزع بين ثلاث فتيات.

فتاة أعبدها ولا تحببني.

وفتاة أخرى تعبدنى لدرجة الجنون وحاولت الانتحار وأنا لا أحبها.

وثالثة لا أحبها ولا تحبني ولكننا نتمتع معاً إلى أقصى حدود
المتعة.

إني أعيش الآن في يأس.. وقد كفرت بالحب.. وخلت حياتي
تماماً من الجانب المضيء.

ماذا أفعل لأكسب فتاتي التي أحبها.

* * *

إنك في اللحظة التي تكسب فيها هذه الفتاة التي تدعى أنك
تعبتها.. سوف تضعها في خانة.. فتاة تعبدني ولا أحبها.. ثم تبدأ
في علاقة جديدة.. إنك شاب هلاس.. كل همك أن يكون لك
عرش.. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان.
إن ما يعذبك من فتاتك.. ليس حبك لها.. ولكن حبك لنفسك
وغرورك.. الذي حطمته هذه الفتاة لأول مرة.

ولن يكون همك هو أن تبادها الحب أبداً.. وإنما سوف يكون
همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك.. وتثبت لنفسك أنك ما زلت
فارساً.. ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ في
البحث عن أخرى.

إن خطابك الذي يتألف من ثلاث صفحات.. يحتوي على
صفحتين كاملتين.. تتغزل فيهما في نفسك.. جاذبيتك.. جمالك.
صحتك.. شفتك الخاصة.. عربتك.. حالتك المالية.. ذكائك..
مهارتك في استهواء القلوب.. نجاحك في عملك وفي دراستك

وفي الوقت الذي تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك
تحترق.. تسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب
من ناحيتك ولا من ناحيتها.. ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب
وبلا عاطفة.. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذي تدعيه.
إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة.. التي
كسرت شوكتك وحطمت غرورك.. وأرغمتك على احترامها
وعبادتها.. وحينما تفهم كل فتيات النادي.. كيف يعاملنك
ويكسرن أنفك الجميل.. سوف تنصلح حالك وتتأدب.. أيها الملك
غير المتوج على دولة الهلس.

ليقول للآخر.. أحبك.. أعبدك.. أنت حياتي.
كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ. القلب...
وأهلى يرون أن الحكاية كلها فاجعة.. ولا يوافقون ويهددون
ويتوعدون.. وأنا حائر.
هل أتزوج الفتاة.. أم أتركها.. وأعيش في أحضان القلق
والإسراف والإرهاق؟؟
وكيف أتزوج كما تزوج الناس.. وأنا لم أعد أعرف شيئاً اسمه
بنت ناس.. وحب.. وانتظار.. وخطوبة.. وشرف وكرامة وسعادة
زوجية.

* * *

إن اليأس هو المأذون الذي سوف يعقد زواجكما.. كلاكما
محطم يانس غطى قلبه الصداً وفقد البريق والنضارة.. وكلاكما
بنخبط.. هي مطلقة تعاشر مطلقها وتزوجك في نفس الوقت..
وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخبص وتضع يدك في يدها
وأنت لاتعرفها ولاتفهمها وتطلب منها الزواج.
إن العلاقة بينكما مفقودة تماماً.. وكل منكما يعيش في عزلة عن
الآخر.. مغلق على مأساته.. ومشكلته.
وما يربط بينكما هو التعب.. والضجر.. والملل.. ومثل هذه
العلاقة مقضى عليها بالفشل.. إنها مثل المولود الذي يولد ميتاً.
أصرف النظر عن هذا الزواج.. واقطع علاقتك بالمرأة..

التعب

أنا شاب في الرابعة والعشرين.. تركتني خطيبتي قبل شهر
ونصف بعد حب ملتهب.. وبدون سبب.. لتتزوج من غيري في بلد
بعيد جداً.. تحملت الصدمة بمرارة.. ثم بدأت أسلك طريقاً سيئاً.
أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتي أبذل الواحدة
بالأخرى على قدر ما معي من نقود.. ثم تعرفت على امرأة ذات
سلوك يسميه الناس بالسلوك السيء.. علمت أنها مطلقة
ومازالت على علاقة بمطلقها.. عرضت عليها الزواج فوافقت..
أشعر نحوها بما يسميه الناس حباً.. ولا أية رومانتيكية.. وهي
أيضاً علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شيء اسمه
حب.. وهذا سوف تلحقها بعد لحظة من الحب.
أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة.

أنا أشعر بالحاجة إليها.. ولكني لا أفهمها.. وأحس بأن جميع
عواطفها مغلقة أمامي.. ولم أر منها سوى بعض دموع في أول
اجتماعي بها.. وهي تشعر بالحاجة إلى.. ولكن ليس لديها حماس
وأشعر بها باردة خاملة بين يدي.. ولا يجد أحدنا الشجاعة الكافية

وبكل النساء.. وأقضى بضعة شهور في صوم وتفكير.. حتى تستعيد شهيتك الطبيعية.. وإقبالك على الحياة.. وأشواقك القديمة.

إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يمضى في علاقاته.. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة في فمه.. وتشوه أحكامه دون أن يدري فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر.

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب.. نحتاج إلى راحة طويلة.. تماماً كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا فالعواطف كالدم واللحم والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد.

عدم الإمكان

أنا سيدة جميلة في العشرين من عمري.. بدأت حياتي بطفولة تعيسة.. كان أبى غنياً.. ولكنه بخيل جداً.. شرس حاد الطبع، يتهور لدرجة القسوة. فيضربنا جميعاً ضرباً مبرحاً.. والعجيب أنه كان يضرب أمى.. والأعجب أنه كان يضرب أمه.. وألفاظه جارحة قاسية لأقصى حد.. يدخل المنزل مقطب الحاجبين.. ولا يلقي كلمة تحية.. فينزوى كل من فى البيت فى رعب.

وكان أبى يضطهدنى أكثر من باقى إخوتى لأنى كنت دائمة الرسوب.. ولم يكن يعلم أنى أرسب بسببه.. وبسبب الرعب الذى وضعه فى قلبى.

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات.. فبدأت أنجح فى المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى.. وأحببت المدرسة.. ومررت سنتان.. وأنا على تفوقى ونجاحى.. ثم بلغت السادسة عشرة، وبدأ الخطاب يتقدمون لى.. وأبى يضغط علىّ لأتزوج.. وكنت أسمعته يقول: إن البنات نكبة على الحياة.. وإن الزواج هو الحل الوحيد للخلاص منهن.. وكان أحياناً يشتمنى.. ومرة يضربنى ومرة أخرى

هددني بالقتل إذا لم أتزوج.. وأمي كانت في هذه الأحداث بين نارين.. فهي تعطف علينا.. ولكن ما باليد حيلة.. وهكذا وجدت نفسي مجبرة على الزواج.

وصدقتي، لقد ألقوا بي كما يلقون بكلب في الشارع، ووجدت نفسي مع رجل طيب يحبني ويعبدني ويغار عليّ، ولكنه بخيل.. وسمج، لا يعرف الذوق في ألفاظه ولا في معاملته، دائم النقد لكل الناس.

وبرغم أن زوجي كان أكثر عطفًا من أبي فإنني كنت أسعد حالًا في المدرسة.. كانت لي هوايات أمارسها.. وكانت لي شخصية وكانت لي أحلام.. كنت أحلم بأن أجرب الحب.. وأذوقه.. ولكن كنت أخاف من الحبس في البيت والضرب والقتل.

أما الآن فإنني أشعر أن حياتي انتهت.. ولم تعد لي هوايات.. ولم أعد أتمتع بالجلوس مع صديقاتي.. ولم أعد أجد لذة في ثرثرة زمان.. فقدت صبري.. وفقدت آمالي.. ولم أعد أطيق شيئًا.

الشيء الوحيد الذي أصبحت أحبه هو الخروج بشرط أن أكون وحدي.. أسير في الشارع.. ترن في أذني الموسيقى.. ولكن زوجي لا يحب الخروج.. ويلازمني في كل خطوة.

إن زوجي عبء.. عبء فظيع.. وأولادي عبء.. وبيتي عبء.. لا تقل لي.. أحبي زوجك.. فهذا مستحيل.. لا تقل لي اشغلي نفسك بهواية.. أو دراسة.

إنني أشعر بهبوط في نفسي باستمرار.. وهبوط في جسدي وصداع أليم.. وعجز عن كل شيء.. لا تبخل عليّ برد سريع أرجوك.

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة.. وقد أعطتني رسالتها لأقرأها قبل إرسالها إليك.. وقالت لي إنها لا تشعر أنها رسالة مقنعة.. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك.

والواقع أن أختي حالها أفظع بكثير مما وصفت لك.. إنها ساهمة.. شاردة.. منهوكة القوى دائمًا كأنها خارجة لتوها من عمل مرهق.. كانت عاطفية.. ولكنها الآن تهرب من العاطفة.. ولا تطيق سماع أغنية فيها عاطفة.. إنها تريد الهروب من كل ما يمت لواقعها بصلة.

إنني قلقة عليها كثيرًا.. وخصوصًا أن صحتها في تدهور.. لا تنصح لها ياسيدي بالطلاق.. لأن لها أولادًا صغارًا من زوجها.. ووالدي كما وصفته لك.. لا يحب أحدًا.. ولا يطيق مجرد إنسان معه في المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه.

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية لاشيء تفعله الآن سوى الشرود.. والشرود في لاشيء.. أتمنى أن تساعدنا.

* * *

سيدتى..
أنت سجينه فى بيتك.. ولكنك قد سجنتنى أنا أيضاً فى
أفكارى.. وكتفت يدى.. وجعلت كل الحلول غير ممكنة.. وغير
مقبولة.

وحينما يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه
المنافذ.. لا تبقى له إلا بطولة واحدة.. هى بطولة الخضوع
والاحتمال.

وعزائك أننا جميعاً مثلك إلى حد ما.. أبطال قصة مفلسة
فاشلة.. نهايتها الموت.. رغم كل أحلامنا وآمالنا.. كلنا نذبل على
فروعنا.. ونموت عطشانين.. والماء حولنا.. والشمس فوق رؤوسنا.
اكتبى قصتك على فصول طويلة.. فأسلوبك.. جميل.. وأنا
أحب أن أقرأ شيئاً عن الصعيد.. كيف يعيش هناك الناس..
ويفكرون.. ويحلمون.. ويموتون.

بالصدفة

أنا شاب فى العشرين.. فى كلية الهندسة بالاسكندرية.. مرح..
بسيط.. منطلق.. وإن كنت فى داخلى أعانى فراغاً عاطفياً هائلاً..
وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة.. لأعرف النساء ولا أقربهن..
فالحقيقة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام.. ولى خبرة
بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون..

تعدت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام
وأجلس على مائدة لا تتغير.. أتناول عليها قدهاً من الشاي
واللبن.

وفى مساء يوم منذ شهر تقريباً دخلت إلى المحل سيدة سارت
بين الموائد واتخذت لها مكاناً.. بالصدفة المحضة.. بجوارى..
وطلبت.. بالصدفة أيضاً قدهاً من الشاي واللبن.

سيدة لم تتجاوز الثلاثين.. كل ما فيها يجبرك على أن تحترمها..
نظراتها الهادئة.. مشيتها المتزنة.. وتصرفها الرزين.. ومظهرها
الذى ينم على أنها فاضلة.. جميلة.. وأنيقة.

وكعادتى.. لم أهتم بها.. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول

عنها معتقداً أنها لا بد في انتظار شخص ما.. رجل أو امرأة.. وبعد حوالى الساعة نادى الجرسون وأعطته ثمن ماتناولت وانصرفت. فى المساء عند نومى لم أعلق على الأمر أهمية.. بل لم أذكره كلية.

وفى نفس الموعد فى اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى وتناولت الشاى واللبن.. ولم يحضر أحد لمقابلتها، وبعد ساعة انصرفت.

وتكرر حضورها يومياً وبدأت نظراتى تفضحنى.. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك.

وبعد أسبوع.. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاى على مائدة واحدة.. ولم أكن أتوقع أن توافق.. ولكنها وافقت فى الحال.. ويومها كنت أسعد مخلوق.. وتبادلنا حديثاً بسيطاً لأثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب.. وانصرفنا على أن نلتقى غداً.

وتقابلنا.. وعرفتها.. وعرفتنى.. وتكرر لقاءنا حول أقذاح الشاى نتناول حديثاً كله بساطة.

ثم بدأنا نتمشى معاً كل ليلة على الكورنيش.. يدها فى يدي نتهامس ونتحاكى.. وكنت أحياناً ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها فى خجل وتنظر إلى فى عتاب.

وعرفت عنها حينئذ كل شىء.. إنها متزوجة.. تعيش فى

زواجها.. فزوجها يكبرها بعشرين سنة بخيل ومختل العقل يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة.. حكى لى هذا وهى تبكى.. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه.. لأن ضميرها لا يطاوعها.. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة.

ومن يومها وأنا لا أنام. طيفها وخيالها يطاردانى فى كل لحظة.. وقلبى يعذبنى.. وضميرى يؤنبنى لأنى أغريها بصدائقى على علاقة لا ترضاها.. أحس أنى ذئب.. وأنها إنسانة طيبة وديعة.. ألقته الصدفة بين يدي.

ماذا أفعل.. إنى أعيش فى قلق دائم.. وعذاب. لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية وافترقنا بعد أن تواعدنا على اللقاء. ولكنى أعيش فى سرحان وشروء دائم.. أفكر فيها وأتذكر كلماتها وضحكاتها.

ما نهاية هذا الحب.. الزواج.. وكيف أتزوجها وهى متزوجة؟ إن الشعور بالإثم يقتلنى.. ووجهها البريء الفاضل النقى يطاردنى فى كل مكان. ماذا أفعل.. وأنا بين نارين.. حبى ودراستى.

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم.. فلا
أظن أن الأمر حدث بالصدفة كما ظننت.

ولا الصدفة هي التي جعلتها تطلب الشاي باللبن مثلك..
ليست الصدفة هي التي جاءت بها على الكرسي بجوارك..
ولا الصدفة هي التي جعلتها توافق في الحال على مشاركتك
المائدة.. وتؤنسك بحديثها المهذب الرزين.. ووجهها البريء
الفاضل النقي.

لم تكن ذنباً محنكاً كما ظننت نفسك.. وإنما أنت في الغالب
الصيد.. وهي الصياد.

هذا مع احترامي لخبرتك وجولاتك وصولاتك في عالم الغرام.
وقصة الزوج الذي يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول..
والقسوة والضرب.. والألفاظ المقذعة.. هي في الغالب حكاية
لأصطياد احترامك وشفقتك واسباغ ثوب من الشرعية على هذه
العلاقة.. حتى تنمو وتؤتي أكلها.. وانت طبعاً أكلها.. يا عزيزي
الذنب الغلبان.

وفر شفقتك.. فأنت أحوج إليها.
واحتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى.

وفكر في مستقبلك ودراستك.. ولا تضع وقتك.. فهي لا تضع
وقتها مثلك.. وأغلب الظن أنها الآن في القاهرة تشرب الشاي
واللبن مع ذئب آخر خبير في النساء مثل سيادتك.. بالصدفة..
طبعاً كالمعتاد.

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبني.. وتحدثت يوماً
بالتليفون.. ونخرج معاً مرة أو مرتين كل شهر فنذهب في نزهة
بريئة إلى إحدى الضواحي.

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت.. وضغطت على
يدها ضغطة خفيفة، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على
ظهرها قبلة.. فردتني بلطف وأدب وأفهمتي أنها لا تحب هذا
الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذي
تستهويه هذه الأمور.. وأنها إن كانت تخرج معي وتحادثني في
التليفون فإنما تفعل هذا للمرة الأولى في حياتها.. وعلى حساب
أعضائها.. ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقته.. واقتنعت.

هي آنسة في العشرين أو جاوزتها قليلاً.. خريجة جامعة
القاهرة.. تشغل في الوقت الحالي وظيفة جامعية.. على درجة
كبيرة من الجمال.. تمتاز كباقي أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة
الحسنة.. وهي موضع احترام الجميع.

أما أنا.. فشاب جامعي في الخامسة والعشرين.. أشغل إحدى

المهن الحرة.. عادى فى كل شىء.. عرفت قبلها كثيرات ومارست
معهن كل أنواع الهوى والحب.. أعرف فى الوقت الحالى فتاتين
غيرها.. أزاول معها حماقات شبابى بقدر معقول.. وبدون ارتباط
مع أيهما بشىء.. أحب صاحبتى جداً.. وأنتوى الزواج بها هذا
العام.. فما رأيك؟

ما رأيك فى هذا الحب الذى ظل أفلاطونياً طيلة هذه السنوات
الثلاث؟

إن أصدقائى يقولون لى.. أنت عبيط.. خيبة.. مش عارف
توصل.. دى عاملة ثقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك.
وأقرأ فى القصص.. عن القبلات.. والأحضان.. وعن الفتاة
التي تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذرى.
هل صحيح أن كل المتمنعات كاذبات وممثلات؟..
ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلاً.. وعفيفة فعلاً..
وتريد فعلاً أن تحتفظ بأجل ما فى الحب لما بعد الزواج..
أجبنى بصدق أرجوك.. ولا تحاول أن تطيب خاطرى.

واضح من كلامك وحسب قولك.. أنك عرفت بنات كثيرات
مارست معهن كل أفانين الهوى والحب.. وأنت حالياً تعرف فتاتين
فى وقت واحد تمارس معها حماقات شبابك.
ومعنى هذا.. أن الشىء الوحيد الذى رشح صاحبتك للزواج

فى نظرك.. أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات.. هذه رخصة
الزواج الوحيدة فى نظرك.

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية.. إن صاحبها يحدثها
عن التحرر.. والعقلية العصرية.. وحق التمتع بالحب.. إلخ..
إلخ.. ثم يغدر بها فى النهاية ولايتزوجها إذا طوعته فى هذا
التحرر.. وينكشف لها فى النهاية عن رجل محافظ أشد محافظة من
جدها.. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها.. ومعنى هذا أن المشكلة
بالنسبة للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق.. وإنما أصبحت
مشكلة اختيار السلوك المناسب.

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك
بالضبط كما تصرفت.. لأنها لو تهاونت لحظة فى أى شىء..
لضمنتها إلى طابور الفتيات اللاتي تمارس معهن حماقات شبابك.
ليست المشكلة هى مشكلة تمثيل.. أو تصرف على الطبيعة لأن
٩٠% من الرجال محتالون لايتصرفون على الطبيعة.. وإنما يدعون
إلى حريات لا يؤمنون بها فى أعماق نفوسهم.

هناك عملية كذب عام شامل منظم بين الرجال.. لاتجد البنت
أمامه مفرأ من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذى يناسبه.
تزوج صاحبتك.. ولا تتساءل.. فليس لك الحق فى هذا
التساؤل.

إن صاحبتك هى الوحيدة التى فهمتك.. وكشفتك.

كوبرى السعادة

أنا آنسة في الستين.. عشت حياتى الطويلة المريرة كالكوبرى الممدود عبر ثلاثة أجيال.. لم أعرف الحب.. ولا الزواج. فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له.. وفى الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج.. فحملت أطفاله.. والآن وقد كبر أطفال الأطفال.. وتزوجوا.. وبدأت أستقبل على صدرى الهضم الضامر.. أبناءهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياتى.

أنت لاتعرف معنى أن تعيش على الشاطئ.. وتقضى فى الحرمان ستين عاماً.. وأنت عطشان.. لايمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه.. فأنت رجل.

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خلقوا للشارع والمدرسة والنساء خلقن للمطابخ.

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة.. وكان ثمن هذا الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرحه.. أطبخ وأغسل وأمسح البلاط.. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة، وأعاون أبى على تحقيق حلمه الكبير.

كنت الثمن الذى دفعه جيلنا من لحمه ودمه.. لتدخلوا الجامعة وتتعلموا.. وتقولوا للعالم.. نحن الرجال.

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية. كنت أمًا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى.

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا.. أحس أنى غريبة فى عالم غريب.. عالم ملئ بالثرثرة والغرور والحب والإلحاد والثورة.

بناتى وصبيانى الذين رببتهم ومنحتهم شبابى وعمرى.. ينظرون إلى كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة.. ويسخرون منى لأنى لأفهم الوجودية والسياسة والحب.. ويضحكون على.

لقد انتهت دولتى.. ومطبخى الصغير احتله الطاهى.. ولم يبق لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة.

كنت أطمع فى شىء واحد.. هو التقدير.. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه.

كم أنا تعسة.

أيتها الأم الكبيرة..

إن بناتك اللاتي يقرأن فى الوجودية.. والسياسة والحب.. لايفهمن شيئاً من السياسة ولا من الحب.. ولسن جديرات بأن يكن خادما لك..

أنت الحب يا أماه.. وأنت الشرف والواجب والتضحية
والفضيلة.

لقد ارتضيت أن تكوني الضريبة على الأجيال الجديدة..
الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية.. التي
تسلمها الرجال خالصة من يديك.

إن كل هذه الثروة والمعارف هي بعض من فتات موائدك..
فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك.. فاغفريه.. فهذه خلة
الأنبياء أمثالك.. وكفاك إحساس المرأة التي خلقت شيئاً عظيماً.
إني أنحنى احتراماً لك.. وأقبل يديك.. يا مريم الطاهرة.

النضج المبكر

أنا فتاة في السادسة عشرة. في المرحلة الثانوية.. محبوبة من
كل من حولي.. حساسة جداً من الناحية الدينية، فأنا مثلاً أتمسك
بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء، وكنت أصاب
بمحالات من البكاء والعصبية والرعدة بعد ليال أقضيها في
الصلاة والدعاء.. ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيراً.
أحب السحاب الأبيض وأبكي عند رؤيته.. وأحب القمر..
والمطر.. وأحلم بالملائكة والآخرة، وأقضي الساعات الطويلة في
قراءة القرآن.. ولكني للأسف الشديد لا أعتقد أنني مؤمنة إطلاقاً
فكثيراً ما كنت أفكر وأنا في وسط صلاتي، أنه قد لا يكون هناك
إله!

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا.. ولكنني أشفق عليهم
إلى حد غريب، وأخاف على شعورهم لا أكثر.
أغلب أصدقائي من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم.. ولما
كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت
تصرفاتي رجولية إلى أبعد حد.. فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون

جلجلة.. ومشيتي عسكرية.. وتفكيرى خشن فظ. كنتفكير الرجال
ولا مانع عندي من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل.. وأغلب
وقتي أقضيه منظوية مع الكتب.

بدأت مشكلتي عندما لاحظت أني أصبحت أحلم كل ليلة
أكثر من عشرة أحلام، فأصبحت أحلم أني عارية تماماً أمام والدي
ينظر إلى نظرة حنان غريبة.

وبدأت أتعد من ناحية والدي.. بدأت أفكر أني شاذة..
وأخاف من شذوذى.

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعوراً غريباً
ناحيته.

وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها.. فقد بدأت أشعر بنفس
الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير.. فكنت أخاف من أن ينام
جانبى.. وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمئزة عندما يلمسنى بيده
صدفة.. وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر!

والآن.. أو بالأصدق.. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريباً.. انتبهت
لنفسى وأنا أفحص زميلاتي فى المدرسة.. وأقول تلك جميلة جداً..
وهذه حلوة.. وهؤلاء مقبولات.. إلخ.. إلخ.

.. وعادت مشكلتي من جديدة.
هل أنا شاذة.. هل من الممكن أن ارتكب هذه القذارات..
بالأمس كانت ستنام أختى الصغيرة معى.. فهربت من

الفراش لأنام على الأرض.. وأمضيت الليل فى خوف ودوار
وابتهال إلى الله.

أنا الآن أفكر فى الموضوع وأتساءل.. هل أنا واهمة؟..
هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى؟! هل لأنى
بعدت تماماً عن جو الفتيات؟ أم أن السبب هو شدة خوفى من
الخطأ. أم أنى شاذة حقاً.. ولم..؟!.. ولم أفعل أى شر أو أودى
مخلوقاً، هل الله يكرهنى لأنى كفرت به.

وسأحاول مساعدتك.. فأنا لا أعتبر نفسى جميلة.. وأنا
خجولة وحساسة جداً.. وجياشة العاطفة.. وأقول لك حادثة قد
تساعدك.. فقد حدث وأنا صغيرة جداً أن فعلت معى فتاة كبيرة
شيئاً قبيحاً.. مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتها وذلك
لغرابة الأمر بالنسبة لى.

هذه مشكلتى.. وهى مشكلة تتفاقم معى يوماً بعد يوم..
وأشعر بأنى أكره نفسى.. وبأنى أود تعذيب نفسى.. ولا أعرف
لهذه الآلام نهاية.

أرجوك لا تحتقرنى.

أنا لا أحتقرك.. وإنما على العكس.. أنا أشعر أنك إنسانة
فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعى بالنسبة لسنك..
فأنت أكبر من سنك بكثير.. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك

واستجلائها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال
أو النساء.

ومشكلتك الحقيقية كانت في هذا الوعي والنضج المبكر.. وفي
الحساسية المفرطة التي تستقبلين بها كل حدث.. حتى أنك لتبكين
لرؤية السحاب الأبيض.. وترتجفين لرؤية القمر.
ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذي حدث لك
حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحاً.. مثل هذا
الحادث.. كان كفيلاً بأن يقلب حياتك.

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكوني رجلاً حتى لا يتكرر
عليك مثل هذا الاعتداء.. فمشيتك وضحكك المجلجلة هي
ضحكة الرجل.. وبالمثل مصادقتك للرجال والحفاظ على
أسرارهم.. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه
جميلة جداً.. وهذه حلوة.. وهذه مقبولة.. وهذه شفتاها مليئتان..
إلخ.. إلخ.. هي نظرة رجل.

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة في حضنك هو خوف من
أن تتكرر هذه الحادثة.. وأحلامك بأنك لست عذراء.. هو خوف
آخر نبع من تلك اللحظة المشؤومة.. فأنت تخشين أن تكوني قد
فقدت عذريتك من تلك اللحظة.

وأحلام التعلق بالأب والأخ.. قد تكون معناها أن الأب
والأخ هو نموذجك للرجل الذي تريد أن تكوني على مثاله..

وقد تكون هي المرحلة الوجدانية الطبيعية التي قال عنها فرويد..
وهي المرحلة التي تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها.. وهي
مرحلة عابرة.. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين
الرجال الآخرين.

أما سر العذاب الذي يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التي
لجأ إليها عقلك الباطن هي حلول غير سليمة.. فأنت لست
رجلاً.. أنت امرأة.. فياضة الأنوثة جياشة العاطفة.. ٢٥
والسلوك الرجولي الذي تخيله عقلك الباطن مرفأً أماناً.. كان
بالنسبة لك إهداراً لطبيعتك.. وضياعاً لحقيقتك.. وهذا سر
عذابك.

وأياً كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة
السبب.. ووضعت يدك على العلة.
ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد.
وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة.. فإن المعرفة هي
مفتاح الشفاء النفسي.

دلوع..

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري تبدأ مشكلتي منذ عام ١٩٥٦، يوم حصولي على التوجيهية.. وكان حلمي في ذلك اليوم التحق بكلية البوليس.. وألبس ضابطاً.. ولكن الظروف خيبت أمني.. ألقى بي مكتب تنسيق الجامعات في كلية نظرية بالإسكندرية.

وانتقلت إلى المدينة.. واتخذت سكناً إلى جوار الكلية.. وشاركني في سكني زميل من البلد.

وفي الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلي يدخل البيت وفي يده امرأة من الطريق.

وتشاجرت معه.. وحاولت أن أطرد المرأة.. واشتد بيننا الخلاف.. ثم اتفقنا على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء.. على أن تكون هذه أول وآخر مرة.

وشتمته في ذلك اليوم بأقذر الألفاظ.. قلت إنه سافل وعاهر داعر.. وإني بريء منه إلى يوم القيامة.

وأغلقت بابي.. وجلست أغلى من الغيظ.. وأستغفر الله.

ومرت ساعة. انقلبوا على أذانهم وأذنوا بالصلاة. ثم بدأت أسمع الأصوات والحركات في غرفته. ثم مررت ساعة أخرى، قمت بعدها وأنا أتصيب عرقاً. وطرقت الباب.. ثم دخلت في خجل لأعذر له وأطالب بنصيبي في الغنيمة. ومن ذلك اليوم تغيرت حياتي كلها. تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة.. شربت الخمر وعرفت البارات الرخيصة.. دخنت المخدرات.. ذقت كل أنواع الهلس.. مع المومسات.. والخادومات.

وكانت النتيجة طبعاً أني رسبت بدرجة ضعيف جداً. ولم أخبر أسرتي حتى لا يقطعوا عني النقود ولكن أُمي عرفت وعاتبته.. فأجبتها ثائراً.. إني سوف أترك الدراسة.. وأبحث عن عمل.. وإني لا أريد منهم ملياً.. وكانت النتيجة أنها بكته.. وقبلت رأسي.. وتوسلت إلي أن أعود إلى دراستي.. وتعهدت لي أن تدفع لي مصروفاتي.. وكل ما أطلبه.. وأقسمت ألا تخبر أبي بشيء.

وفي هذا العام تركت شقتي.. وسكنت في بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلي ورسوبي.. بالإغراق في الخمر.. وبالإغراق في معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التي تعدت سن الأربعين.

والمشكلة الآن أن أبي يعتقد أنى في السنة الثالثة.. وباقي لى
على الليسانس سنة واحدة يتيمة.. وهو يعد العدة ليفرح بى.
خطب لى بنت رجل غنى جداً.. واشترى لى سيارة ليقدّمها
هدية لى على شطارتى.. وهو ينتظر يوم السعد.. يوم تخرجى.
وأبى رجل طيب حج سبع حجّات.. وأمى لا تستطيع أن
تفجعه فى.. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة.. والحقيقة لا بد
ستظهر.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل.. أنتحرر.. أم أهرب من الدنيا
كلها.. أما ماذا؟! *

ذاكر ياأخى.. إن المذاكرة ليست مخيفة بالدرجة التى تفضل
عليها الانتحار.

إن أكبر خطأ ارتكبه أمك.. أنها بكت.. وقبلت رأسك،
وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك.

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك.. وتعمل.. وتتشرد..
وتجوع على الأبواب.. وتتعلم الأدب.. وتحس بأن الحياة جد..
وتفريق من الهلس الذى أنت فيه.

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة.
لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة.. إن مشكلتك
ليست سنواتك التى ضاعت.. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع
أحتماً.. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية.

هنا مصلحة فى أن تظهر الحقيقة.. وأن تصدم.
أنت فى حاجة إلى صدمة.. وقسوة.. وعنف لتفريق.. وإلا فأنت
مقضى عليك.

لن تصبح رجلاً إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع.

كان أبى يعنف أختى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويغريها
بالمذاكرة.. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث
شئ يتوقعه.. ويربت على كتفى ويقول فى سعادة.. إنت قمورة..
مدارس إيه؟!.. إتنى تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى
وراكى.. والعريسان بيوسوا إيديكى..

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث.. كان أبى يتناقش مع إخوتى
ويدخل فى معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا وكأنا التفكير
كلفه غير طبيعية بالنسبة لى.. وحينما كنت أحاول الكلام كان
يردنى بركة قائلاً.. عاوزه تقولى إيه يا ملكة، إنتى تأمرى بس..
إنما الرغى ده للفراشين إالى زينا..

وفى اللحظات التى كنت انطق فيها بملاحظة ذكية.. كانت
تفوت على الذى يستمع إى.. لأنه كان منهمكاً فى التطلع إلى
وجهى وقد نسى كل شئ..

لم يكن أحد ينظر إى بأكثر من أنى زينة.. مجرد زينة.. ليس لها
أن تقوم بأى دور جاد..

وبدا يداخلى شعور بالتفاهة والهيافة فلا أحد يشركنى فى
همومه، ولا أحد يوكل إى بسر يخشى عليه أو يعمل يحرص
عليه.. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع..

وكان طبيعياً أن أفضل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى
البيت.. ثم أتزوج وأنا صغيرة..

والله كونهن ناله أن تقبضها أن يلقى الأذى...
شأنه الألبان...
خطب لى بنت رجل غنى جداً واشترى لى...
عندى الشالون...
وأى رجل طب ح ح سيع حجات.. وأى لا تستطع

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين.. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين
تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذاً.

شعر يتماوج كالذهب.. وجه أبيض وردى.. عيون زرق.. فم
دقيق.. قوام باريسى.

حيثما سرت فى الشارع.. تتبعنى الشهقات والتأوهات..
وكلمات الغزل.. وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تنخلع من
أكتافها.

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى
ومن يعرفوننى ومن لا يعرفوننى.. إيه الحلاوة دى يابنت.. إيه
الجمال ده.. إيه السحر ده..

لا أحد حاول أن يسمعنى.. لا أحد حاول أن يفهمنى كلهم
كانوا يتفرجون علىّ ويقلبونى بين أيديهم كالدمية.

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شئ أو يطلب منى شئ..
أو أنى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلما لى وجه وقوام.

وكان زواجًا تغييسًا.. أتعس ما فيه جمالي.. فزوجي لا يصحبنى
في خروجه لأن جمالي فضيحة تلفت النظر في كل طريق.. وهو
يسجننى في البيت لأنه يغار على.. وهو يشك في سلوكى.. وهو
يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساسًا بجمالى وبالتالى يشعر بعجزه
عن أن يحكمنى فيزداد فى شكه وغيرته وقسوته.. ويزداد فى اسرافه
لكى يرضينى بالملابس الباهرة والجواهر.. وازداد أنا إحساسًا
بالتفاهة وازداد شقاءً.

حتى بطاقات الدعوة التى كانت تأتينا فى أفراح الأصدقاء
كان ينظر إليها فى شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من
أجل أن يرانى لا من أجل أن يراه هو.

وكان من الطبيعى أن ينتهى مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق
وأنتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج.

إن جمالى كان لعنة على.

إنى أتمنى الآن أن أفتح عينى فأجد أنى قبيحة.

إن إحساسى بجمالى أصبح مثل إحساس الغنى الذى يظن أن
كل من يحبه فهو يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته.. نعم..
أنا أيضا يخيل إلى أن لا أحد أحببى لشخصى.. وإنما جميعهم أحبوا
فى صورتى وهذا يعذبنى.. ويشعرنى بتفاهة شخصيتى ويحرمنى من
لذة احترامى لنفسى.

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة.. أبدًا.. فالثروة

نشقى.. والجمال يشقى.. والحب يشقى.. والعقل يشقى.. أين
السعادة إذن.. وأين أجدها.

السعادة ليست فى الجمال ولا فى الغنى ولا فى الحب ولا فى
القوة ولا فى الصحة.

السعادة فى استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء.

إن رؤية عقلك وهو عاطل.. وإحساسك بقلبك وهو عاطل..
وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك.. هو
سبب تعاستك.

لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك
فقط. بشكلك ومظهرك.

كنت كالفستق الذى نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون
وجميل.

كانت حقيقتك معطلة.. ومواهبك معطلة.. والسعادة هى أن
نعيش كل لحظة.. بكل ما فىنا.

ولكنى لا أجد ما يدعو إلى اليأس.. فمازلت فى العشرين.. فى
بداية الطريق.. وحياتك مازالت حافلة بالفرص.. ألق بالسنارة
مرة أخرى وجربى من جديد.

وفرغت من دراستي الجامعية.. وتوظفت.. وزوجني والدي من بنت عمي.

ولا أستطيع أن أقول إني أحب زوجتي.. ولا أستطيع أن أقول إني أكرهها. ولكنني دائماً أبحث عن سبب للنكد.. انفجر مرة من الغيرة على سبب تافه.. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم.. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدي في غرفتي حزينا تعيساً.. وأحياناً أبكي وحدي في موجة هذه التعاسة الوهمية.

وأنا أعمل الآن محاسباً في السكة الحديد.. وأعيش نصف يومي في الأرقام والحسابات والدفاتر.. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر في أعصابي.. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامي كلها.. وجفت عواطفني.. وتحولت الدنيا في نظري إلى محاسبات وتبادل منافع، وماتت أحلامي القديمة.. وماتت أشعاري. وأنا أتساءل أحياناً في ألم: أيمن أن تجني المهنة على صاحبها بهذه الدرجة؟

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد.. ماذا أفعل؟! *

تساؤلك في الحقيقة مضحك.. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة.. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه

جناية المهنة

منذ صغري وأنا أحلم بأن أكون شيئاً مهماً في الدنيا.. مخترعاً أو فنانياً.. أو زعيماً.

وفي مراهقتي أحببت جارتي التي كنت أراها واقفة في النافذة. وكنا نقف كلانا بالساعات في النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم. وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعري.. وكنت أبكي في فراشي كل ليلة.

ورسبت ثلاث سنوات بسببها. ومع هذا لم يحدث بيننا شيء لم نتكلم ولم نخرج إلى أي مكان.

وحينما علمت بنبا حطوبتها وزواجها.. مرضت ولازمت الفراش شهراً كاملاً.

وحينما قمت من فراشي حاولت أن أغرق همومي في هواية الموسيقى، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان في أوقات فراغي.. ولكنني توقفت في منتصف الطريق وأصابني الملل من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات.. واكتفيت بالتردد على المعهد كمستمع ومتفرج.

كستليته ويقول.. أنا تعيس.. ماذا أفعل أيمكن أن تجني على مهنتي إلى هذا الحد.

والمهنة في الواقع لا تخنق العاطفة وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجاراً.

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك.. ولا حبك..
مشكلتك هي أحلامك.

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئاً.. أن تكون مخترعاً أو فناناً أو زعيماً.. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكتفيت بأن تخترعه في خيالك.

قصة حبك كانت وهماً.. اخترعته أنت من طرف واحد..
واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات.

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهايتها بخيال المتفرج
الذي يكتفى بالوقوف في قاعة البروفات يحلم.

وكان لا بد في النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقيق
بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات في بيتك لتثير الشغب..
ولتصدر الأوامر.. وتحكم.. وتتحكم.

في النهاية اخترعت عذراً تسند إليه كل فشلك.. وهو مهنتك
الجافة التي سلبت عاطفتك.. وقتلت أشعارك العظيمة في مهدها.

قصتك تذكرني ببطل في إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم

بأن يكون صياداً خطيراً يصيد السباع في الغابة، وانتهى في النهاية
إلى رجل سكير يربي البط في غرفة ثم يدخل ليصطاده بالبندقية.

والحل الوحيد هو أن تواجه حياتك وتفتح عينيك على
واقعك.

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب.. عمري تسعة عشر عاماً. تعرفت بفتاة جميلة جداً وظريفة وصوتها أعذب من صوت شادية. من النظرة الأولى قلت لها.. أحبك.. وبينى وبينك قلت هذا لكى أبرر قبلاى.. ولكنها صدمتني بقولها.. أنت كذاب وكلامك فاضى.. هو الحب كده لعبة فى بقك تقوله لكل واحدة.. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى.. وشعرت بفداحة ذنبى.. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق.. وبكل جوارحى.

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها.. ولكن كلها علاقات على الماشى.. حب بالكلام فقط.. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة وأحياناً كنت أنتفع من هذه العلاقات.. كانت إحدى جارائى تبعث لى بأشهى ما يحضره أبوها من فاكهة.. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام.. وكنا نقضى معاً أوقاتاً سعيدة.. ثم أنسى كل شىء بمجرد أن أفارقها.

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جداً.. وانشغلت بها ليلى ونهارى

وغنت لى أغانى الحب والهيام.. مكسوفة لشادية.. علشانك أنت أنكوى بالنار والقح جتى.. ليلى مراد.. أول لقانا كان هنا.. باحلم بيك.. أغانى الحب كلها.. ووعدتها بالجد والمذاكرة حتى أنجح ونتزوج.. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحاً يومياً للمذاكرة.. وفجأة انقطعت عن مقابلتى.. ومرت شهور وأنا على نار.. وأرسلت إليها زميلة فى الكلية ومعها خطاب منى..

وعادت الزميلة لتقول إنها ستتزوج.. أبوها مصمم على أن يزوجه من يوزباشى.. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة أسبرين.. ولكنهم أنقذونى.. وزارتنى فى المستشفى.. وطيبت خاطرى.. وقالت لى إنى أخطئ كثيراً بهذه التصرفات.. ونصحتنى بأن أكون عاقلاً.. فكل ما بيننا لا يزيد عن صداقة.. وليس هناك داع لهذا الجنون.

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا اليوزباشى.. وتقابله كل يوم.. وتريده زوجاً لها.. ولا دخل لوالدها فى المسألة.

وشعرت بأنى أنهار.. وأتحطم، وأفقد ثقى بنفسى وأفقد كرامتى.. مزقت صورها لأستريح.. وأحرقت المنديل الذى أهده لى وعليه طبع شفتيها.. ولكنى لم أستطع نسيانها.. وفقدت مرحى وبهجتى.. وفقدت القدرة على المذاكرة.. وعلى النوم.. وصرت أسرح كثيراً.

كانوا يسموننى مهرج الكلية.. ولكنى الآن أسير كأنى أسير فى جنازة.

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى.. وشخصيتى..

أفكر أحياناً فى أن أضربها علقه ساخنة.. وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها.. ثم أعود فأجبن لأنى أحبها.

حالتى النفسية قلقة.. وأخشى الرسوب هذا العام. أحياناً أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى.. من فرط الأرق والتعب.. والعذاب النفسى.

سيدى.. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة.

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغانى الحب والهيام.. وتخرج معه.. ثم تجيء فى النهاية وتقول له.. هذه كانت صداقة.. وتتركه وتحب رجلاً آخر وتتزوجه.

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها.. ويلهف الأظعمة التى تطهوها أمها.. ثم يذهب بكل بجاجة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك.. تزوجينى.

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقدك من الأدب على يد صاحبك.

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك فى مستوى لعب البنات.. كلما خاصمتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك..

وعزتك وقعدت تعيط.. وترتعش فى السرير.

وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغانى شادية..

يبقى مش حا تخلص.

كرامتك حا تستحمل إيه.. والا إيه يابنى.. على مهلك شوية.

عنه في السجن بعد مبيت ليلة في السجن... لا يوجد أحد يطيقها.

الغولة

تزوجت في سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل.. كان هدفي الاستقامة والاستقرار.

وتزوجت موظفة.. وفي بحر أسبوع دخلنا.. ولم تكن عندي فكرة عنها.

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان في الدنيا.. انهارت آمالي لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات.. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة.. إذا لم تتشاجر معي تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إختها. البيت الذي أثنته بأفخر الرياش حولته إلى أسطبل ينام فيه الذباب.

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتي معها عبارة عن سباب بألفاظ تجرح العفة.. ومشاجرات ومحاضر في أقسام، وتحقيقات في النيابة.. وقضايا في المحاكم.

حاولت إدخالى السجن بعد سنة من زواجى منها.. ذهبت إلى البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها.. وحررت محضراً بهذا.. ثم

أفرجت عنى النيابة بعد مبيت ليلة في السجن... لا يوجد أحد يطيقها.

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم أن يزورها خوفاً من لسانها، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها. ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها، لأنها، وإنصافاً للحقيقة، برغم كل عيوبها.. امرأة شريفة.. ليست من ذلك النوع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام. ليست هي الزوجة التي يعيش معها الزوج وعيناه في وسط رأسه.

كنت دائماً وبرغم شراستها.. أعيش في نعمة الاطمئنان على أن عرضى مصون.. ولن يطوله أحد. لم يوجد الرجل الذى استطاع أن ينظر إليها نظرة.. كده.. أو كده.

وأنت تعلم ماذا تعنى هذه الراحة بالنسبة للزوج، وخصوصاً في هذه الأيام اللى يعلم بيها ربنا.. هذه الأيام التى تخرج فيها الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان.. والاسم مشاوير.. وهاتك يادوارة ومسخرة فى شقق الرجال العزاب.. والزوج الغلبان قاعد فى البيت بقرنين.. نهايته.. كان من الطبيعى أن أحتملها بكل قرفها.. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها فى سبيل راحة بالى.

حتى جاء يوم ومرضت مرضاً خطيراً.

ونسيت كل ما سببته لى من آلام.. وفعلت المستحيل من أجل إنقاذها لتعيش لأولادها.

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية. كنت أجوب القاهرة باحثاً عن الأدوية التى تلزمها.. وكنت أحياناً أسافر لأبحث لها عن دواء نادر.. حتى شفيت.

ولكن طبعها ازداد حدة وعصبية.. وأصبحت تثور لأتفه الأسباب وتطلب منى أن أطلقها.. فأطيب خاطرها وينتهى كل شىء.. ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر.

وآخر مرة عدت إلى البيت متأخراً بالليل، فوجدت الباب مغلقاً من الداخل.. ورفضت أن تفتح لى.. وألقت على موشحاً من النافذة..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق.. ولكننى فى نفس الوقت أشعر بالحيرة واليأس.

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق.. ماذا أفعل.. هل أتزوج مرة ثانية.. وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات الشارع اللاتى يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية.. بنات اليوم، اياهن.. وأبقى بالاسم زوج.. وأنا رايع جاى بقرنين.. على راسى.

أنا حائر.. دبرنى.

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات من أزواجهن.

ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلتك أنت.

أنت تشك فى البشرية كلها.. وتساء الظن بدرجة يستحيل معها أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة.

وهذا هو الذى حدث بالضبط.. لقد تزوجت غولة.. وكانت شرستها برداً وسلاماً على قلبك.. كانت بركات وحسنات بالنسبة لك.. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك. وأنت تخطئ جداً حينما تتصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه الدرجة.

تخلص من عقدتك وتزوج.. وسيبك من حكاية القرون دى. أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك.. فلا يوجد حل.. استمر فى معاشرة الغولة.. أو تزوج غولة أخرى.

واعترفت لها بدوري.. كيف كنت أحبها.. ولكن كيرياتي
كرجل أفسد على هذا الحب.. وحول حياتي إلى مشاغبات معها
ومع عائلتها.. انتهت بالطلاق.

وحكيت لها كيف يكيت بعد الطلاق.
وتدنت عيناها بالدموع وأنا أحكى لها قصتي..

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن.. وتواعدنا على أن
نلتقى مرة أخرى.

والتقينا مرة ثانية وثالثة.. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت
أن تسللت إلى قلوبنا وانقلبت حباً جارفاً.

وتيقظت عواطفى وكأني لم أر النساء طول عمري.
وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد.

لى قريبة زوجها يعمل بإحدى الدول العربية.. أخبرتها بكل
شئ.. فقالت لى إن شقتى تحت أمرى فى أى وقت.. وفعلا التقيت

بها وذهبتا إلى قريبتى فرحبت بنا وأعطتنا الحرية التامة.
وأصبح ترددنا على هذه القرية شيئاً عادياً.. وبمواعيد منتظمة

نراسمها معاً ويحرص شديد. أن نأخذنا
زادت مقابلاتنا.. وبرغم كثرة هذه المقابلات.. فإنى أقسم لك

أنا لم نفعل شيئاً.. وإنما نلتقى فقط فقط.
كنا نقضى الوقت فى الحديث.. ونتعاقق.. ونتبادل القبل،

ولا شئ أكثر من هذا.

تزوجت من رجل كان يملك ربحاً كبيراً.. وأنا لم أكن أعرفه
إقارها لى لاولادها.

ولم أحل عليها بالطلاق.. بل بقيت متعلقة بالطلاق
لميلاد صناعى

أنا فى الأربعين.. أعمل بالصحافة المصرية.. متزوج وعندى
عشرة أولاد.. أحب زوجتى وأتفانى فى تربية أولادى.. مستقيم.

هوايتى الوحيدة فى دنياى هى إنجاب الأطفال.
تزوجت قبل زوجتى الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من

عام لعدم الوفاق بينى وبين عائلتها.. فطلقتها.
وتزوجت هى من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال

فى خلال ١٤ عاماً.. كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتى الحالية.
والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة.

جمعتنا الظروف صدفة منذ عامين فى مكان.. فأخذنا نتحدث
ونحكى.. روت لى ما حدث لها.. ورويت لها ما حدث لى..

وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين.. وكيف كنا نختلف لأتفه
الأسباب ونتعارك.. وضحكت ونظرت لى فى طيبة وحنان.. وقالت

لى:
هل تعرف يافلان.. أنى كنت أحبك.. كنت أحبك جداً..

ولكنى عبيطة.. ولم أعرف كيف أحفظ بك.

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميري.. أشعر أنها تسرق
هذا الوقت الذي نقضيه في الحب من أولادها ومن بيتها.
قررت أن أضغط على نفسي وأبتعد عنها.. وكتبت لها أقول:
إننا غافلان نخوض في حب يملكه غيرنا.. حب مسروق.. حب
بلا هدف.. وبلا نهاية.. عودي إلى زوجك.. وليجمع الله بينكما في
الخير.. وتذكريني.. فهذا يكفيني.. وسوف أذكرك طول عمري.
وبرغم بعدى عنها.. فأنا أعيش في عذاب.. وأتخيلها معي في
كل لحظة.. وأفكر في مواصلة ما كنا عليه.. ثم أعود فأتردد.
والله وحده يعلم ما يكنه قلبي من الحب.
قل لي بربك ماذا أفعل؟

هذا حب غريب في نشأته وظروفه.
وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة.
لقاؤكما بعد ١٤ عاماً بعد أن أصبح كل منكما رباً لعشرة عيال
يجر جر وراءه حياة مملّة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام..
هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملة هي التي دفعتكما إلى صناعة
لعبة تلهوان بها.. لعبة اسمها الحب.. تعشان بها ما بقي من
أيامكما.

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعي.. وليس ميلاداً طبيعياً.
وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما.
وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفيقا أنتما الاثنان من هذا الوهم
الذي تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع.

أنا شاب خجول.. وربما يكون هذا عيباً كبيراً.. ولكن لا أستطيع أن أتلافاه.. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عاماً عشتها في كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستوراً لها.

أعمل في إحدى الشركات بالإسكندرية.. وهى، زميلة لى بالعمل توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملأ كل قلبى.

وحاولت أن أصارحها بحبى.. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها.. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة.

وكان معى فى العمل زميل آخر، رجل فى الثلاثين متزوج، له ولدان، وزوجته تعمل معنا فى الشركة.. وتوطدت صلاتى بهما وخصوصاً لأنى سكنت بجوارهما.. وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء. أسماها الحب.. تمنان بها ما فى

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل

ملاك أزرق

وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة.. فوعدنى أن يساعدى بشرط ألا أستغل حبى لأتسلى بالبنت.. وبشرط أن أتزوجها.. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج.. وأنى لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات البريئات.

وبالفعل ساعدنى.. فخرجنا معاً لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتى.. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة.. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختاً.. لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبها زوجها على نفس السرير.. وكثيراً ما تركتها وذهبت لإسكات الطفل.

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق.. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء، فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين. وتعددت مقابلاتنا.. وكنا فى كل مرة نقترّب من بعض أكثر، وكنت دائماً مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارتى لأقبلها أكثر من مرة.. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب شفيتها منى.. وكنت أخشى أن أدنس حبى.

وكان دائماً يدهشنى منها أنها كثيرة الهزار مع صديقى.. حتى أمام زوجته.. هزار مشين فى نظرى.. وليس صديقى وحده.. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتني أنفر منها.. وأعاتبها.. وأنصحها.. وبدون فائدة.

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيرتى.. وأن هذا

الهزار هو الأسلوب الأسبور للحياة.

وفي يوم شاءت الظروف أن تتأخر أنا وهى وصديقى وزوجته فى الشركة بسبب كثرة العمل.. يومها تحدثت معها حديثاً حلوياً.. وصارحتها بحبى وكانت لحظات من أجل لحظات حياتى.

ثم حدث أن خرج صاحبى.. وغاب بعض الوقت وطلبها.. فذهبت إلى مكتبه وغابت.. فذهبت حاملاً بعض الأوراق.. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه فى قبلة طويلة. وكانت صدمة عنيفة أفقدتني رشدى فجريت إلى مكتبى وارتميت عليه وأخذت أبكى.

ودخل صديقى.. وحاول أن يعتذر.. ثم جاءت هى بوجه زالت منه كل معانى الخجل.. جاءت وكأن شيئاً لم يحدث.. ولكنى طردتها بقسوة.

كان من الواضح أنها كانا يتخذانى ستاراً لإخفاء علاقتها الفاضحة عن أعين الزوجة.. وأنى كنت مغفلاً طول الوقت. وكرهت نفسى.. وكرهت حياتى.

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب.. وفكرت فى تقديم استقالتي من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح.. ولكنى فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار.. لقد ذهبت ضحيتها. أنقذنى.

أنت لم تذهب ضحيتها.. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك.

أنت المذنب من البداية.

إن صاحبك لم تحاول أن تبدو فى أى وقت على غير حقيقتها، لم تحاول أن تخدعك.

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام، فهى على الدوام فى حالة هزار مشين مع كل موظفى المكتب.. وهى تنام مع صاحبك وزوجته على فراش واحد.. وهى تحاول أن تجررك إلى تقبيلها، وأنت تخشى أن تدنس حبك.. يا سلام.

وأنت فى حالة خيال مستمر.. أنت مصر على أن تلبسها دوراً غير دورها.. أنت مصر على أن تعاملها كملاك.. وتحبها كملاك.. ملاك إيه يابنى.. دى ملاك أزرق.

والآخر تقول لى صدمة.. صدمة إيه؟.. فىن الصدمة دى، ده نهاية طبيعية جداً وظاهرة منطقية ومتوقعة.. واضح أن المكتب كله بيبوسها.. مش صاحبك بس.

فىن الصدمة هنا.

أنت أصلك مخبوط فى عقلك.

أنت المذنب.. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات ليست فيها.. إنها مخطئة فى حق نفسها صحيح ولكنها بريئة من دمك. امسح دموعك.. وقوم روح شغلك.. وتانى مرة ما تحاولش تفرض خيالك على الناس.

فأعجبتها الفكرة وأبدت استعدادي لمصاحبتها.. ورحنا نلف
على بيوت الأقارب واحداً بعد آخر حتى وجدناها بخير.. ورجعنا
في وقت متأخر في سيارة أجرة. وفي اليوم التالي جاءت أمها وبقية العائلة تشكرني. فتعرفت
عليهم وتبادلنا الشاي في طهارة وحسن نية.. ولم أشعر أكثر من
أنهم جيران طيبون.

وبعد شهرين ذهبت في رحلة إلى معسكر صيفي في
الإسكندرية وغبت عشرين يوماً.. ثم رجعت فقابلتني السيدة في
حرارة ودخلت خلفي في الشقة وهي تسألني عن الرحلة وعن
الإسكندرية في تلهف وخجل.. وفي عينيها بريق غريب وهي
ترتعد.. وانتهى المشهد بأن خطفت مني قبلة وجرت بعدها إلى
شقتها.

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة
طويلة.. ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذي تؤدي
إليه خلوة امرأة وشاب في العشرين رياضي ومكتمل الجسم.
وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف
أهلها بعلاقتنا.

وسافرت في العطلة الصيفية لعام ٥٨ - ٥٩ وكنت أتلقى منها
رسائل ملتهبة أرد عليها برفق وتعقل.. وعدت من البلد لتقابلني بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكي لي

البكاء لن ينفع

في ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحاني في الجامعة
وكنت أشحن عفشى في عربة العفش التقليدى لكل طالب
سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير.. وفي جيبي مفتاح أعطاه
لي أحد أصدقائي لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية.
ودخلت البيت ليلاً حتى لا يراني الجيران مع عفشى الحفير
وكان من عادتي أن أقوم بكل لوازمى البيتية بالليل.. أغسل
وأكتس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل.. وفي النهار أقوم بالطبخ
وفي إحدى الليالي، كنت راجعاً حوالى الثانية عشرة، سمعت
صوت بكاء ونشيج في الشقة بجوارنا.. ثم فتح الباب وخرجت
منه سيدة.. تجاوزت الثلاثين من عمرها، ممتلئة الجسم قليلاً طويلة
بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة
منذ أكثر من ثلاث سنوات).. ونظرت إلىّ في استنجاد وانفجرت
تبكى.. فقلت لها في خجل وخوف.. مالك.. فقالت والدمى خرجت
من الصبح وماجتش لدلوقت.. وهي واحدة ست كبيرة.. وخابئة
يكون جرى لها حاجة. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها علما
تكون هناك.

ما حدث مع أهلها.. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل غنى.. وكيف رفضت وأصرت على الرفض.. وبكت واشتكت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها.. وعرضت على الزواج فكانت مفاجأة بالنسبة لي.. ارتبكت.. ثم رفضت بحجة أني فقير.. وبأنى مازلت طالباً لم أكمل تعليمي.. وصغير السن.. أصغر منها بعشر سنوات.. فقالت وماله.. عندي ثروة تكفي وتكفيك.. وسأضع كل مالى بين يديك.. وأساعدك في تعليمك، وأخدمك أكثر من خدمة.. وقلت لها.. إن هناك أهلى.. وهم لا يوافقون على زواجي.. فقالت لا يهم أى شىء ما دمت أحبك وتحبني.. ولكنى رفضت بشدة.. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم وبه بكاء وصراخ.. وقبلات على يدي ورجلي والأرض التى أمسى عليها.. أحبك.. أعبدك ما أقدرش أعيش من غيرك.

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامى متورمة العينين من البكاء.. وارتمت على صدرى تصرخ وتولول بأن أهلها جلبوا لها عريساً آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه وهي لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات.. وكنت رقيقاً معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى أكبر منى بعشر سنوات.

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى.. تزوجنى ولو ليوم واحده لأسكت أهلى وأريهم العقد فيبعدوا عنى.. فوافقته لا أدري

كيف، ربما طيبة منى.. ذهبنا إلى محام تعرفه.. وكتبنا العقد. وكان عقداً عرفياً نظراً لاختلاف دياناتنا فهى مسيحية وأنا مسلم.. ورجعنا إلى البيت. واستمرت علاقاتنا كما هى.. نلتقى بالليل فقط.. وأنا فى شقتى وهى فى شقتها.

وكنت محافظاً على مبدئى فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها وغناها.. حتى السينما كنت أرفض أن تدفعها.. وأتظاهر بالمرض حينما تنفد نقودى.. وكانت تغار على من خادمته التى لم تتجاوز العاشرة.

واليوم وقد أكملت تعليمى وأخذت الشهادة وأصبحت أتطلع للمستقبل ولبناء حياتى.. حاولت أن أفتحها فى الموضوع لإنهائه ولكنها تشبثت وبكت واشتكت.

لى عندها خطابات وصور.. والعقد العرفى إياه.. وهى متشبثة بهذه الأوراق كما أنها متشبثة بحبى وتهددنى بأنها ستنتحر وستكتب أنى سبب انتحارها إذا طلقته.

وأنا لا أريد أن أكون مجرماً.. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان، ولا أريد أن أثقل ضميرى بأعباء لا يطيقها.

ولا أريد أن أكون فى نفس الوقت رجلاً عبيطاً تضحك عليه امرأة.. ولهذا أشركك فى مشكلتى وأطلب رأيك.

إنك لم تترك لي رأياً في الواقع.. فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار.. أنك لم تحبها في أي يوم من الأيام، هي التي اقتحمت شقتك وخطفت منك قبلة.. وهي التي كتبت إليك رسائل ملتهبة.. وهي التي عرضت عليك الزواج وهي التي قبلت قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم.. هي.. هي.. دائماً وأنت ساكت تعطيها فمك لتقبله.. وترد على خطاباتها برفق وتعقد عليها عرفياً من باب الشفقة.

واضح جداً أنك قد كونت رأيك من البداية.. ولست في انتظار رأيي فأنت قد اعتبرتها سد خاتمة.. مدة التلمذة.. وخلاص والزواج يا عزيزي ليس بالعافية.. والحب لا يمكن إنارةه بالإشفاق والتهديد بالانتحار.

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة.. ولن يجديها انتحار.. أو صراخ.. أو بكاء.. فأنت قد كونت رأيك من زمان.

البحث عن مقياس

أنا فتاة في العشرين.. أشتغل عاملة في شركة.. لي أسلوب في حياتي اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتي.. هو أن التزم في علاقاتي مع زملائي الأدب والاحترام فأكون صديقة لكل دون أن أكون حبيبة لأحد.. وأحتفظ بعواطفى لنفسى ولا أبتذلها وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى ما يسواش.. كانت نظرتي ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى.. وأبتعد عن اللف والجري.

وكان رأيي في غراميات البنات زميلاقي.. أنها ليست غراميات في الحقيقة.. وإنما هي مرمطة.

وكان أسلوبى هذا يلقي السخرية من الجميع.. البنات والرجال على السواء.. البنات يقلن عنى شيخة.. والرجال يقولون عنى رجعية.. ريفية.. طالعة فيها.. أليطة.. وعلى إيه ده كله.

ولكنهم مع هذا كانوا يحترمونى ويحسبون لي ألف حساب وكان أخى يوافقنى على رأيي.. ويعيش في حياته الخاصة

كما أعيش أنا في حياتي.. وكان هذا يعطيني القوة لأمضي في
طريقي..
ثم حدث شيء..

أحب أخى جارتنا.. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة.. وهو
نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها.. وكان يحكى لى أنه رآها
تمشى مع فلان على أنه خطيبها.. ثم تستبدل به فى اليوم التالى
رجلا آخر تقول أيضا إنه خطيبها.

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها قد
جرس الباب.. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق.. وإن آخرها
حاتكون زى الزفت.

وهذه الفتاة هى التى أحبها.. وتدلّه فى حبها.. ثم فعل ما هو
أدهى وأمر.. تقدم للزواج منها.

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت
نفسك تعلم أنها سيئة الخلق ومشيت مع عشرة غيرك.. أجبني لى
برود، إنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير من
التى لها مستقبل.. وإنما أحسن من البنت التى ليست لها تجارب.
وانهارت مثالياتي كلها دفعة واحدة.

ماذا جرى لعقولكم يا رجال.. كيف تهون عندكم العفة إلى
هذه الدرجة.. وماذا نفعل حينما نسمع هذا الكلام.
حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج

والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هى الطريق المسدود الذى
لا يوصل إلى شيء..
حاجة تحير.

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام. لأنه رأى
ماذا نفعل لنريح ونستريح.. قولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا.

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته..
المقياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة
مقاييس.

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى
لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها.. ومقياس الصلاحية عنده
أن تكون البنت خام. وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى
تحمل شهادة وتخرج وتعمل.

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدايرة، ولا يهمنه إن كانت
خسرانه أو مش خسرانه.

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى
ذوقه.. أن تنظري أنت إلى أخيك ويسقط فى يدك من الحيرة..
وتشكى فى نفسك وفى سلوكك.. وتنظري إلى البنت الخسرانة..
وتحاولي أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجي.. وأنت غير مقتنعة

بأسلوبها.. وأنت تحتقرينها في نفسك.. وتكون النتيجة هي الفشل
المؤكد في الزواج.. وفي الحبص.. على السواء لأنك عشت في لون
غير لونك.

لا تقولى ماذا يريدك الرجال منا نحن النساء.. وإنما قولى
لنفسك.. ماذا أريد أنا.

إن الرجال ألف لون ولون.. كل رجل له طلب.. وله حلم.
وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل الآخر.
الجيل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة.

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال، فسوف تعيشين كالحرباء،
كل يوم بلون وتخسرين نفسك دون أن تكسبى رجلاً واحداً.
حاولى أن تبحثى في نفسك أنت عما تريدن.

أنت مقتنعة بالعفة والأدب.. عيشى عفيفة مؤدبة وستجدن
رجلك الذى يتفانى فى حبك.. ويجد فىك أنت نموذج الذى يحلم
به.

حذار أن تنظرى حولك إلى ما تفعل البنات.. وإلى ما يقوله
الرجال.. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفاً.. سقوط فى نظر
الناس.. وسقوط فى نظر نفسك.. وهذه هي الكارثة.

إن أخاك واحد من الرجال.. والرجال ليسوا كلهم كأخيك
أبداً.. فالدنيا مازالت بخير والحمد لله.

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة.. تعليمى متوسط.. بدأت
حياتى فى سن السادسة عشرة.. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة
ياحدى المستشفيات وكنت فى تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدقق
بالمرح والحياة والنشاط.

وأقبلت على عملى برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا
العمل النبيل.. والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا
ويخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى فى مقابل عمرنا
الذى نبذله مجاناً للمرضى.

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به فى كل
مكان أثره فى نفسى.. فبدأت أفقد ثقى بالمثل العليا والأخلاق..
وبدأت أقول لنفسى.. إذا كان هذا رأى الناس فى الممرضة.. أنها
فتاة خليعة تمشى على كیفها، فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع
عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه.. ولماذا أجرى خلف
الشرف.. والشرف يتبرأ منى.

وبدأت أسهر.. وأتمتع بكل لحظة فى حياتى.. حتى أفقت فى يوم

وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمري.. ولم أعر بعد على حب عظيم أعتز به.. أو رجل نبيل أطمئن إليه.
كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين.. يبدون الحنان ليحصلوا على المتعة بأي ثمن.. ثم لا شيء بعد هذا.. كل حنانهم يتبخر.

غش.. وسفالة.. وانحلال.. وكذب.. في كل مكان.. وكل رجل. ورجعت بذاكرتي إلى الوراء.. وندمت حيث لا ينفع الندم. ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل.. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسي من أجل لذة أية لذة.. ورجل أي رجل.

ولكن المشكلة الآن أن الإنسان بيكبر.. وفرص الزواج تقل يوماً بعد يوم.
وأنا تعودت أن يكون معي رجل.. وأشعر أنني عاجزة أن أرجع كما كنت زمان.. واستغنى عن هذه الحكاية.

وكلما فكرت في المستقبل اسودت الدنيا في وجهي.. ورحت أبكى وأمزق شعري في حرقة ومرارة.

إن السحر الذي يستعبد الرجل ويخلب لبه.. ويجعله يطعم يجرى على المآذون ليتزوج.. هو عقل المرأة.. عقلها أولاً.. وعقلها ثانياً.. وعقلها ثالثاً.. وبعد ذلك جمالها وفلوسها وحبها.. إلخ.

وهذا طبيعي لأن العقل هو أهم شيء في الزواج.. وأهم ضمان في نجاح الزواج.. لأن الإخلاص عقل.. والوفاء عقل.. والقيام بمسئولية البيت عقل.. وتربية الأطفال عقل.. وتدير ميزانية البيت عقل.. ورعاية الرجل في مرضه وفي فشله وفي إفلاسه.. عقل.. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل.

عملية الزواج كلها عقل في عقل.

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل.. لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته.. وتتنازل عن بعض نفسها لتتقاسم الحياة مع رجلها الذي تنازل أيضاً عن طيشه وعينه الفارغة الزايغة.. ليعيش.

ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة.. فهذا لا يكفي ليغري الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلاً.

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا.

أنا أبخل حتى باهلس مع الفتاة السايبة التي تنتقل في طيش وترخص من رجل إلى رجل.. مهما كانت جميلة وساحرة.. لأنني أشعر أنني أدلق صحتي في بالوعة يدلق فيها الكل إفرازاتهم.. وإني أفوز بشيء لا قيمة له إطلاقاً.

والمرأة حتى ولو كانت.. صيدة.. لا تفوز باهتمام الرجل إلا إذا شعر بقيمتها وغلوها.

ونصيحتي لك.. أن تبذلي كل عقلك وذكائك.. وإذا استطعت
أن تقنعي رجلا واحداً بأنك إنسانة ذكية وعاقلة وأنتك يمكن أن
تكوني محل ثقة.. فإنك ستتزوجين قبل مضي هذا العام.
قنيتي الطيبة.. ولا تتسني بعلة الملبس.

الناس والظروف

بدأت حياتي في سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أني
رجل مسئول وأن علي أن أساهم في الكفاح من أجل بلدي..
ويومها انضمت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشغل
بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات في المدرسة الثانوية
التي أتعلم بها.. وكنت حينذاك طالباً في السنة الثالثة.
وكما يحدث دائماً في مثل هذه الأمور.. كانت النتيجة هي
الغرور.. والإحساس بالعظمة والأهمية.

وبدأت أعامل نفسي على أني رجل مهم.. وأنظر إلى نفسي
على أني زعيم.. وصاحب رسالة.. ولا يهم أن أرسب في الجغرافيا
أو الكيمياء.. فالزعماء ليسوا في حاجة إلى كيمياء.
ورسبت أكثر من سنة في دراستي الثانوية.. وقضيت سنوات
الدراسة دويل.

وكان يحدث أثناء موجات الاعتقال.. أن أتوقف عن نشاطي
السياسي.. وأبدأ في شغل فراغي بالاستغراق في شرب الخمر
والعلاقات النسائية.. وكلهن نسوة محترفات بالطبع.. وكانت

المحترفات كنت أجزل لهن العطاء آخر الليل دون أن أفكر في أن
أنال منهن شيئاً.

كنت أشعر أنهن نساء بائسات.. وإني أنا أيضاً رجل بائس
مثلهن.

وفي هذه المرحلة الحرجة من حياتي.. قابلتها لأول مرة.. في
بيت من هذه البيوت المشبوهة.. وكانت حاملاً في شهرها الثالث.

فتاة في العشرين ذهبية الشعر.. جميلة.. جماها هادئ طيب
بريء حزين.. لا تتكلم إلا قليلاً وتعيش في وسطها الرديء..
وكانها لا تنتمي إليه.

وقضيت معها ليلتي.. وتعدد لقاءنا.. مرة.. ومرات.. وعرفت
أنها تعول أما مريضة مشلولة.. وأخوات صغيرات في المدارس..
وإنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدوراً.
وتعرفت على أمها وأخواتها.

وحدث في هذه الأثناء أن جرحت في حادث تصادم واحتجت
إلى عملية نقل دم.. ومثل هذه العملية في قرينتنا تحتاج إلى يومين..
فالقريبة تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر ويطلب
عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف.. وإلى أن يحضر الدم يكون
الجريح في العادة قد شبع موتاً.

والذي حدث في تلك الليلة أني فتحت عيني فوجدتها جالسة
إلى جوارى.. وعرفت أنها تبرعت بلتر من دمها.. من أجلى..

المسألة تبدو لي جزءاً من الزعامة والباشوية التي أسعى للحصول
عليها.. فهكذا يفعل الباشوات أيضاً.. يشربون ويسكرون
ويعربدون مع النساء في أوقات الفراغ من الزعامة.

ودخلت كلية الحقوق.. وتخرجت محامياً.. وفتحت مكتباً في
القاهرة تعبت فيه كثيراً.. لم أكسب ملياً.. وفكرت في العودة إلى
بلدي لأمارس مهنتي.

وكان حظي في البلد أحسن من حظي في القاهرة بكثير..
ونجحت وكثرت الفلوس في يدي.. وانهالت القضايا على المكتب.

وكنت في هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين.. وكان
المكتب على كثرة شغله يترك لي نصف يوم فراغاً لا أعرف كيف
أملؤه.

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة لنعب
القمار.. أو نسكر.. أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا
من النسوة المحترفات.. وحيث نقضى ليالينا حمراء حتى الصباح.

وكنت قد نسيت أحلام الزعامة.. والباشوية.. والسياسة
العليا.. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص.. أغرق فيه كثر
وجدت لحظة فراغ.. ولكني في نفس الوقت كنت قد كبرت على

هذه اللذات.. وأصبحت لا أشعر بسعادة في هذا اللون المراهق
من الاستهتار.. كنت في الحقيقة قد كبرت على عاداتي القديمة
وفي أغلب الحالات التي كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة

وهكذا توطدت علاقتنا.. وبدأت تكشف لي الأيام عن روحها
الطيبة الشفافة.. ونفسها التواقعة إلى حياة العفة.. وكانت تقول لي
دائماً إنني أشعر أنني بحبك أنجو من الهوان.. إن حبك هو عذري
الوحيد الذي أتعلل به لأحترم نفسي.. أنا بدونك إنسانة ميتة
إنسانة ساقطة تماماً.

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين.. وأمل
لروحينا الضاليتين الوحيدتين.

واستطعت أن أحس بومضة الشرف في روحها.. وتطلعتها
البائس إلى حياة نظيفة.. فيها حب.. ونظام.. ومعنى.. واستطعت
أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذي يجرح خلفه ظروفاً قاسية
لا قدرة لها على مقاومتها.

وأحسست أنني أفهم عذابها.. فأنا أيضاً رجل فاسد أجر خلفي
حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء.. وأنا مثلها أتطلع بروحي
إلى حياة فيها معنى وفيها حب..

وشعرت أن بيننا رباطاً لا فكاك منه..

وصارحتها برغبتني في الزواج منها.. فرفضت بشدة وبكت
وقالت إنها لا تقبل أن تسيء إلى سمعتي.. ولكنني مصر على
الزواج بها..

ما رأيك؟..

الحب الحقيقي الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف
لها وجه الحياة الشريف الجميل النقي.. تماماً كما ينتشل الرجل من
فساده واستهتاره.

وأنا لا أستبعد على امرأة خاطئة أن يرددها الحب إلى مشاعرهما
الإنسانية النبيلة.

ورأيت أن الزواج مسألة شخصية جداً.. أحب ولم أحب

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك.. فحياتك ملك لك
وحدك..

تلفيق التهم

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمري في الثانوية العامة فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره في حياتي.. وهذه هي مشكلتي! كثيرات من بنات جنسى يروين لي مغامراتهن مع أحبائهن.. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنيبه.. وأجلس أنصت لهن ويدي على خدي ودموعي في عيني.. ويسألني في النهاية على قصة حبي فلا أجد شيئاً أقوله.. فليست لي مغامرات وليس لي عشاق ولا محبون.

سألت مرة والدي عن معنى كلمة الحب فقال لي إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جداً..

وسهرت ليالي كثيرة أفكر في كلامه.. وأسأل نفسي.. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس.. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور؟ واخترت شاباً طيباً يسكن بجوارى.. صغير جداً في السن، وبدأت أقول لزميلاتي إنني أحب هذا الشاب.. وأزين لنفسي أنني أحبه فعلاً.. لأثبت لنفسي أنني فتاة ذات قلب ينبض بالشعور

والإحساس.. وإنني فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها.

ولكن صاحباتي يقلن عني إنني ساذجة جداً.. وإنني لن أنجح في الحياة.. هذا مع العلم أنني دائماً من الأوائل في مدرستي.. أظن أنك تضحك الآن.. وتقول عني فتاة مراهقة.. لا.. أنا لست مراهقة.. أنا بنت ناضجة.. ولكن كل ما في الأمر أنني لم أحب ولم أجرب مطلقاً.. ولهذا أشعر بنقص شديد.. وضيق.. وعذاب.. حينما تقول عني صاحباتي.. أنني ساذجة.

هل تتصور أنني عندما أدخل فيلماً في إحدى دور العرض ويكون فيلماً غرامياً مثيراً.. وأرى مناظر الحب والغرام.. أشعر بالبكاء.. وأشعر بغصة الدموع في حلقي.. وتنتابني طوال عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص.. النقص لأنني لم أحب.. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتي.. وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخي.. الحب.. الحب.. وتظل الكلمة تطاردني.. وتأكل مخي.. بلا نهاية.. ماذا أفعل؟

أولاً أحب أن أقول لك إن هذه السن.. سن السابعة عشرة هي سن الفشر والأوهام والخيالات.. ومعظم الحكايات التي تحكيها لك صاحباتك فشر في فشر.. فالبنات والأولاد يلذ لهم في

هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها.. ومغامرات لا أصل لها..
ثم يحكونها لبعضهم البعض على أنها مأس.. ودرامات حب عنيفة
جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى.. وسهر الليالي..
وكل مأساة من هذه المآسى لا تزيد في أصلها عن قصتك أنت
وجارك.. قصة لا معنى لها.. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من
كوارث الهوى الخرافي.. ويروح كل واحد يقنع نفسه، ويقنع
أصحابه بأنها حقيقة.. وأحياناً يصدق نفسه ويبكى فعلاً..

أما الحب الحقيقي فهو في نظري شعور ناضج عميق.. وهو
لا يمكن أن يواتي الرجل أو المرأة قبل العشرين.. لأنه يحتاج إلى
درجة كبيرة من النمو العقلي ومن اكتمال الخبرة.

الحب ليس بالشعور الذي نطلبه ونجري وراءه لمجرد
التقليد.. ولمجرد أننا سمعنا أن فلاناً أحب.. نأخذ ذيلنا في أسناننا
وطيران على أول جار واقف في الشباك.. ونروح نازلين فيه حب..
ده كلام فارغ ودي هي المراهقة فعلاً.

الحب شعور تلقائي يغزو القلب من تلقاء نفسه.. بدون
استدعاء.. وبدون أن نرسل له التماسا.

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حباً.. إنه فضول..
نزوة شهوة.. لعب.. أى شيء إلا أن يكون حباً.

اشكركى ربك على أنك لم تتورطى في هذه الحماقات.. وتأكدى

أنت لست ناقصة.. وإنما أنت عاقلة.. لا تتعجلى نصيبك..
ولا تلتفى الأكاذيب لترضى بها فضولك..
اتركى قلبك على سجيته.. وتأكدى أن الحب سيطرق بابك في

حينه.

حينه.. وقت من القرح.. ولم أبدأ حتى كتبت الكتاب..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

السرور.. والسرور.. والسرور.. والسرور..

فم أحمر متوهج مثل الكرز.. ساقان مثل السيقان التي تزين
إعلانات جوارب النيلون.. يدان ناعمتان مترفتان مثل يدي
الجيو كندا..

جمال صارخ.. بكل معنى كلمة صارخ.
وفرحت.. وقفزت من الفرح.. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب..
وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد.. وبدأنا أيام العسل..

وبدأت المتاعب.. والتلميحات.. وغمزات الغزل من كل
جانب.. ويا حلاوته إلى ماشى على قشر بيض.. أحب السمك
الرعاش.. يا ملبن أنت.. يا قشطة.. يالوز يا جوز يامكسرات
وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون في شقاوة.. معسلة
أوى يا بطاطة.. والبطاطة هي زوجتي فاطمة طبعاً..

وتضحك الست فاطمة.. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة.
وأنا ذنبي إيه يارب بس.. عملت إيه؟!..

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك
توصلها للباب.. وكل عربة فيها شاب صايع مسبب.. يفتح
الباب وهمس.. عيب الحلاوة دي تمشى على رجلها.. عيب
الجمال ده.. يتمرط في الشارع.. الجمال ده لازم يتحط في قصر..
في جنة.. وأنا أقف عليها خدام.. سفرجي.. شوفير تسمحي لى
يامدام أكون شوفيرك.. خدامك.. عبدك مش هاین على تروحي

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد..

واعذروني إذا كنت أتجراً وأشتم كل النساء.. فأنا وصلت إلى
حالة عصبية فقدت فيها عقلي.. واتزاني.. وسماحتي.. وأدبي..
وأخلاقى.. واسمعوا حكايتي..

منذ ثلاث سنوات.. فكرت في أن أتزوج.. وأكمل نصف ديني.
وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس
وينظر بعينه باليمين وبالشمال.. كان أملى الوحيد هو أن أتزوج
امرأة جميلة.

وشكراً للظروف الطيبة.. فقد وجدت هذه الجميلة..

وأى جمال..

جمال صارخ..

بشرة بيضاء بلورية.. عود لين ملفوف سرح.. شعر ذهبي
يرقص ويتمخطر على الكتفين.. عيون واسعة كعيون الغزلان..

للبيهم ده.. الطعامة والقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ غفر..
إخص على ذلك!

والبيهم إالى إخص عليه بالطبع هو سيادتى.. شيخ الغفر..
حارس أبعديّة الجمال والفتنة إالى حاتودينى فى داهية.

اتخانقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبيكت فى أكثر من
معركة بالدرع بسبب دى الحامى.

اعمل إيه.. مش طايق..

وهى مظلومة معى.. فما ذنبها فى أنها جميلة؟

إنها لا تلبس عريان.. ولا تتمخطر فى مشيتها.. وطباعها
مهذبة.. ومسلكها غير ملفت ولا خليع.. ولكن جماها.. جماها
يصرخ..

قفلنا علينا الباب.. وأضربنا عن الخروج.. فبدأ التليفون يدق
آلو.. مين حضرتك.. لا أحد.. رد يا بنى آدم.. البنى آدم اتخرس
ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة.
وفى نص الليل يدق التليفون.. فإذا رفعت زوجتى السماعة
رنت طرقعة بوسة.. ثم انقفلت السكة.. وأحياناً تظل السكة
مفتوحة.. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة.. اكمنه
ياناس واحشنى.. وخصامه كمان حاشنى.. كلمته سمعت حسه..
وقفلت السكة تانى..

وأحياناً يكون صاحبنا مؤدباً فيكتفى بأن يتأوه على الخط..

صندوق البوسطة.. لا أفتحه إلا وأجد خطاباً للست.. كله
أحلام وهيام وغرام.. والإمضاء.. معجب من الجيران..

وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون..
من هو المجرم ابن الحرام.

أول شىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات
التليفونية.. ماذا تم فيه.. وكم مبلغ إيجاره.. وما هى أطول مدة
لإيجاره؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز.. جهاز لضبط
المعاكسات التليفونية.. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية.. وجهاز
لضبط النظرات.. وجهاز لكشف نوايا القلوب.. وأخيراً جهاز
لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر.. وأطق.. وأموت.

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجتى.

وكرهت الجمال.. وقرفت من الجمال.. وطهقت من الجمال
الذى كلفنى دم قلبى.

وظلقت الجمال.. واسترحت.

ومرت سنة.. ونسيت ما حدث لى من تحت رأس الزواج،
وعدت أفكر فى تكملة نصف دينى.. وهذه المرة كانت نيتى أن
أبحث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد
وحتى أستريح من المعاكسات والمطارادات وأنام ملء جفونى.

واخترتها.. نقاوة.. ليس فيها عضو من أعضائها سليماً، شعرها
أكرت.. وجهها فيه نمش عيناها بهما حول.. قصيرة لا تصل إلى
كتفى.. سمينة مدكوكة كالبرميل.. لا تعرف لها رقبة من وسط من
كتف من رجلين.

امراة فيها كل العبر..

واعترت نفسي رجلا محظوظاً بكل هذه الوحاشة لأنى سوف
أستريح من نظرات الناس.. وسوف أنام لا يدق إلى جوارى
تليفون.. ولا تنزل على تلاقيح الغزل.. ولا تطاردنى طواير
العربات حتى الباب..

واندبوا معى حظى التعس.. فهذا ما حدث بالفعل.. لم يفكر
أحد فى أن يعاكس زوجتى.. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفوناً..
ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربته.. ولم يفكر مخلوق فى أن
يلقى لها بنظرة إعجاب.. ولم يبصص لها كلب بذنبه.. وكانت
النتيجة.. أنها جنت.. أصبحت تقف أمام المرأة ثلاث ساعات
لتضع شكاره جيس على وجهها.. وتشد جسمها المدكوك
بكورسية.. وتلبس سوتيان صفيح يلقى بنهديها مترين إلى الأمام..
وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفع بها إلى فوق.. وتمشى
تتمخطر.. وتتقصع فى دلع.. منفرد.. مقزز.. وتنظر فى تبذل..
تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست

عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات
مدمنى الكحة.

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة.. أعوذ
بالله شايف الولية.. يانهار أزرق.. أوعى تقرب منها.. دى بتعض..
دى تلاقىها ست بيت على كيفك تنصف البيت أحسن من
المدد.. ده تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تاكل
الصراصير.. ودى حاتموت ازاي دى ياخويا.. ده عزرائيل يخاف
منها.. يانهار أزرق.

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات.. وإنما هى التى أصبحت
تدقه وتعاكس وتثقل السكة.. وتتأوه.. وتدير أسطوانات شادية..
وتستجدى مكالمة لله.. ألو لله.

وأنا أتشنج من الغيظ.. وأخبط رأسى فى الحائط.
أليس لى حق فى أن أكون عدو النساء رقم واحد.. عدو كل
حلوة.. وكل وحشة.

لك حق والله العظيم.

بجود حولي في كل مكان.. ويعاكسني في التليفون.. ويبيكي إذا
قفلت في وجهه السكة.. ولا أطيل عليك.. قلت في نفسي: أجرّب
ولن أفعل مثل صديقاتي.. لن أخرج معه.. إذا كان يريدني حقاً
فعليه أن يتقدم إلى والدي.. فالحب في نظري لا معنى له بدون
زواج.

وقبل أن نتخذ أي خطوة.. فكرت أولاً أن أصارح أخي
بإعجابي بهذا الشاب.

وأطلعت أخي على كل شيء.. وفرح أخي.. واقترح قبل
الخطوبة أن نلتقي نحن الثلاثة عدة مرات لكي نتعارف.. ونختلط
بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى نعرف بعضنا بما يكفي..
فإن انسجمنا كان بها.. وإن لم يكن.. قطعنا علاقتنا في هدوء
وبلا ضجة..

وهكذا خرجنا.. وتكرر خروجنا.. مرة.. ومرات.. لمدة سنة
كاملة.. وكان لقاؤنا دائماً بتدبير أخي في وجوده.. وهكذا أتاح لي
أخي فرصة نادرة لا تتاح لأي فتاة.

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت أنا التي أطلب من أخي
أن يخرج ونخرج ونخرج.. وازداد شوقى وحبى.. وألح حبيبى في
الإسراع بإتمام الخطبة.. وتقدم بالفعل ليطلب يدي ووافق أبى
ورحبت أمى.. وباركته العائلة.. وفرحت.. وأصبحت أسعد إنسانة
في الوجود.. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر في

المثقفة

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري جميلة حاصلة على
شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات.. غنية.. ومن عائلة
غنية.. لى أخت متزوجة.. وأخ أعزب.. بدأ الخطاب يتقدمون لى
وأنا مازلت في الثالثة عشرة من عمري وبالطبع رفض والدى..
وكنت أحزن أحياناً لأنه بذلك يمنعني من تحقيق أحلامي الصغيرة
في الزواج.. فستان أبيض.. ملابس.. خروج.. نزوات.. بيت
أحكم فيه بأمرى ومشيتى.

حدث في هذه السن أن وجدت زميلاتي يتكلمن عن
الحب.. وال «بوى فرند» والقبلات والرقص فأخذت أستمع
اليهن مشدوهة خائفة.. كيف يخرجن مع شبان.. ألا يخفن على
سمعتهن؟

ولكن كثرة الكلام في هذا الموضوع جعلته في النهاية يبدو أمراً
عادياً ولماذا لا يكون لى «بوى فرند» مثل باقى البنات.. وهل
أنا وحشة.. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردنى..
واستمر شهوراً بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة.. كان

بعثة سنة إلى أوربا.. وطلب الإسراع بإتمام الزواج ليصحبني معه..
ولكنني أثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمي أنا الأخرى..
وهكذا سافر.. وكنت في وداعه على المطار.. وتواعدنا على أن
نكتب لبعض كل يوم..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر - ثم
بدأت أنا أهمل الرد.. ولا أدري ماذا حدث لي بالضبط - ولكن
وجدت نفسي أتجاهله.. وشعرت بحبي يبرد ويفتر - وبينما كانت
خطاباته تهال علىّ تسأل.. وتسأل.. كنت أنا.. ولا هنا..

ولا تتعجب.. فأنا ذاتي متعجبة من نفسي أكثر منك.
لا يوجد هناك رجل آخر.. ولم أنشغل بأية علاقة أخرى.
وحينما رجع لم أفكر في مقابلته.. ولم أرد عليه حينما طلبني
بالتليفون.. ماذا غيرني إذن؟.. سأقول لك الحقيقة.. إنه خوف..
خوف شديد.. رعب من شيء اسمه الزواج.

أنا أخاف الزواج.. وأرتعد منه.. وكلما سمعت عن صديقة
تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج.. فأراها تندم
على أيام زمان.. أيام الحب.. والحرية.. والجري.. لم أر في حياتي
إنسانة سعيدة بزواجها.. أختي أتعس مخلوقات الله مع زوجها
البخيل.. أمي هي المسيطرة على البيت وأبي يخشاها.. صديقتي
يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ.. أغلب
الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يجاوبن بالمثل. وأسألني أنا

فقد رأيت كثيرات منهم يحاولن محاولات مستميتة مع أخي.
أرجوك.. لا تقل لي تزوجيه.. فكلما اقترب موعد الزفاف
أشعر أني أكرهه.. أكرهه.

ماذا أفعل؟.. لا أفعل.. لا أفعل.. لا أفعل..
هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمري بلا زواج..
وهل هذا ممكن.. أم أن هناك حلا؟! *

والشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها.. والحياة شاقة وصعبة
ولكننا نتمسك بها.

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة.. ولكننا مع هذا نعشق الحياة
ونتعلق بها ونستमित في التعلق بها.

لا تصدقي ما يقوله المتزوجون.. إن كل شكاوى المتزوجين
كذب والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته.
والخيانة الزوجية نادرة.. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة..
فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر
حولها الكلام.. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية.. والبيوت
الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد.. ولهذا يخيل
لك أنه لا يوجد في الدنيا شرف.

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع.. ولهذا

فإن المتزوجة التي اشتكت من زواجها.. لو أنك قابلتها وهي بنت
لاشتكت من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذي
ترتاح إليه وتزوجه.

ومشكلتك الحقيقية.. أن عندك عقد المثقفات المترفات..
القلق.. والدلع.. والمال.. والضجر من كل شيء بسرعة..

وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة.. لو أن خطيبك هجرك
ولم يسأل فيك.. وكان أقوى منك في شخصيته وإرادته.. لجريت
خلفه تتمسحين به كالقطة.

اشرب

أنا واقع في مشاكل لا أول لها ولا آخر.. وكلها بسبب
تفكيرى في الزواج.. ولأبدأ من أول القصة.

أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل في
معيشتهم.

صارحت أبى برغبتى في الزواج فتطوع مشكوراً هو وأمى في
البحث عن عروسة..

وبعد شهر من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون
رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها.

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها..
وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب.. فوالدى يشترط

على الفتاة أن تعيش معنا فى عيشة واحدة.. فى الغرفتين اللتين
تسكنهما العائلة.. ننام نحن فى غرفة.. وتنام بقية العائلة فى الغرفة

الثانية.. ولم تقبل الفتاة.. وردت الشبكة ومقدم الصداق واعتبرت
أنها نجت بنفسها من مصيبة.

وكعادة والدي.. أشاح بذراعه بلا مبالاة.. وقال لي
ولا يهملك النسوان على قفا من يشيل.

وذهب يبحث وينقب.. ويسأل ويستقصي.. ثم عاد ومعه عجوز
غنية وارثة وشكلها على قد الحال.. وقال لي.. هي دى اللي
حاتريحك.. وحاتريشك.. ولية كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك..
وحاتفرح بيك.. شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت..
وزبنا يتوب عليك م الفقر اللي أنت فيه.. يا الله يا شيخ اتكل على
الله.. يعنى حاتأخذ إيه م الصغيرة.. ما هو كلهم فى الضلعة زى
بعض.

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم
واعتبرت إن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد
الوالد وبدأت المشكلة.

المشكلة هذه المرة أثارها الناس..

الناس اتخذوا من زواجى موضوعاً للتريقة.. ومادة للتسلية كالم
شاهدونى فى طريق أتأبط ذراع الست.

حلاوتك يا بو طقم سنان..

سلامتك م الكحة..

نجيب لك لزقة..

يا شيخ روح هات لها كفن..

يارب خليكى يا جدتى..

والنتيجة طبعاً أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يوماً
بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق
غيباً.

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول.. لم تصدق أن
هذا الرجل الجربان الذى تنفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها..
هى بنت الناس وصاحبة الجاه.. واشتكتنى فى المحكمة..

وثار والدى وتبرأ منى.. واعتبرنى نذلاً..
وكانت خصومة استمرت شهوراً.

واختفت مدة.. وكنت أتلقى فيها إعلانات الحضور للمحكمة
فى خوف وخجل وإحساس بالذنب.. وكنت اقتطع من مرتبى
الصغير لأدفع للمحامى ووكيل المحامى.. ووقعت فى أزمة.

وكالعادة انتهت المشكلة وتصلحت مع أبى لتبدأ القصة من
جديد.. فقد راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة.

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جداً.. لم تشترط مهراً ولا شبكة
ولم تسأل أين سنذهب بها.

وعرفت بعد الزواج.. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل
وتشترط وتطلب.. فهى من عائلة فقيرة دقة.. تسكن فى حارة سد
فى غرفة واحدة.. يبقى حاتسأل على إيه؟!..

وهى بالطبع قانعة..

ولكني غير قانع.. وتعبان.. ولا أفهم كيف تزوجت.. وكيف
طاوعت أبي كظله في هذه الزيجات الثلاث.. وكيف لم يكن لي
رأى..

الشعور بالذنب يطاردني باستمرار.. وشعور آخر بأنني
لا أستطيع المضي في هذا الزواج.. ولا أستطيع التمثيل على
نفسى للنهاية..

أريدك أن تجد لي مخرجاً علمياً بأنني لا أستطيع العودة إلى
الزوجة الثانية ولا الأولى.. ولا أستطيع أن أمضي في هذه
الورطات إلى ما لا نهاية.

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات.

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب
وأخ وأخ عاطل وتعيش معهم في غرفتين فأنت إذن من البداية
لا تستطيع أن تفتح بيتاً.. وليست لديك مؤهلات الزوج.

وإذا كانت هناك ورطة فهي ورطة الذين قبلوك وارتضوك على
علاتك.

وأنت في كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تريقة
الناس.

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذي ورطك في الزواج

سواءً للاحظ حمل.. تقول إن الفتاة من حقها أن يكون
بالغنية.. ولكنك تتمحك بالوالد وهي مباحكة لا تعفيك من
المسئولية فأنت لست طفلاً ولا قاصراً ولا فتاة عذراء.. ولا عذر
لك في أن تقول.. وأنا مالي، أبويا قال لي اعمل كده.
متأسف.. ليس لك مخرج عندي.

من العدل أن تظل موحولاً في أعمالك.

أريدك أن تجد لي مخرجاً علمياً بأنني لا أستطيع العودة إلى
الزوجة الثانية ولا الأولى.. ولا أستطيع أن أمضي في هذه
الورطات إلى ما لا نهاية.

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب
وأخ وأخ عاطل وتعيش معهم في غرفتين فأنت إذن من البداية
لا تستطيع أن تفتح بيتاً.. وليست لديك مؤهلات الزوج.

وإذا كانت هناك ورطة فهي ورطة الذين قبلوك وارتضوك على
علاتك.

وأنت في كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تريقة
الناس.

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذي ورطك في الزواج

خير بالنساء

أنا شاب، سني ٢٠ سنة، موظف ولى إيراد غير وظيفتي من أملاك قليلة تدر على إيراداً آخر إضافياً لا بأس به.. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشارك في ناد رياضي.

أزاول الرياضة العنيفة.. وأندمج في عدة لعبات.. والواقع أني في نفسي أعاني إحساساً شديداً بالوحدة.. والخجل والتردد.. اشتركت في النادي وهويت الألعاب.. لأبعد عن نفسي هذا الإحساس ولأندمج في الناس وأخرج من وحدتي.. وأكون علاقات.

ولكن مع هذا أشعر أني ما زلت متحفظاً منطويًا بالرغم من كل أصدقائي.. وبالرغم من طول الوقت الذي أقضيه في حياة اجتماعية..

تعرفت على فتاة منذ سنوات.. وكانت في تلك الأثناء مخطوبة..

وأذكر في ذلك الوقت أنها هي التي شجعتني على الكلام معها

وكانت حينها تلاحظ خجلي.. تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق.. وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة.. وأن الصداقة علاقة رفيعة.. وأن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن يكون فيها خيانة لزوجها، لأن الصداقة شيء آخر غير الحب.. وأنها مثلاً تحب خطيبها ومع هذا تشعر أن صداقتها لى شيء لا يشينها.

والحق.. لقد أعجبتني عقليتها جداً.. وكنت أرى فيها مثال الفتاة العصرية النموذجية.

وبحكم اشتراكها في النادي معنا - فقد كنت ألتقي بها كل يوم.. حيث نلعب معاً التنس.. والبنج بنج. ونشرب الشاي ونأكل الساندويتشات.. ونثرثر في مواضيع لا نهاية لها.

ولم أشك يوماً في طبيعة إحساسى نحوها.. فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض.. وحدث بعد هذا أن تزوجت.. وكان زوجها موظفاً في إحدى البلاد العربية.. وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله.. فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هي.

وظلت على مواظبتها في الحضور كل يوم للنادي.. واستمرت صداقتنا..

وكان يحدث أحياناً أن نذهب إلى سينما. حيث نقضى الوقت نتناقش في الفيلم ونعلق على ما نراه.

ولم يتطرق إلى ذهني في أي مناسبة أن أغازلها أو أظهر لها الحب، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات.

ولهذا سرني كثيراً في إحدى المرات أن رأيتها تطلب مني خمسين جنيهاً سلفة.. فقد شعرت أنها تعتبرني بالفعل صديقاً تنق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة.

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث في الموضوع.. واعتبرت أن المسألة منتهية.. وأن ما تحتاجه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأني أخوها.. أو كأني نفسها.

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبي السرور.. ويشعري باحترامى لنفسى وبثقتى بعلاقتنا.. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا في أن تطلب مني دفعات أخرى من خمسين.. وخمسين.. وعشرين جنيهاً أخيراً.. وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة.

والحق أنا لا أكذب عليك أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد.. وأرى أنها تكاشفتني باحتياجها للمال من وقت لآخر.. وإني أنا.. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع إلى مساعدتها.

هل هذا حب.

لك أن تسميه كما تشاء.. ولكنى متأكد أن مشاعرى نحوها لم تتلوث لحظة واحدة.. وظننت حتى هذه اللحظة أنى أبادلها المشاعر

الرفيعة.. والصداقة الروحية التى لا يدنسها دنس الرفيعة.. ولا أنكر أنى أصبحت الآن فى حاجة إليها أكثر مما هى فى حاجة إلى.. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى برباط الحاجة المادية.. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر.. وهو شعور خبيث.. يخجلنى أن أشعر به.. ولكنها الطبيعة الإنسانية.. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من السرور.. أصدقائى يقولون لى.. إنها تستغلى.. وإنى رجل خيالى.. ولكنى أعتقد أنى رجل خبير بالطبيعة الإنسانية.. ولو أنها كانت امرأة من إياهن لتهورت فى علاقاتها معى لتستغلى أكثر.. ولتضمن احتياجى لها أكثر وأكثر.. ولكنها طوال علاقتنا كانت مثلاً للشرف والعفة والأخلاق الكريمة.. وهذا ينفى فى نظرى أية شبهة للاستغلال.. فى حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل والا إيه.. ما رأيك أنت؟

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية.. هو الذى ضيعك.. ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع.. وفى الطبيعة الإنسانية الذى مغلبك.. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك.. وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والمخلجات الروحية الطاهرة.. الصورة دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال.. لأنها الصورة التى رفعت

سعرها في نظرك.. وجعلت المبالغ التي تطلبها خمسين جنيهاً فيما
فوق.. أما تهورها.. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس
يخفضه إلى شلن..

والدليل الآخر أنها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلاً يعمل
في وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة..
وظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية.. ومرتباتها
لا تقل عن ألف جنيه في الشهر..

ومعنى ذلك إن اختيارها للزوج كان اختياراً مبنياً على نفس
العقلية المادية.. طارحاً على الجدول ما قد يكون له من
ومع ذلك فهي تبتز منك مائة وسبعين جنيهاً في شهر.. له..
خلجات روحية.. ومشاعر رفيعة برده..

في الواقع أنا مش شايف روحية في الموضوع.
وخصوصاً أن الصديق الذي اختارته خلجاتها الروحية وهو
سيادتك.. صديق مليون مادياً.. وعلى نيته.. والا إيه.. والا
حاترجع تاني لحكاية خبرتك بالطبيعة الإنسانية.. على كيفك.

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدي ووالدتي.. عائلتي غنية.. وكل ما أطلبه
أحصل عليه في الحال. وبالرغم من هذا الدلع يعذبني الإحساس
بالمسئولية.. وأشعر بالذنب حينما أرسب.. وأبكي كثيراً..

وأنا أتلقى دروسى في مدرسة إعدادية خاصة.. وقد رسبت في
السنة الماضية.. وبكيت كثيراً وأفضيت لأبى برغبتي في ترك
المدرسة والاشتغال بأية شغلة.. ولكنه رفض.. وقال وهو يضحك..
ولا يهملك.. اسقط على كيفك.. أوع تزعل نفسك.. خد فلوس
زى ما أنت عايز.. إحنا فلوسنا كتير والحمد لله.. نشغل له..
وتعب له..

و ذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالواحات للزيارة وحينها
حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة.. ليه يا بابا.. ده السنة
فى آخرها والامتحان قرب.

ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستزوج بعد
العيد مباشرة.

تشغل ما دام ربنا ساترها وبابا ربنا يطول عمره بيديها
المصروف.. وما يصحش تقول لا.. ساعة ما يجيها ابن الحلال..
عيب.. بابا عاوز يفرح بيها.. ويشوف ولادها وولاد ولادها
بيجروا حواليه يملوا عليه البيت.

المشكلة ليست فقط مشكلة دلع.. لكنها مشكلة إهدار كرامة
رجل تماماً.. وإهدار حقه في أن ينضج ويفلح وينجح ويستقل
بحياته.. وإهدار حقه في أن يحب ويختار شريكة حياته.. ويعيش
الحياة كما يجب أن يعيشها..

إن أباك يريد أن يعيش حياته. ويعيش لك حياتك أيضاً..
إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على تفرح
أنت بنفسك.. هذه أنانية فظيعة وليست حناناً.. إنه يريد أن
يحمك من إحساسك بذاتيتك.. في سبيل إحساسه هو بذاتيته
وبأنه رجل قادر على فتح بيوت وبيوت.

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات.. لتكن دماغك
ناشقة كالحجر.. وعزيمتك ماضية كالحديد.. فأنت رجل..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها.. فأنت لا تملك
إلا حياة واحدة.. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبقى لك
شيء.

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسي فأنا لم أتجاوز
الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتيمتراً.

وتعجبت.. وانعقد لساني من الدهشة.. وأخذت عيناي
تتوسلان لأبي بالدموع.. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن
فكرة زواجي.. ففي هذا قضاء على مستقبلى.. ورحمت استعطفه
واستقدم الوسطاء ليستعطفوه.. ولكنه ظل يرفض بشدة.. ويقول
يا بني أنا عاوز أفرح بيك.. وأشوفك متجوز ومخلف قدامى..
وعيالك بيلعبوا حواليه..
قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسي..

فقال وهو يضحك..
عيب يا ابني تقول كده.. أمال أنا فين.. إنت مالکش دعوة،
اطلب الفلوس اللي أنت عايزها.. إنت وزوجتك وعيالك ملزومين
منى أنا.. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب.. خيرنا كثير
يا ابني والحمد لله إيه لازمة الشقا..

وفشلت كل محاولاتي في منع الزواج.. وهو مصر على إتمامه
قبل العيد..
ماذا أفعل؟

من الواضح أن أباك يعاملك كالبنت العذراء قليلة الخبرة..
مش مهم تسقط أو تنجح ما دام آخرتها البيت.. ومش مهم

حب غريب

أنا أدخل اليوم عامى الثامن والعشرين..
منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه
وأذوب وحدى دون أن يعلم بي حبيبى..
وحبيبى فى الستين.. لا تدهش ولا تغمص شفتيك فى
سخرية. ولا تقل عنى مراهقة.. أو خيالية.. فهذا الحب هو الحقيقة
الوحيدة فى حياتى.. والحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها..
هذا الرجل فى الستين.. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى
خريف أيامه.. هذا الرجل كان دائماً ربيع أيامى.. كان شبابى..
وكان قلبى لا ينبض إلا له.

وقد نشأنا فى جيرة واحدة.. وكان صديقاً لعائلتنا. وقد تزوج
وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد.. وكنت
أعيش على خياله وأنام على خياله. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته
ليصبح لى من جديد كما كان دائماً..

وقد ماتت زوجته فعلاً ومات معها طفلها الوحيد.. وعاد
حبيبى يعيش منفرداً فى بيته الكبير.. يطوى ضلوعه على حزن

دائم. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل.
وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته.. وأنه
يحفظ لها إخلاصاً لا يموت. كما رفضت.. وأتصل به فى نارا
وكتمت حبى فى نفسى.. وحاولت أن أنساه.. ولكنه كان
يشعل ويتأجج فى قلبى كلما رأيته بعينيه الواسعتين الحزینتين..
وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب
الصيد التى يقتنيها.. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء
كلاب صيده والكمان التى يداعب أوتارها فى أوقات فراغه..
وصور زوجته ومهنة الهندسة التى يزاؤها.. أما أنا فلا مكان لى فى
حياته.. إنه لا يشعر بوجودى.. لا يرى أنوثتى الفاضحة
ولا يحس بجمالى ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه.. وأنا فى
اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة
لا أجد الجرأة على مصارحته.

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرص للزواج لا تتاح
لفتاة فى دمشق، رفضتها جميعاً.. لأنى لا أريد أحداً سواه..
أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى.. وسأطوى ضلوعى على سرى
وأعيش وأموت له..

لعلك تقول.. لا بد أنك قبيحة لا أمل لها أن يحبها أحد ولهذا
خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه.

ولكن الحقيقة المؤسفة.. أنى جميلة.. ومثقفة.. وأحمل دبلوماً

عاليا في اللغة الفرنسية.. وأجيد العزف على البيانو.. ومعشوقة
من الجميع.. وعائلتنا ذات مركز مرموق.. وأعيش في مجتمع ينظر
إلى في حب واحترام.. ولكنني لا أشعر بهذا المجتمع.. لا أشعر
إلا بشيء واحد هو حبيبي.. بيننا فارق في العمر يبلغ ٣٢ سنة
ولكنني لا أشعر بهذا الفارق.. بل أشعر بالحب والحنان
إنه شبابي.. وطفولتي.. وحياتي..
ماذا أفعل.. أنا أتعذب.. مع كرمي.. ليهتقد رجالا ليسوا
بما هم..

هذه عاطفة غريبة.. لو كان سنك ١٦ سنة لقلت هذه هي
المراهقة بعينها.. ولكن سنك ٢٨ سنة ولك خبرة واختلاط
بالرجال.. ومثقفة وحساسة.. وفنانة.. وجميلة.

لا شك أن الرجل فيه جاذبية.. فهو وحيد يعيش مغتربا في
بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التي يبثها أشجانها ومع صور
زوجته.. فهو إذن عاطفي حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك.
إن بينكما شيئا يجمعكما..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما وهي كفيلا بأن تسحق أية عاطفة.
وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشعلينها
بخيالك على الدوام.. أشك في أن هذه عاطفة امرأة لرجل.. ربما
كانت صورة من صور عشقك لأبيك وهو عشق يظل مكبوتا

بالحكم كونه محرما حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر
فيها.
ربما كان حبا.

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع..
إن زوجا في سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج
في أغلب الأحوال.. وهو لن يكون أكثر من صديق.. هل تكفيك
هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة..

هل ترتوي الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطوني..
يشوقني جدا أن أعرف مصير مثل هذا الحب إذا تحقق له
الاقتران في الواقع.. أنك على الأقل ستفهمين نفسك.. وهو لن
يخسر شيئا.. وأنا سأزداد خبرة..

بالحكم كونه محرما حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر
فيها.
ربما كان حبا.

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع..
إن زوجا في سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج
في أغلب الأحوال.. وهو لن يكون أكثر من صديق.. هل تكفيك
هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة..
هل ترتوي الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطوني..
يشوقني جدا أن أعرف مصير مثل هذا الحب إذا تحقق له
الاقتران في الواقع.. أنك على الأقل ستفهمين نفسك.. وهو لن
يخسر شيئا.. وأنا سأزداد خبرة..

التسكع في الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند
صديق.. والمبيت عند صديق آخر..
وأحياناً كنت أبيت في الحدائق.. أو في محطات سكة الحديد
متظاهراً أني أنتظر قطار الفجر.
وأخيراً قررت الرحيل من القاهرة.. وفي فجر أحد أيام شهر
نوفمبر الماضي قررت السفر إلى الإسكندرية.. وبدأت السير من
الطريق الصحراوي.

وسرت.. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب.. فتوقفت وسط
الطريق أشير للعربات لتحملني معها.. ولكنها كانت تفرق
بجوارى دون أن تفكر حتى في أن تهدي من سرعتها.. وساعتها
كرهت الدنيا ومن عليها وتمنيت لو تدهمني سيارة فأستريح.
وكان الليل قد حل.. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين
كيلومتراً.. وحل بي الجوع والعطش والتعب.. فارتيمت في الطريق..
وسلمت أمري لله.. وفي تلك اللحظة مرت بي عربة فارهة تقودها
سيدة. وتوقفت العربة بجوارى.. ونزلت السيدة وحملتني معها إلى
الإسكندرية وأخذتني إلى بيتها.

ومكثت راقداً ثلاثة أيام مريضاً بالحمى.. وفي اليوم الرابع
شفيت. وأحضرت لي السيدة طعاماً وشراباً.. وفي تلك الليلة
جاءت إليّ بقميص نوم شفاف.. وجلست إلى جوارى على
الفراش.. وحدث ما لم أكن أتوقعه.. وتكرر هذا في الليلة التالية

معبود الأرامل

أنا شاب في الخامسة والعشرين من عمري ربيت في بيت كله
قسوة وشقاء فأنا لم أر أمي بل زوجة أبي في أشنع صورها.. وكنت
أبدأ يومي بعلقة تنتهي بتمزيق ملابسى وحرق كتيبي وأختم يومي
بكنس المنزل ومسح السلم.. وأنام على الضرب والشتيم وأصحو
على السباب والإهانة.

لن أطيل.. عليك.. انتهت حياتي التعليمية ولم أستطع الحصول
على الثانوية العامة.. ليس ذلك لكسل أو غباء مني.. فالكل يشهد
بذكائى ونبوغى وكنت طيلة حياتى الأول.. ولكن إذلال زوجة أبى
وقسوتها كسرا شوكتى وحطما عقلى وذكائى.

وعملت في إحدى الوظائف المحترمة جداً بمرتب أكثر من
عشرين جنيهاً.

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن.. صبراً.. فإن تلك الوظيفة لم
تكن إلا كالمهرم المسكن.. مفعولها مؤقت.. فقد كانت بعقد ستة
أشهر.. وينتهى العقد بانتهاء ستة الأشهر.

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضاً معه.. لم يعد لى عمل سوى

والليلة التي بعدها.. وفي اليوم السادس أعطتني خمسة جنيهات
وقالت لي.. تيجي كل يوم خميس فكنت أذهب إليها وأمكث
عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت.. وتعطيني الخمسة
جنيهات.. وتكرر هذا أسبوعاً بعد أسبوع إلى أن كان الخميس
الماضي.. حينما رفضت أن تعطيني نقوداً.. وقالت لي.. إذا كنت
عاوز فلوس لازم تتجوزني.. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه..
تصور ألفين جنيه.

نسيت أن أصف لك هذه السيدة.. إنها في الخمسين من
عمرها.. شكلها مقبول.. وغنية جداً جداً.. وشاذة..
هذه مشكلتي.

هل أتزوجها وأعيش طرطوراً.. وماذا يكون مصيري حينما
أفاجأ.. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر.
إنها تنتظرنى.. انصحنى.

أنصحك يا أبو لمعة.. أنك تبطل فشر.. وأن تعالج فشلك
بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية
شاذة في الخمسين.. هبطت عليك من السماء.. في عربة فارهة..
وطلبت منك القرب وأعطتك خمسة جنيهات ثمناً لرجولتك الفذة
التي لا مثيل لها.
وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفشل

أن تحلم أنك مهبط الوحي والفتنة للأرامل من صاحبات الملايين..
وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتمل بها على عذابك..
ولكني لا أجد داعياً لأن تحتمل علينا أيضاً.
أفق لنفسك وحاول أن تستغل ذراعيك.. وهناك ألف مصنع
جديد يفتح في عرض البلاد وطولها.. في حاجة إلى شبابك..
ورجولتك.. قوم شوف لك شغلة.

سر السعادة

أنا شاب في الخامسة والعشرين. ولا أزال في الجامعة.. منظرى وشكلي جميل وهذا هو السبب في تعاستي ومصائبى..

لنا جارة ولديها طفلان.. زوجها كان متزوجاً بأخرى. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر.. وفي هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بي، بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات.. ثم بالمقابلة.. وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما.. ثم بدأت تدعوني إلى شقتها.. وتسهل على الأمور وتهون على المغامرة.

وضعت أمام إغرائها. وأمام شبابي وحرمانى، وأصبح لقائنا في شقتها وفي ليالى غياب زوجها عادة.

ولأعد قليلاً إلى الوراثة في سنوات نشأتى.. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية.. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك على كل حواسى. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالباً. وأمامى مستقبل.

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بي

في أحضان هذه العلاقة السيئة. وكانت نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر.. في الشك.. الشك في كل النساء.. وكل الزوجات.

وأنا أتصور دائماً أنى سوف أتزوج. فتخوننى زوجتى. وأصبح طرطوراً أدخل البيت أشخط وأنظر وألقى أوامرى باليمين والشمال.. ثم أخرج فترتمى زوجتى في أحضان رجل آخر. وتقول له أحبك.. أعبدك.. أنقذنى من زوجى. أنا لا أطيقه. هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع.

وكبرت المسألة في دماغى. فبدأت أتلفت حولى في أهلى وأنظر إلى أختى في شك وريبة. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عاماً. أصبحت أشك فيها هى الأخرى، وأحاسبها حساباً عسيراً على خروجها وغيابها.. وأسألها أين كنت. ولماذا ذهبت بمفردك لازم تفهمى أنى مسئول عن العيلة. وخرافات لا تنتهى.

وهكذا تسممت حياتى.. وتسممت أفكارى. والآن. أنا فى عذاب مستمر. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى. قالت لى صاحبتى مرة.. وهى معى: ماذا تفعل لو كنت زوجى واكتشفت هذه العلاقة.. فقلت لها على الفور أقتلك.. والعجيب فى الأمر أنى أحتقرها وأكرهها.. وأحتقر نفسى لأنى أضعف وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشئ الحيوانى الذى فى دمى. ماذا أفعل.. كيف أتزوج.. وأتصرف كزوج طبيعى. وهل هناك

أمل في أنى سوف أكون في أحد الأيام زوجاً طبيعياً. وكيف الخلاص من هذه العقدة؟

لكل شيء في الدنيا ثمن.. ولكل خطأ عقابه الفورى.. وأفعال الطيبين لا تذهب عبثاً. إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية.. بسعادة القلب واطمئنان البال. أمثالك الذين يعيشون في تلذذ مسروق مختلس من بيوت الناس.. يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك.

إنها ليست عقدة.. إنها مقابل طبيعى للفعل.

إنه فعل خال من الشرف في جوهره وطبيعته. فعل من أفعال الخيانة يسيطر عليه الخوف والقلق.. وهو لهذا يلد الشك وسوء الظن.

ليست في المسألة عقدة.

إن الراحة والاطمئنان والسعادة. لا يمكن أن تنشأ إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره وأفعاله وظروفه.

حاول أن تحقق هذا الانسجام في حياتك بترك هذه القذارة والبحث عن إنسانة شريفة تحبها. وتزوجها ولا تمارس معها الحب مع الاحتقار.

كانت تريد أن تكون زوجاً طبيعياً. وكيف الخلاص من هذه العقدة؟

ملانكوليا..

نشأت في مدينة متوسطة من أبوين عصامين.. وأنا أصغر أبناء خمسة.. ثلاث شقيقات متزوجات.. وأخ في الدرجة الثانية في إحدى الوزارات.

وأنا في العشرين من عمري في السنة الأولى من دراستي الجامعية.. مشكلتي أن هناك رغبة جنونية تستبدني وتذلني.. رغبة في تحطيم أى شيء يقع تحت يدي.. أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها.. أحطم الأطباق.. والزهريات.. أى قلم أمسك به.. أغرس سنه في الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه.. وأشعر بلذة وأنا أحطمه.

وحينما أقف في طابور السينما أو الأتوبيس وأرى أمامي شخصاً.. أشعر برغبة جامحة في خنقه والانقضاض على رقبته بيدي.. وفعلاً ترتفع يداى في حركة لا شعورية إلى عنقه.. ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة الا بتحريك رأسى بشدة في عدة اتجاهات لأبعد عيني عن المنظر كله.. وأحياناً أعمد إلى دفعه بيدي لأبعده عني.. وقد أوقعه على الأرض.. وتحدث هذه الأشياء

كثيراً وأنا مع أصدقائي مما جعلهم يبتعدون عني.. ويقولون إن هزاري سخي.. وهم يظنون ما أفعله هزارة..

أحب السرعة في كل شيء.. في الأكل واللبس والمشى.. أغير أصدقائي بسرعة.. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد..

حاولت كثيراً أن أعرف سبب حالتي وعدت بذاكرتي إلى الوراء لعلى أجد سبباً في طفولتي.. ولكن طفولتي عادية.. اللهم إلا ضخامة هيكل العظمى التي كانت تخيف الأطفال.. وضخامة يدي.. وضخامة كتفي، وهم في المدرسة يسمونني الكتف الحديدي.

وفي العام الماضي حدث أن رفعت مائة كيلوجرام دون علم بوزنها.. وحاول المدرب إغرائني على التدريب.. ولكنني لم أحفل به.

حياتي الجنسية عادية.. فيما عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابني ونفور حاد من المرأة.

ولهذا السبب أرفض الزواج.

لي صديقة أحبها وأعبدها وتبادلني الحب والعبادة.. وهي صغيرة وجميلة وغنية.. وأتمنى أن أتزوجها.. ولكنني لا أجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة خوفاً من انقلاب حبي إلى كراهية حينها أعاشرها زوجياً.

تنتابني نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت.. فأدخل غرفتي ولا أخرج منها يومين أو أكثر.

وقد يمضي يوم وليلة لا أتحرك من مكاني حتى تدخل أُمي وتتنزعي بالقوة من الكرسي الذي أجلس عليه متجمداً كالتمثال.. لكي أكل..

أين كان عقلي.. وكيف سكنت معدتي لم تصرخ طالبة الطعام. إن حالتي تتدهور بسرعة.. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسي خوفاً من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدري. ذهبت إلى أطباء نفسانيين.. وحاولوا علاجي بالجلسات والإيحاء بلا فائدة. أرجوك انقذني.

إن الطب النفسي لا يكفي لعلاجك..

أنت في حاجة إلى طبيب أمراض عصبية.. وعلاج منتظم في مستشفى.

إن حالتك.. حالة مرضية معروفة اسمها الملائكة.. والمرضى في هذه الحالة يعانون من رغبات متسلطة.. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شيء حتى عن الأكل.. وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى أمراض عقلية مختص.

شعرت بالضيق مع أننا وحدنا في غرفة بعيدة..
وإذا وجدت سرحانة ومش واخده بالها.. وكلمتها فنظرت إلى
في شرود.. أغضب في نفسي.. وأنام بلا عشاء.

وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة.. وكان حولنا شبان أظل
أتململ طول الوقت.. ولا يعاودني هدوئي إلا إذا رجعنا إلى
البيت..

إذا ضحكت في الطريق أتلفت حولي لأبحث عن الرجل
الذي ضحكت له.. وإذا عبست تنتابني الوسواس والظنون..
ويظل عقلي يختلق الظنون المتعبة.

وهي الآن حامل.. ولكن أشك أحياناً في الجنين الذي تحمله..
أشك في أنه قد يكون من رجل آخر غيري.

أنا أعيش في عذاب..

ولكن ماذا أفعل؟.. وأنا أحبها.. أعبدها.

أنت لا تحبها.. أنت تحب نفسك.

أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك..
كما لو كانت تابعاً بلا حرية وبلا إرادة.. لا حق لها في أن تنظر
إلى اليمين أو إلى اليسار.. أو تضحك.. أو تعبس.. وأنت لا تكتفي
بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها.

جنون الغيرة

أنا شاب عمري ٣٠ سنة متزوج من سنتين.. وزوجتي مدرسة
بمدرسة الراهبات.. والشيء الذي لا يعرفه أحد أني أعيش في
عذاب الغيرة.. طوال السنتين وأنا أكتوى بنار الغيرة.

زوجتي ليست جميلة.. ولا خفيفة الدم.. بل هي عادية جداً
جداً.. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة.. وسمعتها حسنة.. ليس
عندي شيء أمسكه عليها.. ومع ذلك أنا أشك فيها.. الشك
ينهشني.. والغيرة تأكل قلبي.

إذا ركبنا أتوبيس أقف بجوارها وأحلق في كل شاب في ريبة،
وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاظ ويغلي الدم في رأسي
وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها.. ولا أجرو أن أجاهرها
بشكوكي.. وإذا حضرت من عملي ووجدتها واقفة في البلكون
أغتاظ.. وإذا رأيتها تلبس فستاناً ديكولتيه مفتوح شوية أصاب
بالجنون.. ولكني أكتم جنوني وغيظي ولا أصارحها حتى لا تقول
إني متأخر ورجعي.. ولكني ألاحظ أنها تأخذ بالها.

وإذا حضر زوار لاختوتها، في البيت وأخذوا يروحون ويحيثون

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفاء وغير قادر على الاحتفاظ بها.. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى.. ومواجهتها بصكوك الملكية.. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة في هذا.. ولهذا تجن.. وتكتوى بالنار وتغتاظ.. وتكتم في نفسك.

وحيثما تراها تضحك في الطريق.. تتلفت حولك لتبحث عن الرجل الذى ضحكت له، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت.. أنت في نظر نفسك تافه.. لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك.

إن العقدة في نفسك.. وإذا لم تغلب على هذا الشعور بالنقص فإن زواجك سيفشل.

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك.. ولن تعرف كيف تحبك وأنت لا تعرف كيف تحب نفسك.

الحقيقة الخفية

أنا زوجة.. وأعمل في إحدى الشركات.

معى فى العمل شاب اعتبره أنا رجلاً مثاليًا جذبني إليه بأدبه وذوقه ورقته، فحفظت له أعظم تقدير.. وكانت نظراتي إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه، حتى أنني كنت امتدح أخلاقه المثالية أمام زوجي.. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية.

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعتها نظرات من جهته.. نظرات طويلة وغير عادية.

وذات مرة سألت نفسي ماذا وراء نظراتي له..

إنى أحب زوجي حباً جماً وأقدس حياتي الزوجية ولا ينقصنى شيء فى الدنيا.. وبرغم اشتغالى نصف يوم خارج بيتى فأنا لم أفكر مطلقاً فى إهمال شيء ببيتى أو زوجي.

وزوجي يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير..

فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد..

لماذا تعلقت به عيني إلى هذه الدرجة..

ولم أستطع الإجابة على هذا السؤال..

ولكني كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين.. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له مشاكلي وعذابي وآلامي.

ولكن هل هو كذلك؟

لا أعلم..

فإلى الآن.. وبعد مضي حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة.. لم يفتح فمه بكلمة.. ولم يصارح أحدنا الآخر.. بدخيلة نفسه.

وفكرت في معنى نظراته الطويلة نحوى.. واكتشفت أني لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة.. مها حاولت. فإنها شيء فوق الوصف.. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ.

وأنا أحرص دائماً على أن أظهر له في كل دقيقة أني لا أهتم به ولا أفكر في أي رجل سوى زوجي.. ولكن في أعماق نفسي أشعر أني معلقة به.. ويشعر هو الآخر بذلك.

وهو من ناحيته يحاول دائماً أن يبتعد عني.. ويتجنب الانفراد بي في مكان.. ويحاول أن يهرب.. وكلما سنحت فرصة لنبقى معاً يشعرني بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان.. وفي اليوم التالي

يحاول أن يظهر إهماله لي.. ولكن نظراته تعود فتفضحه.. نظرات كلها شوق ولوعة.

وهكذا تستمر المناوشات بيننا.. نقترّب ونبتعد في سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم.. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شيء.. لا شيء سوى مظهر الزمالة العادية.. ويعلم الله ما بنفس كل منا.. والآن أشعر أن مشكلتي تتفاقم بسرعة..

وأصبحت أمضي الساعات الطوال أفكر فيه وفي نظراته التي لم أعد أستغنى عنها.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملي فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه؟

ما رأيك؟..

ومن الواضح أنك لم تتركي لي فرصة للرأي.. فأنت في مواضع كثيرة من خطابك.. تسبقيني.. وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية ترفض الجدل.

جذبني أدبه وذوقه ورقته..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له عذابي وآلامي.. ليه الآلام دي.. وليه العذاب ده كله.. أنك زوجة وتحبين زوجك وزوجك

يجبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شيء ينقصك في الدنيا..
كما تقولين.

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية
مسكينة في حاجة إلى النظرات الحنونة.. المشتاقة.. الوهانة..
إلخ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شيء..
وهى نظرات.. يوه منها.

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت
فإنها شيء فوق الوصف.. يا سلام.. لا يا شيخة.. نظرات كلها
حنين وشجن وهمس.. آى.

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات..
طبعاً بعد كل هذا الإخراج.. مش ممكن.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه
وأنظر إليه.

يعنى بتهددنى كمان.. بأنك لن تستطيعى الاستمرار فى
عملك.. لو أنك تركته لحاله.

ناقص تقولى.. حاترفدى.. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبه.

إن المشكلة طبعاً ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر
إليك.

إنك كامرأة متزوجة سوف تجدى فى كل مكان رجلاً مستعداً
للنظر إليك طول اليوم.

إن المشكلة هى مشكلتك أنت.. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو فى
قلبك.. خيانة زوجك.. رغبة بدون سبب.. فأنت تحبين زوجك وهو
يجبك.. مجرد تخريب.. عبث..

والنهاية طبعاً معروفة..
نظرات طويلة متبادلة فى محل العمل.. خبص عيني عينك..

وفضيحة بجلاجل.. وخراب بيوت.. وسمعة طين.
وفى النهاية بعد أن تخسرى كل شيء.. لن ينظر إليك حتى

الرجل الذى أعطيته نفسك باحترام.
سيظل يتخيل نفسه فى مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه..

سيظل يشعر دائماً أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبداً.. وهكذا
تفقدى كل شيء.. كل شيء وتنتهين تماماً..

لنقل لى.

لنقل لى.

لنقل لى.

لنقل لى.

أعود وحدي في أية ساعة من الليل.. أما هي فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات في مثل تلك الساعة المتأخرة. وفكرت.. وفكرت.. ولم أجد حلاً.. وأخيراً أخذتها معي إلى مسكني لتقضى به بقية الليل.

وأصارحك.. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى. وعوضنا الثلاث سنوات التي كنا نلتقي فيها في الخارج. وتكررت هذه الأشياء.. وأصبحت تتردد على منزلي.. وأصبحنا لا نسأل عن سينما أو كازينو.. فالمنزل أحسن بكثير.. وكانت تببت معي لأن عملها يخول لها ذلك.. فهي حكيمة وعندها ورديات بالليل.. وأحياناً ورديات بالنهار.

وأخيراً فكرت في الزواج منها وشجعتني على هذه الفكرة.. وقالت لي إنها ستساعدني في كل شيء.. ولا داعي لأن أحمل هم التكاليف.

ولكن عندي في نفس الوقت أسباب تجعلني أتردد.. فهي ليست جميلة.. وهي أكبر مني سنًا.. وهي في الدرجة السابعة وأنا في الدرجة الثامنة.. وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معي بغرور واستعلاء.. وأصحابي يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجية.. هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى

التعود..

أنا موظف صغير في الدرجة الثامنة.. أقوم بمساعدة أهلي في الريف بجزء من مرتبي وأعيش بالجنيهات القليلة التي تبقى لي في القاهرة.. في غرفة بمفردى.. ومازلت أعزب إلى الآن. مضى على تعييني ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئاً للزواج. تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة في الدرجة السابعة بإحدى المستشفيات الحكومية.. سمراء.. ملفوفة.. تكبرني سنًا بحوالي خمس سنوات. كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا.

كنا نتقابل دائماً في الخارج لنقضى الوقت في أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما.

ثم حدث أخيراً أن دخلنا إحدى حفلات السينما التي تبدأ في منتصف الليل وتنتهي في الثالثة.

وخرجنا في الساعة الثالثة لنواجه مشكلة.. أين تذهب. أنا لم تكن عندي مشكلة لأني أعيش وحدي وأستطيع أن

كما تفعل معي.. وسوف تتأخر على نفسها ولن أستطيع أن أقول لها.. كنت فين؟

وهم يقولون أيضاً إنها في سنها الحالي وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهتمها إلا أن تحصل على زوج أي زوج لتكون في عصمة رجل.. ثم تعيش بعد ذلك على نفسها.

ولكن الحقيقة الأكيدة التي أشعر بها.. أنها تحبني وتعبدني، في الوقت الذي أحبها أنا فيه بعض الحب فقط.. وأنا حائر.. هل أتزوجها؟

لا شك أن بحالتك الراهنة.. موظف في الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف.. تعتبر.. عريس على قد حالك جداً جداً.

وسوف تكون في حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك.. إذا فكرت في الزواج.

وبإيرادك الحالي الذي لا يزيد عن سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك.. بسهولة.

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك.. وتحلم بالزواج بك.. وفي نفس الوقت تحبها.

وحكاية الجمال كلام فارغ.. لأن التعود يقضى على الوحاشة

وعلى الجمال.. والعين حينما تتعود على وجه وتألفه.. يفقد هذا الوجه ما يثيره في النفس.. وتبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام، وهي أشياء أهم من الجمال في الزواج. وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ..

ورأيت إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك.. أن تتزوجها بالحلال وتتوب عن حياة الخطايا التي ضيعت فيها نفسك ونفس من تحب طوال هذا الوقت.

فلست «لاجئاً فلسطينياً».. ولست مقطوعاً من شجرة.. وإنما أنا
مصرى.. وأبوأى على قيد الحياة. أو نلواشته ناله لاجئاً
لقد كان كلانا صعلوكاً مغامراً.

ولا أدري ماذا أفعل الآن..

أنا مخطئ وقد أوغلت في الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى
طريق السلامة.

* * *

سيدي..

أشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة.. وإنما هي
امرأة محتالة مثلك نازلتك بنفس سلاحك.

إن قصتك تذكرني بما قاله ميترلنك عن العدالة.

إنك لا تقابل إلا نفسك في طريق القدر. كن كاذباً تسرع
إليك الأكاذيب.. كن لصاً تتشبث بك الجرائم.. في أى طريق
تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك.

إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجرى بين
حيطان السجون.. وإنما كل ما يعيننا هو حجم الكأس التي
نغمرها في مياهه، وإن هذه الكأس لتأخذ دائماً شكل أفكارنا
ورغباتنا.. وتساوى سعة أشداقنا.

إن حظك من الحب عادل يا صديقي الصعلوك.. والكأس التي

الجزء من جنس العمل

أنا ترزى سيدات بالإسكندرية.

تعرفت في أحد الأيام بشاب فلسطيني من اللاجئين يغني في
أحد الكباريات.. ودعاني صديقي لمشاهدة البرنامج.. حيث
عرفني براقصة من زميلاته.. وقدمني إليها على ابن عمه.

وأصبحت الراقصة زبوتتي.. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية
في السابعة والثلاثين من عمرها.

وقدمت نفسي للغنية الجميلة أنى لاجئ فلسطيني مقطوع من
شجرة وقدمت لي نفسها على أنها أرملة عراقي كبير ومن عائلة
معروفة.

ونشأ بيننا حب جارف.. وشربنا كاساته حتى الثمالة..

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب على.. وأنها قوادة مستهتره تتجر
بالأعراض وليست أرملة عراقي وإنما هي أرملة كل الناس.

ولم أستطع مكاشفتها لأن حبي لها كان قد ذهب بي بعيداً،
وعبر حدود العقل والمنطق.. ولسبب آخر هو أني أيضاً كذاب.

تشربها تساوى سعة قلبك ولون ضميرك. لعلك لتعلمه تسلا
كلاهما طائران متشابهان وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معاً
إلى نهاية الطريق.

منافسة غير شريفة

توفى زوجي منذ أعوام.. وكان عمري حينذاك ثلاثين عاماً..
تاركاً لي ثروة كبيرة وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة.
وكرست حياتي لبناتي حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما
بمدرس فى كلية الهندسة.. والثانية بدكتور كبير.. أما الثالثة
الصغرى فقد كبرت وأصبحت قمورة فى سن السبععاشر.

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب.. وسرعان ما أحبته
وشغلت به.. وأصبح محور أحاديثها فى كل وقت.

وأنا تعودت دائماً ألا أتدخل فى شئون بناتي من ناحية اختيار
الأصدقاء وفى العادة اكتفى بالإشراف من بعيد ولكن حينما
علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية
فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير
متكافئ لا يليق بنا.. وطلبت من ابنتي أن أتعرف عليه.

واجتمعت به فى النادي لأول مرة.. وقضينا فترة نتحدث.

كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله.. وتكلم بصراحة مطلقة لم

أعهد لها في شاب.. تحدث عن ظروفه في عدم الاستمرار في التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم أن يكون مهندساً.. ولم يجد في الدراسة الأدبية شفاءً لأحلامه.. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة ونصف سنة ثم خرج.. وكيف استقر أخيراً في وظيفة محترمة بمرتب كبير، وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية.. وأن يتقن ثلاث لغات.

وبتعدد مقابلاتي له بالنادي أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع في مختلف الثقافات.. في العلم.. والأدب والفلسفة.. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب.. وعرفت أن له شخصية قوية.. ولم يكن هذا رأيي وحدي.. فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه.. وأزواج بناتي كانوا يشكرون في أخلاقه وسلوكه.. في الحقيقة اطمأننت إليه.. وقلت في نفسي.. مادام مركزه محترماً وصفاته حسنة وشاب مؤدب وفوق ذلك ابنتي تحبه.. شجعت هذه الصداقة.

وأصبحت ابنتي لا تبتعد عنه.. وتتصل به كل يوم في التليفون.. ويتقابلان كثيراً.

وكانت طوال الوقت تحدثني عن كل ما يحدث بينها.. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة.. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يجب

ابنتي ويقدرها ويحترمها.. ويحدثني عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد.. وبتوالي الأيام وحديث ابنتي عنه.. كنت أحس باشتياق له وانتظر موعد حضوره في النادي أسبوعياً بلهفة شديدة.. وتحول اشتياقي إلى حب جارف ملتهب.. وكانت تؤلمني نظراته لي كأم حيث أنه فقد والدته وهو طفل.. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجاً لي.. ولم لا؟ فهو الرجل الذي يستطيع أن يسد مكان زوجي، والشباب القوي الذي احتاج إليه في هذه السن.. ستقول عني أنانية وخائنة في حق ابنتي.. ولكن أنا سيدة فقدت زوجي في الثلاثين والآن أشعر بالوحدة وسأكون وحيدة بعد أن تتركني ابنتي الثالثة.. وأنا أحبه.. وأعشق رجولته وشهامته.

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتي حتى قطع رجله تماماً من البيت.. ولكن الذي حدث كان أكثر من هذا.. فقد قطع رجله من النادي أيضاً ولم أعد أراه.. ولم يعد يتصل بي ولا بابنتي، وكدت أجن من الشوق والتفكير.. ولازمني القلق.

وأخيراً تشجعت وطلبته بالتليفون وقلت إنني أريده بالمنزل لمسألة هامة. وأخليت المنزل.

وحينما دق الجرس ورأيته أمامي.. فقدت أعصابي وألقيت بنفسي على صدره.. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة.. كثيرة.. لم أفق

منها إلا على صفة.. لظمني بها على وجهي وهو يبعدني في
اشمزاز وإنكار وأدار وجهه وخرج.. وتركني ذليلة مكومة على
أريكة.

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش في صراع فظيع.. وأفكر في
الانتحار وأفكر في أني حقيرة.. ولكن ما ذنب ابنتي.

إن ابنتي تبكي ليلاً ونهاراً.. وهو لا يتصل بها.. وهي تعتقد أنه
سيخطب إحدى قريباته.. وهي لا تعلم الحقيقة.. ولا أجد عندي
الجرأة لأقول لها الحقيقة.

ماذا أفعل؟

إني أتمنى أن يعود إلى ابنتي.. ولا أمل لي أكثر من أن يعيش
الاثنان سعداء معي.. وأرى سعادتهما من حولي.

اكتب له ليعود.

إنه لن يعود.. ولقد كنت أعلم ذلك.. إن الشهامة والرجولة والأخلاق. لا يمكن أن تعود إلى أمثال
هذه البيوت.. البيوت التي يخليها أصحابها، ويستدعون الرجال
بالتليفون للخدمات المستعجلة.

إن ابنتك بريئة.. ولكنها تعيش معك في البيت.. والبيت ينقل
عدواه لمن فيه.. ولا شك أنك كنت بريئة.. وأنت في سنها، وهذه

البراءة لم تمنعك من السقوط في سن الخمسين.

وأسوأ ما يخافه شاب أن يختتم حياته الزوجية بشناعة، إن
شناعة في سن الخمسين أسوأ ألف مرة من سقوط في سن
العشرين.. لأنها شناعة بائسة مخجلة ليس لها عزاء فيما تبقى من
العمر.

الفريسة والصيد

أنا فتاة في السادسة عشرة من عمري.. جميلة.. وجذابة.. بدأت مشكلتي منذ حوالي سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمي.. لم يكن ينقصنا شيء في حياتنا.. فأمي امرأة غنية جداً ترك لها والدي قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جداً.. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقيتها ومظهرها.. وتعرفت أمي في هذا الوقت على شاب في السنة النهائية بكلية الآداب.. وكان شاباً أنيقاً.. وشرعت في إغرائه بالفلوس.. التي فرشتها تحت قدميه.

وكانت أحياناً تصحبه معها إلى البيت الذي نعيش فيه.. وتكرر ترده إلى البيت كثيراً.

وفجأة وجدت أمي تخبرني بزواجها من هذا الشاب الذي انتقل إلينا وأقام معنا.. وكان في هذا الوقت قد تخرج من الكلية والتحق بعمل محترم.

ولاحظت أنه بدأ يتودد إليّ وبدأ يعاملني برفق وغزل.. وفي يوم كانت أمي في الخارج.. وجاء هو إلى المنزل وكنت

وحدى فأخذ يلاطفني حتى وجدت نفسي تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا في قبلات حارة ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبه حباً كبيراً لا أقوى على مقاومته.

وأصبحت انتظر اللحظات التي نختلي فيها بأنفسنا وأقسم لك أن علاقتنا لم تتعد القبلات والأحلام الجميلة، واتفق معي على كل شيء.. اتفق على أن يطلق أمي ويتزوجني. وفعلاً تم الطلاق.

وحتى هذا الوقت لم تكن أمي تعلم بشيء حتى فاجأتها بأني سوف أتزوج من هذا الشاب الذي طلقها فجرت جنونها وثاررت وهددتني بحرمانى من الميراث وبرغم ذلك صممت على الزواج منه.

إني أحبه. أحبه. أحبه. سنة كاملة وعدة شهور ونحن ننعيم في نشوة الحب.

وقد تعقدت المشكلة أخيراً حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجموه جميعاً ووقفوا حائلاً ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج.

إني أتعذب.

لم تكن جريمة أن أحب شاباً يقرب سنه من سني حباً شريفاً خالصاً.

لقد اعترف لي أنه أخطأ بزواجه من أمي.. وأن حاجته إلى الفلوس في ذلك الوقت هي السبب.

إننا نتعذب.. ماذا نفعل؟

تأكدى أن الشرع على حق.

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على نظرتة.. إنه زائع الشخصية.. عينه زائغة بين فلوس أمك.. وشباب ابنتها.. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة.. فهو يعرف جيداً أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث.. وأنها مهما كانت قاسية فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقه.. وهكذا تقعين له كما تقع الفاكهة المستوية.. على أنك صيدة.

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك.. جمال ومال.

إن كل شخصية لها منطق يحكمها.. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها.. لأن منطقها هو جوهرها وروحها.. وهذه روح صاحبك.

إنه رجل سيء.. تجنبه.. ليس بسبب الشرع فقط.. وإنما لأنه إنسان كذاب.. عواطفه كذابة.

أخواتي جميلات

هاتان الكلمتان هما كل مشكلتي «أخواتي جميلات».

هما كلمتان ولكنها بالنسبة لى.. حكم بالإعدام.. فلا أحد ينظر لى.. ولا أحد يتودد لى.. وإذا مشيت مع أخواتي فى الطريق سمعت كلمات كالعسل تتساقط على آذان أخواتي على حين ترشقتى السخريات كسهام مسمومة وكأني أنا الخادمة أو الدادة أو المريية أو لقيطة من الطريق.

كل أملى فى الحياة أن أموت لأستريح من هذا العذاب.
صداع.. صداع.. صداع.

الصداع القاتل لا يبارحنى لحظة.

وقد رسبت فى الجامعة وضاعت علىّ سنة بسبب هذا الصداع الذى يمزق رأسى.

لا أطيق النظر إلى مرآة ولا أطيق النظر فى عيون الرجال.. مع أنى لست قبيحة بل أنا مقبولة جداً بين البنات العاديات، ولكنى إلى جوار أخواتي أقل منهن بكثير.

جاء إلى الخطاب ورفضتهم لأنى أعلم أنهم يخطبون مركز أبى

وثروته ولا يخطبونني لذاتي.. وأنا أريد رجلاً يسعى إلى لذاتي
يغازلني ويبادلني الحب ويتمناني دون أن يعرف من يكون أبي ومن
يكون أهلي.

حاولت الانتحار وأنقذني أبي وبكى من أجلى.

أمي وأبي وأخواتي يعاملونني بكل رقة ومحبة واحترام ولكني
أشعر أن هذه الرقة إشفاق وعطف وأشعر أنها كالإحسان الذي
يبذل لمتسول مقطوع اليد.

أشعر بنظرات العطف تحرقني، تكويني، تلسعني كالنار.

لماذا خلقتني الله لأتعذب.

لا أريد منك كلاماً أى كلام.

ولا أقبل منك مواساة.

أقنعني.. أريدك أن تقنعني.

أريد كلاماً مقنعاً.

أريد أن أفهم لماذا تخلق أخواتي جميلات وأخلق أنا أقل منهن.

ولماذا لا تكون هناك عدالة في السماء.

كيف يفعل هذا إله كامل قادر عادل.

لماذا يظلمني في وجهي وملامي.. وماذا فعلت لأتلقى هذا الحظ

الضئيل الهزيل منذ يوم ميلادى.

لماذا يكون نصيب الأخريات الحب والإعجاب والانبهار

والتعلق والمطاردة في كل مكان.. وأمشى أنا فلا يشعر بوجودى
أحد.

لماذا.. ولماذا.. وألف لماذا.. ثم صداع فظيع يغلف رأسى

كالضباب وحقد ومرارة وكراهية لكل ما هو مفرح.. وورغبة في

الانتقام وأعود إلى نفسى فإذا بي أتمنى أن أدمر نفسى، أحرق

نفسى، أشنق نفسى حتى لا أعيش في هوان وإحساس مرير

بالنقص على الدوام.

أريد أن أفهم.

أين العدالة في هذا..

المعذبة

ليلي.. م

الدنيا تقوم على التفاضل وعلى التفاوت والاختلاف..

كل منا يولد.. فريداً منفرداً نسيجاً وحده مختلفاً عن غيره..

ولو أن كل النساء خلقن متطابقات متساويات في الأوصاف

لأصبحن كملايين النسخ التي تغني عنها نسخة واحدة.. ولما أصبح

هناك داع للتعدد فهو لا يحمل معه أى تفاوت ولا أى تلوين.

إن حكمة الله اقتضت هذا التفاوت والتباين.

ولكن الله لم ينس أحداً.

وغلطتك أنك تصورت أن النعمة الوحيدة التي يمكن أن

يعطيها الله لامرأة هي جمال وجهها - والثروة الوحيدة التي يهبها لها هي ثروة الملامح والتقاطيع.
وهذا غير صحيح.

فيمكن أن يعطي الله لواحد الثروة في وجهه ولآخر الثروة في صحته ولثالث الثروة في قوته الجسدية ولرابع الثروة في جيبه ولخامس الثروة في قلبه.

والله يمنح الموهبة والذكاء والعبقرية كما يمنح الجمال.

وقد يأتي الذكاء اللامع مع الوجه الدميم.

وقد يأتي الصوت الذهبي الرائع مع وجه يسمع في الإذاعة ولا يرى في التلفزيون.

وقد تأتي العبقرية مع جسم مريض بالسل.

وقد يخرج الشعر الملهم من رجل مشلول في الفراش أو امرأة كسيحة.

ولكن الله دائماً لا ينسى مخلوقاته. إنه يعطي لكل واحد منهم كنزاً وعلى كل واحد أن يكتشف كنزه.

وغلطتك أنك تبحثين عن كنوزك في وجهك وملامحك.. تبحثين عنها في المرأة وفي عيون الرجال ومعاكسات الطرق.. وهذه نظرة محدودة الأفق.

لماذا لا تبحثين عن كنوزك في مكان آخر غير مقاسات جسمك ولون شعرك واكتناز شفطيك.

قد يكون الكنز في صوتك فتكونين خليفة أم كلثوم.
وقد يكون الكنز في عقلك فتكونين خليفة مدام كوري.
قد يكون في موهبة فنية كامنة فيك فتكونين خليفة أنامانياني.
قد يكون الكنز في قلمك فتكونين خليفة أميلي برونتي وجورج صاند.

ابحثي عن نفسك ودعي الحقد، والمرارة والكراهية فهي ستائر مظلمة تحجب عنك نفسك.

لا تتحسسي شعرك وإنما تحسسي أعماقك.
حاولي أن تنظري إلى الناس وإلى الحياة وإلى الدنيا وإلى الله بكل محبة.

وتأكدي أن جمال الوجه هو أول جمال يذبل.
أما جمال النفوس والمواهب فهو يزداد تألقاً ولمعاناً مع العمر.
وها هو صوت أم كلثوم يزداد جمالاً.

وهيلين كيلر البكاء والصماء ملتقى إعجاب الملايين في حياتها وموتها وهي أقل الناس حظاً في كل شيء..
تأكدي أن الله لا ينسى أحداً.

ولكن نحن ننسى أنفسنا في دوامات الحقد والكراهية والحسد فلا نعرف أين نجد آثار النعمة التي اختصنا بها الخالق وتضيع منا حياتنا دون أن نكتشف كنوزها.

من كان يتصور أن الصحراء الجرداء القفر تخفي ثروة من الذهب الأسود في باطنها.

ولكن الأمر احتاج إلى جهد مضمّن وإلى حفر.

وعليك أن تحفرى في داخل نفسك بحثاً عن منجم الذهب.

يا أخت ليلي.. الحسد يعميك تماماً عما هو في نفسك.. يشل كل

قدراتك وحواسك ويحول بينك وبين الانفتاح على نفسك وعلى

العالم.

إن الله لا يظلمك.. ولكنك أنت ظلمت نفسك بأن أسدلت

على عينيك ستار العمى الذى لا يرى إلا حلاوة الشكل.

ولكن الإنسان ليس مجرد شكل.

المرأة ليست سجادة.

المرأة روح وقلب وشعور وعواطف ووجدان قبل أن تكون

مجرد لحم ودم.

ابنتى تحب

ليست المشكلة خاصة بي فمشاكلي تعودت أن أحلها بنفسى

ولا أستشير فيها غير أطراف النزاع.. وبالنسبة لرجل زار معظم

دول أوروبا وتعرف على مختلف العادات والتقاليد وكان له شباب

حافل بالمغامرة مثلى فما أسهل أن يحل ما يعترضه من مشاكل

معتمداً على خبرته ومعاناته.

ومع ذلك أعترف أنى فى هذه المرة عاجز تماماً عن الحل.. ربما

لأن المشكلة ليست مشكلتى.. وربما لأنها تخص أعز ما أملك فى

هذه الدنيا.. ابنتى الوحيدة.

والمشكلة يا سيدى هى مما يحدث فى كل بيت، ولكن

لا يعجبني تصرف كل بيت تجاهها.. فابنتى تحب شاباً فى الثانية

والعشرين من عمره ما زال طالباً فى كلية الطب وأمامه إلى أن

ينهى دراسته ثلاث سنوات.

ولكن المشكلة أنى بعد أن عرفت بعلاقة ابنتى بهذا الشاب لم

أشأ أن أعاملها بقسوة وأطلب منها قطع كل علاقة به، إيماناً منى

بأن هذا الشىء لا بد أن يحدث يوماً.. وإيماناً منى بأن أوربا كلها

تمارس هذه العلاقات بحرية شديدة، وأنا نفسى كنت على علاقة

بكثير من البنات وكان أهلهم يستقبلونني في منازلهم، وكلهن من عائلات محترمة جداً.. ولكن لم تنزل في أعماقي تلك النزعة الشرقية إلى الحفاظ على العرض والغضب لكل ما يجرح الشرف والسمعة ولو بخدش صغير.. فكيف أرضى على نفسي أن تخرج ابنتي لتقابل أحد الشبان وتركب في سيارته «هذا الطالب له سيارة»، وتخرج والله أعلم أين تذهب - وهل ذهبت إلى كازينو أو إلى جلسة بريئة على شاطئ النيل كما قالت.. أم أنها ذهبت إلى شقته الخاصة.. وما أكثر وسائل الإغراء في خلوة وغرفة مغلقة على اثنين.. ومهما كانت القيم والتقاليد ينتصر الشيطان دائماً في النهاية.

وكيف أسمح لنفسي وأنا أشغل وظيفة محترمة جداً أن يتكلم عنى الجيران وعن ابنتي بأنها تمشي مع فلان وتخرج معه في العربة، والله أعلم إلى أي حد ينتهي مثل هذا الكلام وأنت تعرف كلام الناس.

ولو فرض حتى أنها خرجت معه خروجاً بريئاً إلى أحد الكازينوهات، فمن المؤكد أنه قبلها مراراً وتكراراً.. وكيف أسمح لشخص كل ما يربطه بابنتي هي كلمة «إن شاء الله لما أخلص تعليمي أتجوزك».. أن يفعل معها كل هذا.

وما أدراني أنه لا يخدعها ويضحك عليها ويغرر بها.. وكيف أطمئن إلى نواياه وأخلاقه.

وماذا يقول مثل هذا الشاب عن عائلة صاحبه التي تسمح له بمرافقتها متى شاء.. هل يقول إنها عائلة متحررة أم عائلة بطالة؟ ألف سؤال وسؤال يدور في ذهني ولا أصل إلى جواب حاسم. والمشكلة أني كنت طيلة شبابي أنادي بضرورة الاختلاط في جميع سني الدراسة وفي جميع مجالات العمل.. وأنادي بحرية الفتاة في أن تحب من تريد.

ولكن هذا تغير عندما أصبحت أباً.. فقد ملأت المخاوف رأسي وعادت الأفكار المحافظة تعشش في عقلي.. فأنا أتكلم الآن عن البيئة الشرقية وضرورة اختيار السلوك الملائم لكل بيئة.. فما دمنا نعيش في الشرق فيجب علينا أن نتصرف كشرقيين.. وإذا كنا في إنجلترا.. نستطيع أن نتصرف كإنجليز.

وأمام ابنتي أشعر بالحيرة. هل أجبرها على قطع علاقتها بهذا الشاب برغم تصريحاتها المتكررة بأنها تحبه جداً جداً.

هل أسمح لها بالعلاقة وإلى أي مدى.. خاصة وأني أقرأ في الصحف عن محتالين يغررون بالفتيات ويدعون أنهم أطباء ومحامون ومهندسون.

كيف أحمي ابنتي؟

سيدي.. أنا لا أعرف تماماً ماذا أفعل وكيف أتصرف.

أنا أمر بأزمة نفسية يمكن أن تكون هي مرحلة التطور من

القديم إلى الحديث ويمكن أن تكون بداية العودة إلى القديم.. أو
الاندفاع إلى الحديث.

وأرجو أن أستمع إلى رأيك في هذه المشكلة.

وأرجو أن تحكم على أساس أن هذه البنت هي ابنتك، وإنك
أنت الأب الذي تمر بهذه الأزمة.

المهندس
م.أ.م

لا شك أن مشكلتك دقيقة جداً.. خاصة وأنتك أب متحرر
تتمتع بآراء متحررة روجت لها وقمت بالدعوة طول حياتك إلى
هذا التحرر بالقدوة والمثل والتوجيه.. وأنت نفسك استمتعت بهذه
الحرية بغير حدود.

وأنت بعد هذا تطرح المشكلة بعد أن خطت خطوات بعيدة.
فهذه المقابلات التي تكررت بلا اعتراض قد اكتسبت شرعية،
فهذه المقابلات توطدت إلى حب «جداً جداً» كما تقول ابنتك،
فالمنع الآن بالإكراه والعنف غير منطقي فضلاً عن أنه غير مجد.
فأمام الأمر والضغط يمكن للفتاة أن تقول لك.. لن أقابله.. ثم
تقابلة في الخفاء.. وهذا أسوأ.

وإحكام الرقابة مستحيل فضلاً عن أنه سخيف وغير مقبول
من أب مثلك.

وكل ما يمكن عمله الآن هو أن تحاول ادخال هذا الشاب في
العائلة لاضفاء مزيد من الشرعية والاحترام على هذه العلاقة
ولتكون طرفاً ثالثاً يشهد ما يجري وتستطيع التعرف على هذا
الشاب، وتلمس محاسنه، وعبوبه، ودخائله. ونواياه.

رأى أن تدعوه على مائدتك، وأن تفتح له بيتك ليتردد عليه
كابن عزيز.. ومثل هذا الاحترام الذي سوف تسبغه عليه سوف
يجعله يخجل ويتردد ألف مرة قبل أن يبتذل حبه لابنتك.

والعلاقة بصورتها الجديدة سوف تجعلك في مكان النصح
والتوجيه. إنها أسلم مكان تمسك منه الدفة لتوجه السفينة إلى بر
الأمان.. وهذا ما كنت أفعله لو كنت في مكانك.

ونحن في بيئة شرقية لكن بناتنا يجلسن مع الشباب جنباً إلى
جنب. في مدرجات الجامعة.. وإعلانات السينما في الشوارع حافلة
بصور شبه عارية، والتليفزيون يعرض علينا رقصات مكشوفة،
والمجلات تروى لنا حكايات مكشوفة.

لم تعد بيئتنا شرقية وهي تتطور بسرعة نحو شكل غربي.
والعلاقات التي نخشاها على الجيل الجديد سوف تحدث رغماً عنا،
ولكن في الخفاء وراء العيون وفي سرية بذيئة وخصوصية مبتذلة
وسوف نتحول إلى آباء مخدوعين نتكلم عن الشرف المصون
وبناتنا تسوى الهوايل.

لابد من مواجهة المشكلة في صراحة.
وصداقة في النور وفي جو عائلي وتعارف يشترك فيه جميع
الأطراف سوف يكون فيها عنصر الاحترام الذي سوف يصونها
من الابتذال.

وهي أفضل ألف مرة من علاقات الظلام.

والحارس الذي يصون البنت هو القيم التي نزرعها فيها
وليس عفريت بابا ولا عفريت ماما.

يجب أن نقيم منها حارسة على نفسها.. وهذا دور التربية
وليس من مهمات البوليس المنزلي.

والحرية خطر ولكن سلب الحرية وتخطيم شخصية البنت
أخطر لأنه سوف يسلبها احترامها لنفسها وثقتها في نفسها وهي
وسائل خلاصها.

ولابد لنا أن نختار.

وعلينا أن نختار عصرنا بكل أخطاره حتى لا نعزل عنه ونفقد
الفعل والتأثير عليه.

غرام أفلاطون في السويد

أنت لا شك سوف تضحك.

شاب يكتب عن غرام أفلاطوني في السويد.. بلاد المرح
والجمال والمتع المتاحة والعلاقات الملتحرة من كل عرف وتقليد
ومن كل قيد وشرط حيث الحب رخصة كافية ليمنح كل جنس
نفسه للآخر بدون تحفظ.

في جنة الحوريات حيث كل لذة حلال بلال.. وحيث الحرية
الجنسية حق يمارسه الأولاد والبنات بلا ندم.. ودون أن يعتبر
ما يفعله أي منهم منافياً للياقة والأصول والآداب.

من هذه اللجنة يكتب لك شاب عن غرام أفلاطوني!.. لا شك
أنك سوف تضحك.. ولك الحق.. أنا أيضاً أعجب لحالي مثلك
ولا أعرف لنفسي دواء.

وأبدأ لك الحكاية من أولها.

أنا شاب مثالي طالب بيكالوريوس هندسة متفوق دائماً..
حسن المظهر.. ميسور جداً من الناحية المالية.

سافرت إلى السويد مرتين. صراحة
في المرة الأولى كنت صغيراً رومانتيكياً في العشرين.. حلم
العينين.. شاعرياً.. شديد النقاء.
التقيت بها في أقصى الشمال، طويلة فارعة بيضاء كالثلج،
متفتحة كالوردة، ندية كفاكهة الصباح، شعرها كسنابل القمح
ذهبي فاتح مسترسل في خصلات كثيفة.
كم أحببتها.

كنا نجلس بالساعات نتكلم.
وفي كل لحظة أجد عندها موضوعاً جديداً.
كانت تقرأ كل شيء.. وتفهم في كل شيء.. المسرح.. القصة..
الموسيقى.. النحت.. حتى الهندسة.. والسياسة.. والدين..
والفلسفة.

وكنت أجلس عند قدميها كالعابد الزاهد.. لا أطمع في شيء
سوى أن يمتد بنا الأجل إلى أبد لا ينتهي.
لمست يديها وعانقتها وقبلتها.. ولا أكثر.
وأصارحك الحقيقة لم أكن أفكر في أكثر.

كان وجودها معي فيضاً من النعمة بالنسبة لي.. وكأساً مترعة
ترويني وتسكرني فلم أكن أفكر في المزيد.. وإنما كنت أتمنى أن
يتوقف الزمن عند لحظات لقائنا الرائعة.. فلم يكن في وسع الزمن

ولا في وسع المستقبل - أي مستقبل - أن يكون لديه أجل من
تلك اللحظات.
ومهما حاولت أن أصف لك فلن أستطيع أن أنقل إليك حقيقة
إحساسي، فهناك شيء.. شيء في أعماق مشاعرنا ليس له كلام
يشرحه ولا توجد له حروف ولا كلمات يمكن أن تدل عليه.

وانتهى ذلك الصيف وعدت إلى بلدي وقد ازدادت إغراقاً في
الرومانتيكية، وقد تلون كل شيء أمامي بلون شفاف وردى.
ثم انقطعت رسائلها.. وأرسلت لي إحدى صديقاتها تقول إنها
مريضة بالمستشفى.

وطال مرضها.. ولم تكتب لي!
وكنت أشعر أن حياتي كلها قد تأجلت إلى حين أعود فألتقي
بها أو أموت.

ومرت سنتان لم أشعر لهما بطعم ولا معنى.
كنت أتحرك وأنا غائب الوعي تقريباً.
وفي أول صيف كنت أطيّر إلى السويد.

وما كدت أضع قدمي على أرض السويد حتى أسرعرت إليها.
كانت قد شفيت من مرضها ولكن جسمها نحل وصارت كما
نقول نحن كالبوصة ولكن نحوها زادها نقاءً وشفافية وكأنها
أصبحت خيالاً.

ونظرت إلى في استغراب وهي تمسح عن عينيها وكأنها
تذكرني وقالت لي بصراحتها المعهودة.. أنها لطول ما عانت في
المستشفى من عذاب وآلام قد نسيتني.. نعم.. نسيتني..

وصدقتها.. فهي لم تكذب، فلم تكن بيننا موثيق ولا عهود
ولا اتفاق على أى شيء..

حسناً.. لقد جاءت النهاية إذن.

وما مضى أصبح من المستحيل بعثه.

كم شعرت بالوحدة بعد هذا اللقاء..

وكم استبدت بي الوحدة بعد ذلك.

رحت أنشد السلوى في علاقة أخرى.. وأخرى.. وأخرى..

وفي هذه المرة كانت علاقتي تصل إلى كامل غاياتها.. لم أتعفف

عن شيء.. غرقت في إشباع مستمر.. أمتع حواسي بكل شيء..

وفي تلك البلاد كل شيء ممكن وما أيسر أن يصل الحب إلى

الفراش.

وكلهن بيضاوات كالثلج.. شقراوات كأنهن متوجات بالذهب

موردات الحدود.. دمويات الشفاه.. فيهن حيوية وصحة وشباب

وكانهن فاكهة طازجة مليئة بالعصير.. وكلهن محدثات لبقات

ذوات ثقافة واطلاع وذوق فني رفيع.

لم تكن فيهن واحدة أقل جمالا ولا أقل رقة من صاحبتى.

الأولى.

وبعضهن كن أكثر منها جمالا وثقافة.

وقد وجدت في أحضانهن كل ما يرغب فيه شاب.

ولكن مع ذلك لم أرتو أبداً.

ولم أشعر بالسعادة أبداً.

ولم أشعر بالهناء أبداً.

إنما هي وسائل أبدد بها طاقتي حتى يهدنى التعب فأرتقى على

الفراش لأنام.. وأبكى.

نعم كنت أبكى كالطفل اليتيم المسكين.

حاولت أن أنسى.. ولكن طيفها ظل يلاحقني.. ولحظات النقاء

والشعر والحلم التي عشتها معها كانت أقوى من كل الواقع

المتع الذي أغرقت نفسي فيه.

عدت إلى بلدى وحاولت أن أندمج في جو بلدى الجديد،

وحاولت أن أجدد عواطفى الميته بعلاقات مع بنات بلدى.

ولكن كنت في كل مرة أشعر أن بنات بلدى تافهات.. فهن

بعد المقابلة الثالثة والرابعة يفقدن القدرة على الحديث.. ثم

لا يعود لديهن شيء يقلنه ويكتفين بالانصات.. أو الانشغال

بشيء.. أو يتفوهن بكلام تافه.

لى فتاة قريبتى عزيزة على.. فكرت في أن أخطبها.. ولكنى لم

أجد في نفسى القوة على أن أقدم على هذه الخطوبة، فأنا أقارن

بينها في كل لحظة وبين حبيبتي الأولى. وأشعر أني أظلمها وأظلم نفسي لو ادعيت أني أحبها كما أحب الأولى.

أنا مقتنع تمامًا بأن بنت بلدي ستكون زوجة أحسن لي وستكون أكثر وفاء وإخلاصًا ولياقة من أي أجنبية.. ولكن ماذا أفعل في قلبي وماذا أفعل لعقلي الذي يريد أن يستمتع ببنت تتذوق الثقافة والمعرفة والفن.

لماذا لا تقرأ بناتنا الكتب؟؟

لماذا لا يتعلمن؟

لماذا لا يتحدثن كما تتحدث بنات الشمال؟

أصارحك الحقيقة أنا ألعن اليوم الذي سافرت فيه إلى الشمال.. فقد أفسدت هذه السفرية على طعم حياتي وغيرت القيم والألوان أمام عيني.

هل أنا أطلب الكثير؟

هل أنا أطلب المستحيل؟

هل أعيش في وهم جسمه خيالي وأنا في مستهل ربيعي أفكر باستمرار.. هل يتحرك قلبي فيحب من جديد.

وهل سيكتب علي أن أتزوج من لا تفهمني؟

ألا يتخرج في مصر جيل من البنات المثقفات الواعيات يتحدثن بهذه اللباقة التي تتحدث بها بنات الشمال.

أنا لا أنتقد بنات بلدي، فأنا أيضًا أعلم أني أولى بالنقد أكثر منهن ولكني مسكين.. صدقني.. مسكين بعقلي وعاطفتي.

أحمد

هذا هو الحب الأول وأوهامه مرة أخرى.

وأنت متفق معي على أن فتاة أحلامك لم تكن أجمل من قابلت.. فأنت تقول إنك قابلت بعدها من بنات وطنها من هن أجمل وأكثر ثقافة منها، وأنت وجدت في أحضانهن كل ما يرغب فيه الشاب. وأنت معترف أن بنات وطنك أكثر لياقة وأكثر إخلاصًا وأكثر وفاء.

إنه إذن وهم الانطلاقة الأولى.. ونشوة القبلة الأولى.. وخيالات الحب الأول ورسوماته الحادة في الذهن.

وحكاية الأفلاطونية هذه كانت في رأسك أنت وحدك.. كانت تقاليدك أنت والعفة التي حملتها إلى الشمال من بيتك.. أما صاحبتك التي كنت تجلس كالزاهد عند قدميها فهي لا شك كانت تفكر بطريقة أخرى وبتقاليد أخرى، وكانت لا شك تعجب لحال هذا الولد الخجول الذي لا يمضي في حبه معها كما يجب أن يمضي كل حب تعرفه.

ولا شك أن حبك من جهة نظرهما.. كان حيا ناقصًا.. ولهذا ما لبث أن طواه النسيان.

صرخة إلى الذى يرحم

لماذا أكتب لك دون سابق معرفة؟
هل ترانى أطمع فى أن أجد لديك حلا.. لا أظن.. فلا جل
هناك؟

أترانى ضقت ذرعاً بصمتى الطويل فأردت أن أخفف عن
نفسى بالكلام؟.. ربما.

شاب فى الثالثة والثلاثين.. فى تلك السن المفرحة التى يقول
فيها الرجل.. لقد أحببت.. لقد تزوجت.. لقد أنجبت طفلاً.. لقد
حققت نجاحاً فى عملى.. لقد.. لقد..

سن العمل والحب المخاطرة.. سن النضج والإقبال على الحياة
بلىء القلب.

أما عندى فهى سن الانكسار.. سن اليأس.. السن التى
أغلقت فيها كل الأبواب وكل المنافذ التى يدخل منها النور.
ولأبدأ من البداية.

البداية المشرقة.. وأنا فى المدرسة الابتدائية آخذ الجوائز
الأولى فى الرياضة وأنجح كل سنة بتفوق.. وينظر إلى زملائى فى

حسد.. وأنظر أنا إلى نفسى فى زهو وافتخار.
وفى المدرسة الثانوية وأنا أقفز من سنة إلى سنة وأتصدر
الفصول وأخذ التوجيهية بمجموع عظيم يؤهلنى لكى أختار
وأخطط لمستقبلى كما أشاء.
ولكن القدر كان قد خطط لى بالفعل واختار لى مصيرى
وكتب لى قسمتى دون أن ينتظر إمضائى.

إنه الحرية التى تكتب عنها دائماً فى كتبك خرافة.
ولعلك تكتب عنها لتطمئن نفسك.. فالحياة بدون «وهم
حرية» وأقول «وهم حرية».. شىء غير مستطاع.. أقول هذا مع
إعجابى الشديد بكل ما تكتب.. ولكن ما رأيك فى هذا الذى
حدث لى بعد ذلك وكيف تفسره.. مرض بطىء خبيث راح يزحف على
كيانى كله فى ببطء ولكن فى إصرار.. يتفاقم يوماً بعد يوم.. ويسير
من سيئ إلى أسوأ برغم طب الأطباء من كل لون ومن كل بلد.
ضعف خبيث يلم بالعضلات.. وعضلات الحركة بالذات.. يبدأ
خفيفاً بسيطاً ثم يتفاقم.

أصحو فى الصباح فما أكاد أغسل وجهى وألبس ثيابى حتى
أشعر أنى قمت بمجهود عنيف وأن عضلاتى بدأت تتخاذل، وكأنى
قضيت ساعات أرفع فيها الأثقال.. وأتحامل على نفسى وأنزل
السلم فأشعر أنى أجز نفسى جراً.
وما يكاد النهار ينتهى حتى أرتى فى فراشى وكأنى كنت

أجرى طوال الوقت مع أنى لم أقم بمجهود ذى بال.
ويومًا بعد يوم تتفاقم الحالة.. فأشعر بأنى فى حاجة إلى من
يعاوننى فى صب على رأسى الماء ويناولنى البشكير ويلبسنى الجاكنة.
ثم أشعر أنى فى حاجة إلى تاكسى فى مشوار لا يزيد عن محطة
ترام.

ثم لا أعود أستطيع الوقوف انتظارًا للأتوبيس.. عضلاتى
لا تقوى على حملى.. ساقاى تخذلانى وتتهاويان تحتى فأشعر بأنى
فى حاجة إلى رفيق أستند عليه.
ولكنى لا أكاد أتشبث بهذا الرفيق حتى تكل ذراعاى وينخلع
كتفى.. وتتهاوى ذراعاى الاثنتان أيضًا.. ثم أتهاوى مثل غرارة
من القش وكأنى فقدت أطرافى تمامًا.

ثم يتفاقم الأمر ويستلمنى العجز من الصباح فلا أعود قادرًا
على مبارحة الفراش.. أطرافى تتحرك فلا تكاد تقوى على حملى.
ثم يتفاقم الأمر أكثر فلا أعود أستطيع أن أجذب الغطاء على
جسدى فى ليلة باردة فأظل أرتجف.. والبيت كله نائم.. لا أملك
سوى انتظار الصباح.. أو انتظار معجزة أن يصحو أحدهم
ويدخل على المصادفة فيجذب على جسدى الغطاء أو يغلق
النافذة التى تركت مواربة.. وأنا أخجل أن أوقظهم بصياحى فهم
يقضون النهار فى خدمتى وماذا فى وسعهم أكثر من ذلك.
وقد اكتشفت حقيقة هامة.. أن الإنسان ثقيل، وهو يصبح

ثقيلًا جدًا حينما يمرض ويفقد القدرة على خدمة نفسه.. والإنسان
السليم قد يتحمس مرة للمساعدة.. وقد يشفق مرات.. وقد
يعطف يومًا بعد يوم وشهراً بعد شهر.. ولكن عواطفه سوف
تعب.. وصبره سوف ينفد، وخاصة حينما يشعر أنه لا أمل
ولا فائدة ولا نهاية.. وحينئذ الويل للمريض من السليم.. إنه
سيتحول بالنسبة له إلى رفيق كئيب.. وضيف ثقيل.. وحمل كره..
وكابوس، إلى شىء مثل الصرصار فى رواية كافكا يتمنى له الكل
أن يقع فى البالوعة ويموت وحينما يتباطأ فى موته ترى الكل
يتسابقون إلى كنسه بمكنسة والقائه فى البالوعة.

وأنا أحكى لك عن الناس حولى.. وعذابهم.
أما عذابى أنا فأنت يمكن أن تتصوره..

شاب فى العشرين ينحدر ببطء واستمرار إلى هوة فظيعة من
العجز.. ويظل يتدهور شيئاً فشيئاً حتى يرتقى فى فراشه لا يبرحه
ولا يستطيع حتى أن يغير الجنب الذى ينام عليه.. والأطباء
يدخلون ويخرجون ويضعون السماعات ويطلقون عضلاتى
بمطارقهم ويقلبوننى على كل جنب ثم يتجهمون ويقولون فى
نبرات مثقلة.. إنه ليس شللاً.

ليس شللاً؟.. الحمد لله.. أقول أنا فى نفسى.. ولكنهم
يتجهمون فالشلل يشفى.. وهناك ألف طريقة وطريقة لعلاج
الشلل وما أعانى منه ليس شللاً إنه «ميوباثى» حالة غامضة

تضمير فيها العضلات وتفقد القدرة على أداء وظائفها لغير سبب معروف حالة لا علاج لها ولا أمل فيها.. والمستقبل فيها أن تتدهور أكثر وأكثر.. ولا تتوقف إلا بالموت.. بعد عمر طويل.. أو عذاب طويل على الأصح.
إذن لا بد أن أعد نفسي لمواجهة المستقبل ولقبول حياة كالموت.

أنا ابن العشرين.
وأحاول أن أخلق لنفسى عالماً خاصاً أبنيه بخيالي من الكتب والروايات التي أقرأها.
الكتب.. كل أنواع الكتب.. المترجمة والمؤلفة.. الحديثة والقديمة.. الروايات والبحوث والقصص والدراسات.. أقرأ، وأقرأ لأقتل الوقت قبل أن يقتلني.. وأقرأ لأنسى نفسي في خيالات الآخرين.. حيلة العاجز لمحاربة الضجر ومغالبة الآلام.. والمسألة في النهاية كما يقول الإمام الشافعي حينما قال له أحدهم.. لقد حفظ فلان البخارى فقال الإمام.. لقد زادت نسخة في البلد. نعم إن كل ما في الحكاية.. أنها نسخة تزيد.. من كل كتاب أقرأه.
ثم لا شيء أكثر.

الوقت يمضى.. شكراً للمؤلفين يشغلوننى عن نفسى بخيالاتهم.
سنة خمس وعشرون سنة.

سنى ثلاثون سنة.

انها بنت عمى التي كنت أبادها وأنا طالب نظرات الحب.. وكانت هي تبادلنى العشم.. ظلت تنتظر سنة بعد سنة.. ولكن كما قلت العواطف تتعب.. وهى تذبل كما تذبل أوراق الشجر حينما لا يرونها الأمل.. وهى تجف.. وهى تسقط كما تسقط أوراق الخريف.

وبنت عمى تتزوج.

وهذا أمر طبيعى بالنسبة لها.

ولكن بالنسبة لى.. قطعة أخرى من حياتى تؤخذ منى.. كذراعى وساقى التي لم أعد أملكها.
لست أنا نيا لأتصور أنها يمكن أن تنتظر.. وكيف تنتظر.. وتنتظر من.. وتنتظر ماذا؟!..

ولست غيباً لأطالبها بالوفاء لعهد لا وجود له ولرجل لا وجود له.
ولكنى مع ذلك.. أنا بشر.
نعم.. أنا بشر.

وهناك أنواع من الحزن هى اللا معقول بعينه.

وحزنى على حبى الذى راح هو حزن من هذا اللا معقول.. أغالبه بالإغراق فى الخيال.. بالابتسام.. بالتبلىد للقدر.. كلما شدد

من ضرباته شددت من عنادى وكأنى أنطحه كما ينطحنى.

وأسمع بأذنى التعليقات من وراء ظهرى.

إنه يبتسم.. إنه فقد الشعور والإحساس كما فقد القدرة على

الحركة.

والله وحده يعلم كم أشعر.. وكم أتألم.

الله يعلم أنه التجلد لا التبذل.

سؤال واحد يحيرنى.

أسأله لنفسى ألف مرة كل يوم.. حتى ليكاد عقلى ينفجر.

لماذا اختارنى الله لهذه المحرقة التى قيدنى بها ليل نهار. لماذا

اختارنى أنا بالذات دون بقية الناس.. هل ترانى اقترفت ذنباً

دون أن أشعر؟ لا أظن.. فقد كنت متديناً شديداً متمسكاً بالإيمان

أصلى وأصوم وأحب للآخرين ما أحب لنفسى.. وحتى ولو على

أبعد الفروض أنى ارتكبت ذنباً فأقصى عقوبة نعرفها نحن قساة

القلوب هى السجن المؤبد خمس وعشرون سنة أو الإعدام وقد

استنفدت الأولى وتمنيت ومازلت أتمنى أن أنال الثانية لأريح

وأستريح.

والسجن والإعدام دستور القساة الخطاة ذوى العقول

القاصرة والعدالة العاجزة أمثالنا نحن البشر.. إنه قانوننا نحن

الناقصين.

وحتى فى قانوننا هناك العفو والتنازل عن ربع المدة

والاستئناف وإيقاف التنفيذ وقبول التعويض بدلا من السجن.

فما بال ربنا، العظيم فى رحمته، العظيم فى قانونه.

لقد أجمعت كل الأديان على أنه الرحمن التواب الغفور.

لماذا لا يرحمنى.

أنا أصرخ.

وهو يسمعنى.

ولكنى مازلت أتلوى على المحرقة.. وحالى يتدهور يوماً بعد

يوم وساعة بعد ساعة. واليقين الوحيد الذى أعيش فيه هو يقين

العذاب والعذاب أكثر وأكثر.

هل تفهمنى.

سوف تعزبنى بأن لى الجنة بعد الموت.. ولكن من يدري بأنى

داخل جنة.

أنت تفهمنى ولا شك.

أنا أعلم أنك الوحيد الذى تفهمنى.. أنت الطبيب الأديب..

فماذا تقول؟

ألا تزال تؤمن بأنى حراً؟

عادل

أنت فى بلاء عظيم.. وأى كلمة عزاء هى كلمة مبتذلة بالنسبة

لما تعانیه.. فقد دفعك عذابك وصبرك وجلدك إلى أشرف مكان
فلم تعد بالإنسان القليل الخبرة الذي تقال له النصيحة وإنما أنت
بما تعانیه نبع حكمة وكنز معرفة.
وما يثيره عذابك من أسئلة.. هي أسئلة لا جواب عليها.
هي أسئلة تحيرني كما تحيرك.. كما تحير كل من حاول أن
يفكر في نزاهة وصدق.

وطالما سألت نفسي وأنا أرى الأرض غارقة في المظالم سابعة
في الدم منذ أن بدأ تاريخها.. وأنا أرى بشاعة الآلام على أسرة
المرضى والمحتضرين.
وأنا أقف مشدوهاً أمام طفل مشلول يبكي: يا إلهي وماذا فعل
هذا الطفل أيضاً ليتألم.

وأنا أرى الأوبئة تحصد كل شيء حتى الأجنة في بطون
الأمهات.

وأنا أبحث عن الرحمة فلا أجدها.
وبرغم كل شيء.. فأنا لم أشك أبداً في عدل الله ولا في
حكيمته.. ولكن حكيمته أحياناً تخفى على العقول.

ويبدو الأمر غير مفهوم بالمرّة..
يبدو أنه اللا معقول بعينه.

ولا أحد ممن فكروا في الشر قد وجد له تفسيراً واحداً
معقولاً..

إنه عقاب.. عقاب لمن؟.. والأطفال أول من يذهب من
ضحاياه أنا لا أعرف.

ولكني أعرف أنك حر.. فأنت لا تنهار تحت الردم.. وإنما أنت
تصرخ.. وكما تقول في خطاباتك أنت تغالب الغلب بالابتسام،
وكلما شدد القدر من ضرباته كلما شددت من عنادك وكأنك تنطحه
كما ينطحك.

أنت موجود إذن وإرادتك المتمردة تثبت معدنها الصلب الذي
لا يلين في مواجهة تلك المطرقة الهائلة التي تنزل عليك بلا هوادة.
والحرية ليست فقط حريتنا في أن نتحرك.. وإنما قدرتنا في أن
نحتفظ بعزائمننا صلبة مشرعة في مواجهة عوامل الهوان والإذلال
هي دليل حرية.. أي حرية.

ولا أحد منا يملك الحرية المطلقة.. وإنما هي دائماً حرية نسبية
في مواجهة طاحونة القدر الدوار.

وهي حرية ضئيلة ولكننا سنصل بها إلى القمر وسنغزو النجوم
وبين يوم وليلة سوف يكتشف طبيب مخلص الدواء الشافي لمرضك.
وكما اكتشف دواء للسلس وعقار حاسم للتيفود ولقاح للحصبة
وكانت كلها أمراضاً بلا دواء.. فلا بد أن يكتشف دواء للميوباثي
إنه ليس أملاً خالياً.. ولكنه أمل متواضع في حدود العلم والحكمة.

ابتسم صابراً، وثق أن هناك ألوفا من العلماء لا تعرفهم
يفكرون كل يوم من أجلك.

وتأكد أن هناك حكمة لعذابك ولكنها محجوبة عنك وعنا.
وتأكد أن الله يخفي لك أجراً عظيماً فهو الرحيم الذي تتجاوز

رحمته رحمة كل الرحماء.

ولست أعلم ما لي بظلمة القلب الذي لا يرى نوراً ولا يرى
مصلحة إلا ما يظن أنها مصلحة له في الدنيا فقط ولا يرى
مصلحة في الآخرة ولا يرى ما يظن أنها مصلحة له في الآخرة
فقط. بل يرى ما يظن أنه مصلحة له في الدنيا والآخرة
معاً.

رحمة الله على من يتوب إليه من قبل أن يدينه
في اليوم كما يظن أن الله لا يدين إلا من كان له
نصيب من الدنيا والآخرة.

نأمر الله بالعدل والبر والعدل
والبر أن لا يظن أن الله لا يدين إلا من كان له
نصيب من الدنيا والآخرة.

هذا الطفل أيضاً ليثام.
تيسر أن يرى في الآخرة لذيلاً في الدنيا
الأموات.

ومعنا أبحث عننا في الدنيا والآخرة
فكذلك في الدنيا والآخرة.

حكمت ولكن حكمة الله في الدنيا والآخرة
فبصحة وخلقاً ومفيدة به له في الدنيا والآخرة
في الدنيا والآخرة.

بصحة وخلقاً ومفيدة به له في الدنيا والآخرة
في الدنيا والآخرة.

الرحمات التي هي من الله تعالى
والتي هي من الله تعالى.

والتي هي من الله تعالى
والتي هي من الله تعالى.

حيوان

سيدى.. رحمة كل الرحماء.

هل خلت الدنيا من المبادئ.. هل تدهورت الأخلاق..
وفسدت القيم.

أكتب لك الآن وأنا أبكي.

وسوف أبدأ معك من البداية.

نشأت في أسرة كبيرة العدد متيسرة الحال.. أحببت أمي وأبي
وإخوتي وكنت أنظر إليهم على أنهم مثل عليا.. إلى أن كان يوم

جاءت فيه خالتي لزيارتنا فطردتها أمي وعلمت فيما بعد أنه كانت
هناك علاقة بين أبي وخالتي.. أبي الذي اعتبرته أكمل رجل في

الدنيا.. وخالتي السيدة الفاضلة المحترمة زوجة الرجل الكامل
كانت صدمة جعلت كل القيم تهتز أمامي وبدأت أفتح عيني لأرى

كل شيء حولي.

ورأيت العجب.

رأيت أخى الأكبر يقبل الخادمة في المطبخ.

ورأيت زوجته تغازل أخاه الأصغر.

وضبطت خطاباً غرامياً في حقبة أختي المتزوجة.

حتى أمي الشريفة العفيفة رأيتها تقبل هدايا من أصدقاء أولادها وتحفظ بتذكارات لهم.. وحينما فاتحتها في الأمر قالت لي إنها لا مانع عندها من أن تضحك علي أي رجل عبيط وتدعه يجري وراءها ما دام لا ينال منها شيئاً، وإن ضميرها لا يؤنبها ما دامت لا تسلم نفسها لأحد.. وانهارت أعصابي.. وقاطعت العائلة كلها.. وتبدلت نظرتي إلى الدنيا وإلى الرجال والنساء.. فأصبحت نظرة احتقار وازدراء إلى كل رجل وكل امرأة.. ورفضت كل من تقدموا لخطبتي.. وسيطر عليّ الخوف فأصبحت أتجنب الانفراد بأي رجل في أي مكان حتى ولو كان أخي، وأرتجف اشمئزاً من النظرات التي تتفرسني في الطريق.

كم تعذبت وكم تألمت بسبب هذه المخاوف.. إلى أن كان يوم منذ عام تقريباً وكنت قد تخرجت لتوى من الجامعة والتحقت بإحدى الشركات. جاء إلى القاهرة رجل أمريكي استضافه أخي في البيت عدة أيام، لأنه كان قد تعرف به في أثناء وجوده في أمريكا.

وفرح الجميع به فهو من مظاهر المدينة التي يتشددون بها. ورأيت الرجل.

ولأول مرة في حياتي نسيت خوفاً من الرجال.. ونسيت كل شيء إلا أنني أمام إنسان مهذب.. رجل يختلف تماماً عن كل

الرجال الذين عرفتهم.. ينظر في عيني عندما يحدثني ولا ينظر إلى صدري وساقى.. مثقف.. عاقل.. مهذب، وتحرك في قلبي إحساس حلو رائع.

وذات يوم اعترف لي بحبه وعرض عليّ الزواج.. وقال إننا سنتقاسم التضحيات.. هو يضحى بدينه وأنا أضحي ببلدي وأسافر معه، فاتحت أمي بالحكاية وصارحتها بأني أحبه ولا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً بدونه.. بكيت وتوسلت.. ثم أذعنت للأمر الواقع.. وكذلك الجميع.. وباركوا حبنا.

وفي أيام كنا قد استكملنا الإجراءات، وبعد ساعات كنا نحلق فوق السحاب طائرين إلى أمريكا زوجين سعيدين.. وكنت أمسك بيده وآلاف الصور والأخيلة الحبيبة الأليفة تمر بذهني.. سينما روكسي وإسكندرية وميامي وعم عبده البواب وذكريات الطفولة.. وآلاف الأشياء الصغيرة التي كانت في الظلام ثم غمرها النور فجأة.

وحينما نزلت الطائرة على أرض أمريكا رأيت نفسي فجأة بين وجوه غريبة.. والتف أصدقاؤه وأقاربه حولي.. وشعرت بوحدة ووحشة.. وتشبثت بيده بشدة ليحميني من هذا الإحساس الغامر بالغربة.

ثم بدأت المفاجآت..

اكتشفت أنه أعلن إسلامه كذباً ورياءً ليتزوج بي فقد عاد من

أول يوم إلى التردد على الكنيسة، وأصر على أن يصحبني معه فرفضت، وكانت المفاجأة الثانية هي السهر والشرب والرقص.. كل ليلة يصر على أن يصحبني معه في كل مرقص ويقدمني لأصدقائه.. وكل واحد يتقدم ومع المراقبة ملاطفة.. ثم ما هو أكثر من الملاطفة.. وكأس أخرى في صحة سمراء النيل.. رجال كثيرون كلهم سكارى وروائحهم كريهة، وكل واحد معه زوجته وكل واحد يرقص مع زوجة الآخر ويلاطفها ويقبلها.. ويختلي بها في ركن.. وفي نواد ليلية خاصة يتم تبادل الزوجات والأزواج في حرية أكثر.. حيث يختلي كل اثنين في غرفة برضاء الجميع وباتفاقهم على اعتبار أن هذا اللقاء الأسبوعي ينعش الحواس ويعالج الملل. هذا غير الشذوذ الجنسي بين الرجال.. والتفنن في القذارة وفي الدعارة من كل نوع.

وطبعاً رفضت هذه السهرات.. رفضت مراقبة أي رجل غير زوجي.. ورفضت الأنخاب المتتالية في صحتي.. وتوسلت إلى زوجي أن يتركني وحدي في البيت ويسهر كما يشاء.. وطبعاً تشاجر معي وقال عني رجعية ومعقدة. ثم أصبح يسهر وحده ثم اكتشفت أنه أصبح يسهر مع شقراء أمريكية متزوجة أخلاقها على شاكلته.. واجهيه بالحقيقة فضحك قائلاً.. ولم لا.. إنها على الأقل تفهمني.

وأصبحت لا أراه إلا لماماً ولم أعد أطيق حياة الغربية والذل

في بلد غريبة وطلبت منه أن يطلقني.. فبادر إلى تطليقي وبدون تردد.. وحجز لي تذكرة على أول طائرة.. ولم يفكر حتى في توديعي.

وعدت إلى بلدي ذليلة منكسرة واستقبلتني أمي استقبالا هون على الأمر. ولكنني لم أستطع الحياة.. وحاولت الانتحار مرتين وفي كل مرة أنقذوني.. وفي كل مرة كنت أستيقظ لأجد أمي تبكي وتتوسل لم فعلت هذا.

ماذا أقول لها؟
هل أقول إنني صدمت فيها وفي أبي وفي إخوتي.. وفي زوجي وفي الدنيا كلها.. وإنه لم تعد لي حياة في هذا العالم الذي خلا من القيم.

أغلق على باب غرفتي.. وأبكي.. وأشعر أنه لا يوجد حل لأمثالي سوى الموت.

عرض على أخي أن أعود إلى العمل خاصة وقد أصبحت أتقن اللغة الإنجليزية.. ولكنني لا أريد لا أريد أن أرى أحداً.. فقدت الثقة بكل شيء وبكل الناس.

سمراء النيل

لا بد أن تعودى إلى العمل الآن وفوراً وبلا تردد، وتقلعي عن

هذه الفلسفة المراهقة بأن الدنيا فساد في فساد، وأن الحياة شر
وقذارة ودعارة ولا أمل فيها. فنحن أحياناً نأكل بيضاً فاسداً
ونمرض ولا يعنى هذا أبداً أن كل البيض فاسد. ولا شك أن
زواجك بالأمريكي وسفرك إلى أمريكا كان غلطة، ولا شك أن
المحيط الذي عشت فيه مع أصدقاء زوجك كان وسطاً داعراً
منحلاً.. ولكنك غسلت يدك من هذه الغلطة وهذا الوسط..
وعدت إلى بلدك. ومصر غير أمريكا.

ومهما كانت هناك مبادئ عند بعض الناس فما زال الخير
والفضيلة والعفة هي القاعدة عند الأغلبية من الرجال والنساء.
والدنيا لسه بخير يا سمراء.

ولو خرجت عن دائرة صلاتك المحدودة وازددت احتكاكاً
بالدنيا من خلال عملك، فسوف تجد الشرف والخلق والرجولة
الكاملة عند الكثيرين.

لا تدفني أملك ولا تضعي حياتك لأنك ضببت خطاباً
غرامياً في حقيبة أختك، أو لأنك رأيت أمك تقبل هدايا وتذكارات
من أصدقاء أولادها، أو لأنك سمعت أن أباك كان على علاقة
بخالتك كل هذه مسائل تافهة.. وكل واحد له عالمه الخاص وله
سقطاته وله ضعفه.. وحينما تتخلي امرأة عن أخلاقياتها فليس
معنى هذا أن الأخلاق انتهت والعالم انتهى.

والحياة بحر أنت مازلت على شطآنه.

وأحياناً لا بد لنا أن نخوض الأوحال والرمال لنصل إلى اللؤلؤ
والمحار والمياه الصافية والأعماق الشفافة.
ورسالتك وعذابك وآلامك قالت لي إنك إنسانة عظيمة..
والإنسانة العظيمة لا تنتحر. وإنما تعمل وتكافح لتصل إلى رجلها العظيم.

الحب الذليل

أنا شاب في الثامنة والعشرين من عمري تخرجت منذ عامين في الجامعة.. أتمتع بوجه دميم وذكاء نادر كما يقول الجميع.

بدأت القصة وأنا في السنة الثانية بالكلية حينما سكنت في الشقة المقابلة أسرة جديدة.. وعندما عدت من الكلية وقفت في البلكونة أتفرج على السكان الجدد وشدت بصرى فتاة في الخمسة عشر ربيعاً فيها جمال أفروديت، وكانت طالبة في الإعدادية في ذلك الوقت.

وفي اليوم التالي تبادلت والدتي ووالدتها تحية الصباح.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك أصبحتا صديقتين حميمتين كل واحدة تحكى للأخرى أحوالها.. وطبعاً حكى أُمى لجارتها عن نبوغى وتفوقى فقالت أم الفتاة على الفور إنها ترجو أن أعطى ابنتها درساً في الرياضة والعلوم.. وكانت فرصة ذهبية.. بالنسبة لى أن أتعرف على هذا الجمال.

وبدأ أول درس جاد جداً.. وفي الدرس التالى تكلمنا.. وعرفت فيما بعد من الفتاة أن أمها تدفعها دفعاً.. تتيح لنا

الفرص لينفرد بعضنا ببعض طويلاً وكنت في ذلك الوقت أتقاضى من الكلية ١٣ جنيهاً مكافأة شهرية على نجاحى بتقدير ممتاز من السنة الأولى للسنة الثانية.. وكنت أشتري بنصف هذا المبلغ هدية لتلميذتى كل شهر.. وكنت أتعلل بأسباب كاذبة لضياغ المبلغ فأقول لأبى إنى اشتريت به كتاباً أو دفعته خصومات للمعامل نظير ما كسرت من أجهزة.. وكان الرجل الطيب يصدق إذ تعود منى الصدق دائماً.. وكانت هذه أول مرة أكذب فيها.

وكنت أدهش حينما أرى الفتاة تلبس ما أعطيها من هدايا بدون خوف من أمها، ثم علمت بعد ذلك أن أمها على علم بكل شىء وأنها تشجعها.

وسارت الحياة طوال السنة الثانية على هذا المنوال ونجحت كالعادة بتقدير ممتاز.. لم يكن حبى يشغلى وإنما كان يشجعنى على الطموح والعمل.. كنت أحلم بأن أفوز بجائزة عيد العلم وأكون أول الكلية فى البكالوريوس.. وفعلاً نجحت مرة أخرى بتقدير امتياز من السنة الثالثة إلى الرابعة.. ونجحت الفتاة فى الإعدادية ثم قعدت فى البيت انتظاراً لأن أتقدم لخطبتها وكان هذا ما نويته بالفعل حينما أخرج.

وجاءت السنة الرابعة - أى البكالوريوس - ونجحت بتقدير ممتاز ٩٣% فى الترم الأول وانهالت على القبلات من الأسرة.. واندجحت فى المذاكرة والتحصيل ومقابلة الفتاة فى منزلها مرة وفى

منزلنا مرة أخرى وكنت لا أكتفى بالمذاكرة والكشاكيل بل كنت ألتهم المراجع حتى أصبحت مثل عود القصب.

وفي يوم مشنوم ليته لم يأت ولم تطلع شمس.. كانت أمي تبحث عن قلم لوالدي.. ففتحت أدراج مكتبي فشمت في أحد الأدراج رائحة عطر جميل فأخذت تعبث بالدرج حتى عثرت على خطابات كثيرة أعطتها لأبي ليقراها.. وعرف الجميع القصة. ومن تلك اللحظة بدأت المأساة.

منذ ذلك اليوم وأمي تغلق الأبواب والشبابيك بشدة أمام كل من يقف في بلكونة أو نافذة عندهم.. وبالطبع قوبلت هذه الإهانات بأبلغ منها.

وحذرتني أمي من هذا الحب ومن هذه العائلة، ولكن لم أسمع كلامها وتركتها دون أن أنطق بحرف ولم أذاكر كلمة في ذلك اليوم وكان هذا أول يوم في حياتي لا أذاكر فيه.

وفي اليوم التالي شغلت عليها فأرسلت لها خطاباً مع الخادمة فرأيتها تخرج من البلكون لتمزق الخطاب أمامي وتدوسه بقدميها. وأصابني الذهول، ولكني لم أياس فأرسلت لها خطاباً آخر وآخر وآخر وكل واحد يلقي نفس المصير.

وظللت أسهر الليالي أسود الخطابات لتمزقها في الصباح واستمر حالي يتدهور من سيئ إلى أسوأ حتى كنا في أبريل ١٩٦٣ وبقى على الامتحان العملي أيام وعلى الامتحان النظري

شهر وأنا لا أذاكر وأسهر أعد النجوم وأسود الخطابات. ودخلت الامتحان ونجحت بتقدير جيد ٧٠٪ وضاعت جميع

آمالى في الأولية وجائزة عيد العلم وفي الاشتغال معيداً بالكلية.. وبكيت كالطفل.. ويومها أرسلت لى الفتاة ورقة صغيرة مكتوب فيها: أيها الذكى الطموح الجشع.. لقد تحطمت كل أحلامك على يدي أعز إنسان لك.. ألا وهى أمك.

وبالطبع لم يكن هذا أسلوبها فأنا أعرف أن كلامها تافه، وأنها لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة وأن معلوماتها عن السياسة والعلم والأدب لا تزيد عن معلومات طفل رضيع.

وبعد شهور من الحزن والالم والندم، وبعد أن سحبت أوراقى من الكلية أعلنت إحدى الشركات عن حاجتها لخريجي علوم فتقدمنا جميعاً وكنت الأول في ترتيب الامتحان من خمسمائة شخص متقدم.

وعادت إلى ثقى وقررت أن أخلص فى عملى فى خدمة الشركة لأفوز بتقدير الجميع.

وبعد شهور من التحاقى بالعمل وبالرغم من حداثة عهدى بمسئولياتى الجديدة إلا أنى فزت بثقة الجميع.

وطلبت من مدير القسم أن يوافق على أن أتقدم للماجستير فوافق فوراً وأمدنى بمعمل وأجهزة ومواد خام، وأخذت نقطة بحثى فى موضوع يهم الشركة ويهم مستقبلها.

والآن لعلك تسأل.. أين المشكلة؟

والمشكلة هي الفتاة.. حبي المجنون الذي لا أعرف كيف أتخلص منه.

تصور أني أنتظرها حتى تخرج فأخرج وراءها كالأبله من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق.. أحاول أن أكلمها فلا أجد الجرأة.. وإذا وجدت الجرأة وكلمتها نظرت إلى نظرة اشمئزاز من فوق لتحت.. تفعل هذا أمام الناس.. ثم تستدير وتركني مبلولاً في مكاني.

وكلما مرت الأيام ازدادت اشمئزازاً مني واحتقاراً لشأنى، وازددت أنا حباً وملاحقة لها في كل مكان.

حدث منذ أسبوع أن كنت في أحد مطارداتي لها في أتوبيس وفوجئت بأني أقف وجهاً لوجه أمام مساعد فني يعمل معي في الشركة اسمه إبراهيم ولاحظ إبراهيم نظراتي للفتاة فقال في خبث:

- أنت معجب بالبنت دى.. دى الجو بتاع سعيد.. وسعيد هذا هو أحد عمال الشركة.

فقلت له وأنا أدارى ارتباكى.

- يا شيخ دى باين عليها بلدى..
ولاحظ إبراهيم نظراتي اللاشعورية المستمرة.. فقال في إشفاق..

- الظاهر أن سيادتك بتحبها قوى.

- بلاش كلام فارغ.

- سعيد قال لى على كل حاجة.. ما عندوش مانع يجيبها لحد عندك ما دمت بتحبها قوى كده.

- أرجوك بلاش الكلام الفارغ ده.

ويومها كتبت عنه تقريراً زى الزفت وكتبت مثله في زميله سعيد وهددتها بالنقل من المشروع إلى المصانع - من يعمل في المشروع يتمتع في العادة بمميزات خاصة - وأصبحت كلما رأيت سعيد وإبراهيم أتذكر الفتاة.

وأدمنت التدخين - أربع علب كل يوم بعد أن كنت لا أقرب سيجارة - واضطربت أحوالى واسودت الحياة في وجهى وكرهت الناس.

وأنا أكتب لك هذا الخطاب بعد مطاردة استمرت ساعة بين أتوبيسات القاهرة انتهت بأن بصقت في وجهى.. وهذا طور جديد من أطوار الحب الذى أصبح ذلاً وجعلنى أقل مركزاً وأهون شأنًا من نعل الحذاء.. أشعر أنى سوف أستقيل من عملى في الشركة أو أكون السبب في فصل العاملين وهذا ما لا يرضى ضميرى.. أنقذنى من نفسى ومن حبى.

المعذب
ق.م

لا أظن أن ما يعذبك هو حبك.. فأنت في الحقيقة لا تحب الفتاة وهي في نظرك تافهة لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة.. وإنما يعذبك فشلك.. وأنت مدمن نجاح وانتصار وتفوق.

والتفوق والانتصار يداوى شعورك بوجهك الدميم ويعالج إحساسك بالنقص ويمدك بالتوازن الضروري للحياة.

وهذه الفتاة التي وقفت أمامك لتبصق في وجهك مزقت رداء الأمان الذي ترتديه.. مزقت التفوق الذي تحتمى به من شعورك بالنقص.. وكانت هي ذاتها الصرخة التي تذكرك بأنك دميم ناقص تثير الاشمئزاز.

وما تهدف إليه الآن من مطاردتها ليس شفاء حبك.. وإنما شفاء غليلك وانتقامك.. تريد أن تستردها لتكسر عينها وتذللها كما أذلتك وتنتصر عليها.. وبذلك ترتق الثوب الذي تمزق.. ثوب النصر الدائم الذي تغطى به إحساسك بالنقص الدائم.

وحل مشكلتك لن يكون بمطاردة الفتاة. ولا باستعادة حبها. ولكن الحل الحقيقي هو أن تواجه نفسك وتكف عن هذا الشعور المستمر بالنقص.. وتقبل وجهك الدميم وترضى بنصيبك الضئيل من الوسامة، وتعقد مصالحة مع هذا التمرد الدائم داخل نفسك، وتدرك إدراكًا واضحًا أن الشكل والوسامة والبشرة الخمرية مسائل يفتك بها دمل ويعبث بها الزمن من يوم إلى يوم وأنها

ليست بذات قيمة حقيقية.. وإنما القيمة الحقيقية هي إنسانيتك وليس شكلك.

وإذا أدركت هذا، فسوف تنتهي مشكلتك وسوف تكتشف أن حبك المزعوم لم يكن له في أحد الأيام وجود.. وأنت في الحقيقة كنت غازياً تبحث عن معارك تنتصر فيها وهذا كل ما في الأمر.

وفي المدرج بالكلية كان وجهي يحمر خجلا إذا تطلع أى طالب في عيني.. كان هذا هو ما يظهر أمام الناس من سلوكي.. أما ما كان يحدث في الخفاء فكان شيئا آخر تماما.

كان عمري ١٦.. وكان يحدث أن ألتقى بالصدفة في الشارع بصديق من القرية فأذهب معه إلى بيته وهو يعيش بمفرده.. ولا أبالي أى شىء.. ويتكرر ما يحدث معه ليحدث مع أى رجل.

كنت دائما تجدني في الكلية لابسة كفا طويلا وآخر حشمة. وفي مكان آخر ما مانع من أن أخلع ملابسى كلها بالساعات. كنت أصلى وأصوم.. متدينة جدا.. وأخاف الله.. ومع هذا كنت أكذب لأسباب تافهة جدا.. ولمجرد الكذب.

لو سألتني لماذا كنت أفعل هذا.. لما عرفت كيف أجيبك؟.. وصدقني لم أكن سعيدة بما أفعله.

كنت في أعماقي أشعر بأنى إنسانة غير محبوبة. كنت أشعر أن أمى لا تحبني.. وأخواتى لا يحبيني أيضا.

وكننت أشعر أن الرجال كلهم خونة.. والأزواج كلهم يخونون زوجاتهم.. وليس هذا مجرد خيال.. فقد كانت هذه الخيالات تحدث معى.

كان أول حب لى هو حبى لإحدى البنات صاحباتى في الثانوية وكان حبا عنيفا جدا.

في طفولتى كانت أمى تعتبرنى أجمل أخواتى.. لا أدرى لماذا

المرأة الرجل

أنا فتاة عمري ٢٣ سنة.. فى السنة النهائية بإحدى الكليات. نشأت فى بيئة ريفية يسودها التحكم والتسلط والقسوة.. بين أب مظهره الشدة والتعسف والاستبداد وباطنه الطيبة.. وأم ظاهرها الضعف وحقيقتها الحقد.

قضيت سنوات دراستى الأولى فى مدرسة داخلية إلى أن نلت شهادة التوجيهية.. وفى سن ١٢ وربما أقل عرفت المشى مع الصبيان وفى سن ١٣ تورطت فى علاقة مع أحد الأولاد، وكان يقبلنى كلما سنحت الفرصة.. وعرفت آخر وآخر.. وآخر.. وكانت كلها علاقات طيارى.. وكانت تنتهى دون أن تترك أثرا.. وكننت أنا أبادر بإنهائها.

ثم جئت إلى القاهرة والتحقت بالجامعة.. وعشت سنة عند أختى وعانيت الأمرين من تحكم زوجها فى شئونى.

وكانت اللحظة التى خرجت فيها من بيت أختى لأدخل بيت الطالبات هى ساعة الخلاص بالنسبة لى.

وفى بيت الطالبات كنت مثلا للفتاة الهادئة المؤدبة المهذبة..

فأنا أشعر أن شكلي عادى.. وليس في شيء يلفت النظر.
كنت ذكية جداً في دراستي وأنجح باستمرار.. ولكنه نجاح
لمجرد النجاح.

كنت أذاكر لأتخرج.. لا أكثر.. وعقيدتي في هذا أن الدنيا
مجرد فلوس ومراكز.. وكانت هذه أيضاً عقيدة أبي مع أنه رجل
غني ومتدين يصلي الفرض بفرضه.

كنت دائماً طماعاً.. أريد الكثير من الدنيا، لم أعرف
الأمراض في حياتي.. اللهم إلا حاجات بسيطة مثل الزكام
والانفلونزا.

سمعتي في الكلية كانت على الدوام.. مفيش أحسن من كده
لدرجة أنهم يعتبرونني طالبة مثالية.. تصورا!

الأساتذة يحترموني جداً، ويعتبرونني قدوة ومثالا في الأخلاق
وفي الحشمة. وفي الإخلاص للعمل.

المشكلة أنه في هذه السنة عقدوا خطوبتي على ابن عمتي في
أثناء الإجازة في القرية.. حدث هذا رغماً عني.

والحقيقة أنني لم أكن أحلم بهذه الخطوبة.. فخطيبي شاب
مركزه محترم.. وأخلاقه حسنة.. وحالته جيدة.. ومع هذا فأنا
أرفضه.. وأعود فأشعر بغاية السعادة لزواجي به.. ثم أعود فأشعر
بالجزع والخوف من نفسي، والخوف من رغبتى الشريرة في
خيانتته.

وهي ليست مجرد رغبة.. فأنا لا أكف عن علاقاتي المتعددة،
وآخر هذه العلاقات كانت مع شاب من بلد عربي.

وقد أحببت هذا الشاب جداً.. ولكنني حافظت على علاقاتي به
طاهرة بريئة لا تتجاوز اللقاء في كازينو.. أو على الكورنيس،
ولا تزيد عن القبلات.. ولم تكن هذه الطهارة نتيجة يقظة ضمير
أو خلافه.. فقد كنت لا أتورع في نفس الوقت عن إتيان
المنكرات مع غيره، وإنما كانت عفة، ربما لشدة الحب والإعزاز،
لست أدري.

والحق أنني لا أستطيع أن أسميها عفة.. فقد كان يحدث أن
التقي في الصباح بخطيبي.. وفي العصر بحبيبي حيث يقبلني في
نفس المكان الذي قبلني فيه خطيبي.. وفي المساء أقضى الليلة مع
رجل ثالث.

سوف تقول إنها قذارة. أنا أيضاً أقول إنها قذارة.

والغريب أنني كلما اختليت بواحد فقدت اهتمامي به واشتقت
إلى آخر.. فإذا التقيت بهذا الآخر شعرت بالشوق لثالث.
لم يحدث أن شعرت بشيء في يدي أبداً.. كل ما يقع في يدي
يفقد طعمه.

ومع هذا أشعر أحياناً أنني أحب خطيبي جداً.
وخطيبي على فكرة حمش قوى.. ومحافظ.. وشديد.. وهو يثق

بي ثقة عمياء.. شىء يضحك.. ومع هذا فأنا لا أشعر بتأنيب ضمير وأنا أخونه.. لأنى أشعر أنه ربما يكون مثلى.. ليه لأ.. أنا أيضا أبدو في الظاهر آخر أدب وحشمة وفي الحقيقة آخر قذارة فلماذا لا يكون هو أيضا من نفس الصنف وليس هذا مجرد شك.. فقد اعترف لى مرة بأنه كان على علاقة بامرأة متزوجة وعرفنى بها. إنها ليست مبالغة منى.. ولكنى صدقنى.. أنا أعتقد أن كل الناس الذين يبدوون فى الظاهر أتقياء أصفياء.. هم فى الحقيقة شياطين، وبرغم هذه الشقاوة فأنى فى الإجازة الصيفية الزم بيتنا الكبير فى القرية فلا أخرج منه ولا أرى أحداً ولا ألتقى برجل؛ أشعر أحياناً بأن جسدى قذر وأحتقره.. ولا يخفف من شعورى هذا سوى يقينى بأن كل الدنيا نفاق وقذارة.

ما يخيفنى أننى أفعل كل هذا وخطيبي معى فى مصر. ماذا أفعل حينما يسافر عائداً إلى القرية.. ويخلو لى الجو. أشعر أن ربنا ظلمنى بهذه الأخلاق الزفت.. وظلم الناس بمظهرى البرىء المهذب المحتشم.

العاطفة الوحيدة فى حياتى هى حبى لأبى الذى أشعر أنى أحبه أكثر من أى شىء فى الدنيا.

الرجل المثالى فى نظرى.. رجل صارم قوى.

والآن.. وهذه أخلاقى بصراحة.. ما رأيك؟

ماجدة

وصلتنى هذه الرسالة الغريبة. وقد وقفت أمامها طويلاً.. فهى ليست مجرد اعتراف.. وليست مجرد مشكلة خلقية.. بل هى ليست مشكلة خلقية إطلاقاً.. إنما هى حالة مرضية.. ومعضلة نفسية.

هل يمكن أن تضىء لنا بعض سطور هذه الرسالة الطريق إلى فهم نفسية صاحبته. بعض العبارات.. لها دلالة.

قولها إن العاطفة الوحيدة الجميلة فى حياتها هى حبها لأبيها، وأن رجلها المثالى هو رجل صارم قوى، أى صورة من أبيها الذى قالت عنه فى بداية الرسالة إنه أب شديد.

نظرتها إلى أمها امرأة تبطن الحقد.. وأنها لا تحبها.. واحتقارها لجسدها.

هل يمكن أن يكون احتقارها لجسدها رمزاً لاحتقارها لأنوثتها واحتقارها لأمها.

وهل يمكن أن تكون إباحيتها وتحررها الجسمى رمزاً لتشبهها بالرجل.. بالأب الذى أحبته.. إنها فى تصرفاتها أشبه برجل أكثر منها بفتاة مراهقة.

إنها لفرط حبها لأبيها تتمنى لو أضحت مثلاً رجلاً.. تتمنى لو أنها تخلصت من وصمة أنوثتها.. تحتقر الأنوثة التى تمثل لها الأم الحقود التى تكرهها.

وهي تلبس ثياباً بكم طويل.. ومظهرها مؤدب مهذب حمس
يعني راجل في لبسها.

وهي تلتقط الرجال من الطريق لتذهب إلى شققهم الخاصة.
وهي شقاوة من النوع الرجالي.. وليست من النوع الذي تقدم
عليه امرأة.

والرجل في نظرها خائن.. ولهذا فهي تخون.. وهو يعشق
ويهجر.. ولهذا فهي تعشق وتهجر.

وأول علاقة لها هي حب عنيف لبنت من صاحباتها.. إنه دور
رجل من أول الحكاية لآخرها.

وفي بيئة ريفية تعطي كل الحقوق للرجل وتسلبها من الأنثى،
كان من الطبيعي أن تدفع الظروف التربوية هذا الانحراف إلى
مداه.. وخصوصاً بالنسبة لفتاة ذكية طموح تريد من الدنيا
الكثير.

أعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تفسر بأنها ارتباط عاطفي
شديد بالأب انقلب إلى حنين لأن تصبح البطلة رجلاً.. وتتصرف
كرجل مما أدى إلى هذه النهاية من ازدواج الشخصية.. التي
أخذت هيئة تدهور خلقى فاضح.

وهذا نوع نادر من سوء الخلق.. لا يمكن علاجه بالعظة
الحسنة، وإنما بالفهم.

ومثل هذه الأخلاق يصلحها الطبيب النفساني، أكثر
ما يصلحها الواعظ.

اعترافات طالب خائب

كانت كلمات أبي التي يكررها كلما رأني.

- نفسي أشوفك ناجح ومتقدم ومعاك أعلى الشهادات
ومركزك أعلى المراكز.

وكانت هذه أمنية أبي بل منتهى أمله ومناه..

وكنت بكل أسف.. لعبياً كثير الزوجان كثير الهروب.. أذهب
إلى المدرسة يوماً وأتغيب أياماً.. ولم أكن وحدي.. كانت هناك شلة
من الطلبة الصياع كلهم على شاكلتى.. إذا حدث في المدرسة
إضراب أو قامت مظاهرة.. فرحنا ورقصنا واعتبرناها فرصة.. ولم
نكن نندمج في المظاهرة.. أو نشترك فيها.. ولماذا نهتف وننبح
أصواتنا بالكلام بالفارغ.. ويعيش ويسقط.

كنا نسرع إلى السينما حفلة عشرة.. أو تجدنا في القهوة
موزعين بين الطاولة والكوتشينة والدومينو.. فإذا لم يكن هذا
ولا ذلك كان الشارع مأوانا.. وكان سيرنا وتسكعنا معاكسين
البنات والستات حتى نلتقى بالفريسة ويكون هذا نهاية المطاف..
إذ لا يبقى بعد ذلك إلا البحث عن مكان مناسب بعيد عن

العيون، حيث نتسلل داخلين واحداً بعد الآخر كل في دوره.
ودفع بنا هذا السلوك إلى دروب بعيدة ملتوية ومظلمة..
الكذب.. قفز الأسوار.. السرقة.. لعب القمار.. وممارسة الحب
المراهق وغير المراهق.. والسهر إلى أوقات متأخرة بعيداً عن
رقابة الكبار بدعوى أننا نذاكر معاً ونجتهد معاً.. ونكافح في
تحصيل العلم وطلب العلا.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يجيء الامتحان فنهرب أو نغامر
بالدخول ومع كل منا البرشام.. ثم النتيجة التي لا تخرج عن
أحد احتمالين.. أن ينكشف أمرنا ويكون مصيرنا الطرد ثم
الحرمان لمدة عام.. أو أن نرسب بجدارة بالرغم من البرشام ومن
الغش الهمام ومن المراقب الذي يغمض عينيه رحمة وإشفاقاً.
ومرة بعد مرة وسنة بعد سنة فوجئنا وفوجئ الكبار بأننا نقف
حيث بدأنا بالسنة الثانية صنایع والبخت ضایع.. ولا خطوة بعد
ذلك إلى الأمام.. بل طرد وفصل وحرمان من كافة فرص التعليم
وبعد أن كنت طالبا في الصنایع أصبحت أحمل لقب صایع..
وخایب.. ونایب.. وجلاب المصایب.. إلخ.. إلخ..

ألقاب كثيرة فاخرة دفعت بي إلى البحث عن عمل أى عمل
وبالابتدائية وبالواسطة وبالرشاوى وبالمساعي الحميدة وغير
الحميدة استطاع أبى أن يوظفنى فى التليفونات.
وصدر قرار التعيين.. معاون تليفون درجة تاسعة بمرتبة خمسة

جنيهاً وبشرط أن أقبل العمل فى المكان الذى يتطلبه صالح
العمل أينما كان.. قبلى أو بحرى.. فى الصحراء أو فى الواحات.
وسافرت إلى الصعيد الجوانى.. إلى سوهاج.. إلى نجع حمادى،
إلى إسنا.. ثم عدت شمالاً إلى أسيوط.. المنيا.. الفيوم..
أبو كساه.. بنى سويف.. القاهرة.

وفى كل يوم كنت أكفر عن أخطائى وسيئاتى وذنوبى.
وفى كل يوم كنت أدرك أن الله حق.. وأن المذاكرة حق.. وأن
البطخة لها ثمن.. وأى ثمن.

ولكل هل اتعظت واستفدت من العبرة.. ومن حالى الذى
تدهور فأصبح أهون من حال المرمطون؟.. أبداً.
الذى حدث وحياتك هو العكس.

كبرت وكبرت معى أخطائى.
فى كل مكان ذهبت إليه كانت نزواتى تسبقنى.
أقمت فى الأحياء الوضيعة والمناطق المشبوهة.
أوقعت بكثيرات وكانت لى فى كل بلد ضحية.. وفضيحة..
كدت أذهب ضحية نزواتى وشهواتى البهيمية.

كادت تصيبنى رصاصة.. وكاد يقتلنى شقى مأجور.. لولا كثرة
تنقلاتى وأسفارى المتصلة لمدة عشر سنوات.
ومازلت إلى ساعتى هذه وأنا أكتب هذا الخطاب.. أسيراً..

لكل حواء.. ضعيفاً أمام الإغراء.. مقاومتي أضعف من مقاومة
جناح ذبابة.. أغرق في العسل ولو فيه موتي.

قالوا لي تزوج.

وكيف أتزوج يا صاحبي؟

وكيف تكفيني وتكفي امرأتى الملايم التي أقبضها؟

وكيف أثق في زوجة.. وقد استبحت كل ما صادفني من
أعراض وفيمن عرفت زوجات وحرائر؟

وماذا يوجد من أمل في حياتي التي تتدهور يوماً بعد يوم؟

شاكر

أغرب ما في خطابك أن ضعفك أصيل.. وأنه يتفاقم معك سنة
بسنة.. فأنت تزداد انحلالاً مع العمر.. وتزداد استسلاماً لنزواتك..
لا يردعك فقر ولا فشل.. ولا انتقام يتربص بك ولا رصاصة
قاتلة تنطلق خلفك.

إصرار غريب على الإثم وكأنه رسالة مقدسة.

لا محاولة واحدة لانتشال نفسك.

ليس في خطابك لمحة واحدة للتوبة.. ولو في المستقبل البعيد..
وأنت تتكلم عن الزواج وتكاليفه.. مع أنك تدفع في حياة الهلس
التي تعيشها نفقات أفدح.. تكاد تدفع عمرك راضياً.

ولا أظن أن مشكلتك هي فقرك الذي يستحيل معه الزواج.
لأن فقرك نتيجة لشخصيتك.. وليس سبباً لها.

مشكلتك هي شخصيتك.

عجزك عن ضبط نفسك أمام أي لذة عاجلة وهو العجز الذي
ضيعك كطالب.. وضيعك كموظف.. وأنا لست من الذين يعتقدون
بأن شخصية الإنسان قدر لا مفر منه.
أنا أعتقد بأن الإنسان قادر في كل سن وفي كل وقت أن يطور
شخصيته ويسمو بها ويحارب ما فيها من ضعف.

أعتقد أن الإنسان يستطيع أن يكون سيد نفسه.

وأؤمن بأن الإرادة يمكن تربيتها واكتسابها بالكفاح والمجاهدة
مع النفس.. وأن الإنسان ليس عاجزاً أمام أهوائه.

وكل ما تحتاج إليه.. لحظة ثورة..

ثورة تنبع من داخلك نتيجة لوعيك وإدراكك لأي نصيحة..
ثورة تنتقل بك من رضوخك واستسلامك إلى حالة من التطهر
واليقظة واستجماع العزم.

هذه الثورة الداخلية أهم من أي عمل مادي.

فمشكلتك المادية يمكنك حلها بالبحث عن عمل إضافي في
أوقات فراغك أو بزواجك من شغالة مثلك.. ولا شك أن مرتبك
الآن وبعد عشر سنوات من العمل قد تضاعف.. والخمسة
جنيهاً في أول تعيين لم تعد خمسة جنيهاً.

المهم أن تتغير وجهة نظرك إلى الدنيا وتتحول من إنسان
خائر العزم تركبه أهواؤه وملذاته.. إلى إنسان صلب الإرادة
يسوس نفسه ويحكم غرائزه.. وهو تحول شاق.. ولكن الآلام التي
عانيتها يمكن أن تحفزك وتساعدك على هذا التغيير. ولا شك أنك
ستكون درسًا طيبًا لكل طالب كسلان يظن أنه يستعجل لذاته
بتأجيل المذاكرة والعمل.. والحقيقة أنه لا يؤجل مذاكرته فقط..
وإنما يؤجل لذاته أيضًا وسعادته لأجل غير مسمى.

البومة

أنا في نهاية مرحلتى الجامعية وبرغم ذلك فأنا معقدة ليس
عندى ذرة من الثقة بالنفس برغم مجاهدتى المستمرة فى بناء
شخصيتى.

ولدت من أبوين غاية فى الجمال وكنت واحدة من إخوة آية
فى الحسن.. أبى تركى وأمى عربية والاثنتان فى لون المرمر
الأبيض الملون بالورد.. وشعر أمى ذهبى.. وشعر أبى حرير
فضى.. وأنا لا أعرف لأى جد ملعون جئت.. ومن أى عرق
خسيس من عروق العائلة أخذت دمائى.. أنا يا سيدى سوداء
جعدها الشعر جاحظة العينين رجلاى خشنتان ولهما عرقوبان
وكانها رجلا ماعز.

وكان يمكن أن أعوض عن هذا القبح بجمال فى الشخصية
وجاذبية فى الطبع وخفة فى الدم ولكن تربيتى السيئة فى فترة
طفولتى حطمت البقية الباقية من إرادتى.. فمنذ طفولتى والجميع
الإخوة.. والأقارب.. حتى الوالدين يسمونى «الغوريلا».

وبدلا من كلمة الدلع الحلوة.. وشوشو.. وإش إش.. وقطتى..

وفلتي.. وكتكوتتي.. كنت أسمع الكرتة.. السوداء أم رجل معزة..
العبدة.. الزربونة.

وكانت الدنيا تظلم في عيني ولا أستطيع أن أنبس بكلمة أو
حرف وأتسلل إلى فراشي ورأسى في الأرض لأغلق باب الغرفة
وأبكي وأبكي.. وأبكي حتى أتقطع.

وأصبحت أكره الجميع ولا أحب رؤية أحد وأشعر بالحقد
والرغبة في التخريب والهدم وأحلم بزلزال.. يبتلع الأرض ومن
عليها وقيامه تقوم فلا تبقى على مخلوق.

كنت أشعر كأني حيوان مجروح كل الناس تلغ في دمه.
الناس ظلموني.. كالقيد في رجله.. كالقيد في رجله..
الطبيعة ظلمتني.. كقيد في رجله.. كالقيد في رجله..
مظلومة حتى في جسمي.

وأدى بي الحقد إلى حالة رفض كل شيء.. الدنيا والناس
والأهل.. وانطويت على نفسي.. أبكى في صمت وأمضغ مهانة
ومذلة لا حد لها وأصبحت طباعى شرسة.. حتى في المدرسة
أطلقوا على لقب «البومة».. وفي البيت حينما يأتي أصدقاء العيلة
ويبحثون عنى أسمعهم يقولون: فين البنت الوحشة اللي لقيتوها
على الكوم الأسود.

يقولون هذا ويتضحكون.. بينما أنا أتمزق.. تمزقني كلماتهم
كالسكاكين.

وكنت أجد مخرجًا واحدًا لكل هذا الإذلال.. هو أن أتفوق في
المدرسة على كل البنات الجميلات.. وكأني أعاقبهن بذكائي.
وكنت أشعر بعقدتي ومركب النقص الذي أعيش فيه.. وكنت
أجاهد للخروج منه.. وفي الجامعة حاولت أن أخفي وجهي القبيح
تحت ابتسامة مصطنعة، وأخفي عقدتي تحت ستار من المرح
والمزاح وشهد الجميع بأن دمي خفيف ولكنهم لم يرحموني.. كنت
أسمع التعليقات والهمسات وأنا أسير في حوش الجامعة.

- شايف يا بنى البراهين على نظرية داروين!
- اسكت يا جدد لا تعضك.
- مش هي دي اللي راسمينها على قزايز بوليس النجدة.
- دي مش من هنا يا بنى دي هربانة م الجنيينة.
- باين عليك واخذ القفص إلی جنبها ها ها ها ها.
- ونعاكسها ازاي دي.. دي تأكلنا.
- قول لها عجيب الفلاحة ازاي.
- احذف لها سوداني.

كنت أسمع هذه الهمسات.. وأحس بدوار.. وارتبك وتتخاذل
رجلاي عن حملي وأكاد أهوى على الأرض مغمى على.

لم تكن هناك فائدة.. كنت أسير مفضوحة بالرغم من كل
الابتسامات التي أرسمها على وجهي. تمثال منفر للقبح والدمامة.
وماذا ينفع العلم وما جدواه لأنثى فقدت كرامة أنوثتها..

الناس رفضوني وطرّدوني في قسوة من مجتمعهم الضاحك
السعيد.. أبوا عليّ حتى الوهم والحلم والأمل.. وأرجعوني في
وحشية إلى عالمي القبيح.. إلى البومة والغوريلا.

أنا لا أطلب منك أن تجعلني جميلة وحلوة.. فأنا أعلم أن هذا
مستحيل، ولكن أطلب حلاً نافعاً مفيداً صريحاً وممكنًا. طريقة
أتعامل بها مع هذا العالم المتوحش.

لو طلبت مني أن أنتحر فسوف أنتحر بلا تردد.
أنا أطلب نجدة تبقى على ما تبقى من إيماني.
حلاً ممكنًا أغير به مصيري المظلم.. مد لي يدك.
المعذبة
البومة

أکید مشكلتك ليست في وجهك وحده ولكن في نفسك وفي
رفضك الشديد لكل تعامل حتى التعامل معي.. في الوقت الذي
تطلبين فيه المعونة ترفضينها محذرة: لا تقل لي ابني شخصيتك من
جديد.. لا تقل لي أن الجمال جمال روح وليس جمال الوجه.. يعني
مد لي يدك.. ثم تقطعينها.

وماذا بقي لي.
ترفضين أي حل نفسي وتقولين إن الحل الجسدي مستحيل.
«حامل إيه».. إن المشكلة لها وجهان.

درهم جمال ولا قنطار مال.
كنت أسمع هذه الأمثال من أفواه الأقارب.. وافتقد آخر
أمل.. التفوق الذي عقدت عليه آمالي.. ماذا سوف يجدي
التفوق.. ولماذا أتفوق.. ولأي هدف.. ولمن.. ولا أحد يغتفر لي
قبحي..

وفي ثورات عصبية جنونية كنت أمزق الكتب وأشد شعري
وأبكي وتدهورت إلى حالة من الانطواء الشديد والسوداوية،
وعدت إلى حالي القديم وأصبح الجميع يلقبوني «بالفيونكة» يعني
«عقد».

وانهارت شخصيتي تمامًا.
إذا فتحت كتاباً الحروف تتراقص أمامي تسخر مني.

كلما رأيت شيئاً ثميناً فكرت في كسره.
أخشى أن يذهب عقلي.. وهو كل ما تبقى لي من هذه الدنيا
القدرة.

لا تقل لي ابني شخصيتك من جديد.
لا تقل لي إن الجمال هو جمال الروح وليس جمال الوجه..
فقد حاولت أن أغطي قبحي بشخصية حلوة، وأستر وجهي
بابتسامة مرحة.. حاولت أن أنسى الحقيقة المريرة ولكن الناس
كانوا يوقظونني في كل لحظة على حقيقتي.

إجراء جراحة تجميل إذا كانت عيوبك من اختصاص طبيب التجميل.

وإجراء جراحة نفسية وهذا ما يمكن أن تجاهدى في سبيله. ولا يوجد حل ثالث.. وأنت تقولين إنك حاولت مرة برسم ابتسامة مزيفة وافتعال مرح كاذب.. ولكن بناء الشخصية لا يكون بالافتعال والكذب.. ولا يمكن كسب قلوب الناس بالتعامل المصطنع والمحبة المفتعلة.

لا بد أن تنتزعي حقدك أولاً بجهد مخلص وحقيقى.. فالناس لا ذنب لهم في أنك ولدت بهذه الصورة.

والتريقة عادة الناس في المدن وفي إمكانك أن تدخلى تريقة لتريقة أنت أيضاً وبكلمة ذكية رقيقة لاسعة يمكنك أن تجعلى أجدع راجل يسبح في عرقه ويبلع ريقه.

ونحن نتبارز كل يوم وباللسان كما كنا نتبارز بالقرون والمخالب أيام زمان.. أننا نحمل وحشيتنا وطباعنا الحيوانية فينا. وأنت أيضاً فيك الحيوان ولكنه مجروح كما قلت.. ولو كان حيواناً سليماً لبادرت بالطعان والنزال والعدوان، ولكن لك ضحايا بين زميلاتك الوحشات. هذه هى الحياة.

إن ما فى الناس فيك.. وحقدك لا مبرر له.

وكلنا مظالم.. بعضنا ولد مشلولاً وبعضنا ولد أعمى.

وبعضنا يحمل السل فى رثيته. والذى ينجو يوم مولده.. يفترسه المرض فيما بعد.. أو تذهب به حادثة أو يشوه فى حرب. والجدرى والجذام والأورام الخبيثة لها مستشفيات ويسقط بها ألوف الضحايا كل يوم.

وفى قصر العينى عنبر للمحروقين ممتلئ عن آخره بالمشوهين. والوحاشة هى الحال الغالب بين النساء والجمال هو النادر. ومن تولد قبيحة حالها أرحم ممن تولد بعاهة.

وبالرغم من كل هذه المصائب فأنت لا تحسين إلا بمصيبتك وحدها وكأن العالم ليس فيه سواك.. وليست فيه مأساة سوى مأساتك.

ولكن الطيبة لا تتدفق من القلب إلا حينما نشعر بمصائب الآخرين ونحس بالأمهم كما نحس بالآمانا.

والطيبة حينما تنعكس على الوجه تغير شكله صدقيني. والوجه الطيب أجمل من الوجه الحقود.

حينما تبدئين فى الشعور بالمأساة المشتركة لكل الناس فى هذه الدنيا، وحينما تتدفق الطيبة من قلبك القاسى المتحجر فسوف يتغير شكلك.

وأخر الليل حينما يطفىء الأزواج النور لا يعود هناك فرق

بين جمال وقبح.. وكل ما يتبقى هو الصورة النفسية وانطباع
العشرة.

والنفس الذكية الحساسة الطيبة تستطيع أن تمنح السعادة
واللذة.

والنفس الحقود لا تستطيع أن تمنح إلا ليلة نكدة.

والرجل يتعود على شكل زوجته مهما كان، ولكنه لا يستطيع
أن يتعود على حقدتها أبداً. والحقد والشراسة والعداوة تغير شكل
صاحبها لأنها تقلب سحنته وتؤدي إلى توتر ملاحظه.. في حين أن
السماحة والطيبة.. تضيء على الوجه الوضاء والبشر.. أمامك
إذن معركة لا بد أن تكسبها مع نفسك ومع الدنيا.. فأنت لست
مظلومة فقط ولكنك ظالمة أيضا. وإذا كسبت نصف الطريق
فسوف يتغير مصيرك وسوف تصبحين قرودة معشوقة.. وما أكثر
القرودات المعشوقات في هذه الدنيا.

وتذكرى أن الجمال مسألة نسبية، وإذا كنت ترين نفسك
قبيحة هنا فسوف تكتشفين أنك ملكة جمال في قبيلة مثل نيام نيام
وسوف يتقاتل عليك سلاطين القبيلة هناك.. وإذا هاجرت إلى
أستراليا فستكونين فرخة بكشك لأن سكان أستراليا رجال
بلا نساء وهم يشمشمون هناك على رائحة امرأة.. أي امرأة.

وإذا كنت أجمل جميلة في القاهرة فأنت في بلد مثل السويد
صفر على عشرة.

وأرض الله واسعة والبضاعة التي تبور في مكان يتقاتل عليها
ألف شاب في مكان آخر.. وكل فوله ولها كيال.

وفي النهاية شكلك قدرك.. وقدرك لا خلاص لك منه.. إنه
الضرورة التي لا مفر منها.. فإذا احتضنت قدرك في رضا ومحبة،
فسوف تكسبين نفسك على الأقل بدلا من أن تخسري الاثنين..
نفسك وجسدك.

والسعادة هي أن ندير ظروفنا وإمكانياتنا بحكمة.. وهي
لا علاقة لها بقبح ولا جمال.. فمن الممكن أن تدير امرأة جمالها
للدعارة وأن تصعد امرأة على قبحها لتكون ذروة إنسانية.
وعقولنا وإرادتنا هي التي تصنع مصائرنا في النهاية.
قودي نفسك بحكمة وفطنة، وعاملي الناس بمحبة وسماحة
يضيء وجهك بالجمال المستحيل.

ولم اقتنع بإجابتك فأرسلت لك برقية علمت بعد ذلك أنها لم
تصلك ولعلها تاهت في فترة من فترات عزلتك.

ومرت سنوات ثلاث وأنا أعيش في هذا الذي وصفته في ردك
بأنه المستحيل.. أعيش حياتها لا حياتي أنا.. ست سنوات وأنا
أستمد بقائى من لقاءها. كانت عمرى قبل أن يكتب ذلك أحمد
شفيق كامل.

ست سنوات كانت عدد مرات لقائنا فيها أكثر من خمسة
آلاف وثلثمائة لقاء.. كل لقاء كان أحر شوقاً وأكثر حباً من
سابقه، كنا لا نفكر في نهاية المشوار، كان حباً ليس كمثله حب،
كانت رسالتى إسعادها، وسعادتى أستمدتها من بسمتها ولمسة يدها.

منذ شهور أحسست - وإحساس المحب الصادق لا يخيب -
أنها ليست معى في قمة حبنا.. ويسألها لم تنكر أنها بدأت تحب
وأن حباً آخر أصابها فجأة.. هكذا بالسكينة.

كانت صدمة لى وخصوصاً أنها جمعت فترة بين علاقتنا نحن
الاثنين. لم تخف الصدمة حينما تأكد لى أن حبيبها ينوى الزواج
بها.. فلم يستطع عقلى أن ينكر عليها حقها في الحب والزواج..
وبينى وبينها زوجة وأبناء واختلاف دين.

ولعلك تسأل الآن.. وماذا كنت ترجو منها أن تفعل.
أجيبك بأنى لا أنكر عليها حقها في حياتها.. فأين المشكلة؟!
المشكلة الآن فى دموعى.. دموعى لا تنقطع برغم إرادتى.

الباب المغلق

منذ سنوات ثلاث كتبت لك عن حبنى.. حباً ليس كأى حب،
وحدثتك يوماً عن نفسى.. كزوج.. وأب.. وشرحت لك حياة
الفراغ العاطفى التى أحيها.. وكتبت لك عن زواج لم يوفى منذ
بدايته، حتى إنى كنت على موعد مع فتاة من فتيات الليل غداً
ليلة زفانى.. وكنت أهيم وراء كل عاطفة حتى وأنا أعلم أنى
أشترىها إلى أن التقيت بها.

كانت تصغرنى بخمسة عشر عاماً لكنها أخذت بيدي بعيداً
عن كل فساد.. وأعطتنى حناناً.. وحباً.. ودفعت الثقة إلى نفسى
وحققت لى معجزة الأمل.. فأحببت حياتى من أجلها، نجحت فى
عملى نجاحاً تناقلته الصحف والمجلات بفضلها.. سعيت لزيادة
دخلى.. استقامت حياتى الزوجية وعرفنى أبنائى بعد أن كنت
لا أعرف طريقاً لبيتى إلا بعد أن هدتنى إليه.

لقد كتبت لك الكثير يوماً من سنوات ثلاث فكتبت لى رداً
صغيراً فى صباح الخير تقول فيه «إلى صاحب الأمل فى السراب..
هذا هو المستحيل».

كل منظر.. كل كلمة.. كل لحظة تردني إليها تندفع من عيني
الدموع.

لقد كنت عزيز الدمع.. إلا معها في خلوتنا.. وفي سنوات حبنا،
كنت أحب أن أجفف دموعي بأناملها.. وكنت لا أطيق رؤيتها
تبكي، فإذا انهمرت دموعها كنت ألتقطها بقمي من مآقيها.
ولكني الآن فقدت السيطرة على نفسي، وأصبحت أبكي أمام
الناس حتى خيل لبعضهم أن خلا عضويًا أصاب عيني.. وفي
العام الماضي هبط دخلي إلى الثلث.. وفي أوائل هذا العام نفذ
رصيدي كله وكان مكونًا من أربعة أرقام، وما كان ذلك إلا بسبب
نفسيتي..

كنت أوصف بين الناس بالحزم والحكمة إلى أن فقدت هذا
الصدر الحنون فأحسست أني فقدت حتى الأمل في الأمل.
فكرت في الانتحار ولكني جنت.. ولو أنها أمرتني لما ترددت
رحلت بدموعي إلى مكان بعيد مليء بالأخطار أعرض نفسي فيه
على الموت عسى ألا يجيبني على لقائي، رحلت وأنا مقتنع كل
الاقتناع بوجود الاختفاء من حياتها حتى لا أؤذي الناس
بدموعي.

ولكن فشلت كل وسائل العلاج.
لم يشدني بيتي.. وكانت تهديني إليه.
أنهكت نفسي في عملي فارتبكت وأخفقت.

صديقة كبيرة أحست مأساتي من خلال دموعي فحاولت
مشكورة أن تعيش معي في قصة حب جديدة فأبى قلبي ونأيت.
تناولت نفسي بالعذاب والحرمان من كل متعة أو لذة.
لا تسخر مني حينما أصرحك أني أسجن نفسي وأضرب
نفسي ضربًا مبرحًا.. هل هي مبادئ جنون.

لو أن سوق الرقيق قائم لبعث نفسي لها مرة أخرى حتى
تعتقني متى تشاء فأبيع لها نفسي راضيًا حتى ينقضي الأجل.
إني أعيش في مهجري لا يريد دمعي أن ينقطع.. إني أتنفس
على البعد أنفاسها.. وأرى دنيای هنا كلها في أغوار عينيها.. ثم
ألمس دفء لمسة أناملها فلا أجدها وأكلم خيالها بصوت مرتفع.
ثم أنهار وقد عجزت حيلتي.

إني أخجل من نفسي فأنا على مشارف نهاية الحلقة الرابعة من
العمر وفي عداد الرجال وليس البكاء من شيمة الرجال ولكني
عاجز عن حبس دموعي ليل نهار.
هل تجد لي علاجًا.

أخشى ما أخشاه أن تستمر دموعي هكذا حتى أفقد عيني.
سأبذل جهدي للحصول على صباح الخير حتى أجد إجابتك.

دليل السراب

واضح جدًا أنك كنت لمدى ست سنوات تجمع بين علاقيتين في وقت واحد.. علاقتك بزوجتك وعلاقتك بحبيبتك.. وربما كنت تجمع بينهما في فراش واحد أيضًا.. أو في فراشين منفصلين.. أو شقتين على أحسن الفروض.

وواضح أنك كنت سعيدًا جدًا بهذا الوضع لدرجة أن ارتفع رصيدك إلى أربعة أرقام.. ورددت الصحف أصداء نجاحك وأصبحت تعيش مع زوجتك وأولادك في وفاق.

ونسيت في سعادتك أن هناك امرأة تعيش في وضع مهين ذليل هي حبيبتك أو المرأة التي زعمت أنك تحبها.

هذه المرأة التي سلبتها ست سنوات من زهرة عمرها في حب بلا أمل لرجل متزوج وله أولاد ومختلف عنها في الدين.

هذه الفتاة المسكينة التي جرجرتها خلفك وأنت سعيد ورصيدك يرتفع لأربعة أرقام واسمك يعلو.

هذه الفتاة مر عليها رجال في هذه السنوات أحبوها وعشقوها وعرضوا عليها قلوبهم فلم ترهم ولم تشعر بهم لأنها كانت تحبك أنت أيها اليأس.. أنت أيها الباب المغلق.

والآن وبعد سنوات من الظلم ومن السجن بدون ذنب تحاول المسكينة أن تفلت من قيدك الغاشم.. فتكون النتيجة أن تشكو لأنك في مشكلة.

وما هي المشكلة؟!

إنك تبكى.

كان المفروض أن تبكى من زمان وتجن وتضرب نفسك وتفشل في عملك ويضطرب رصيدك إذا كان حقًا عندك قلب.. ولكن الذى حدث أن رصيدك كان يرتفع.. واسمك يعلو.. وقلبك يرقص فرحًا.. ولم تكن دموعك في ذلك الوقت دموع عذاب، ولكنها كانت دموع الترف العاطفى في الخلوة اللذيذة الشهية التي يتقنها محترفو الغرام.

وأنت الآن لا تريد أن تدفع حتى ضريبة الدموع.. عن ست سنوات سجن لفتاة بريئة أغلقت في وجهها المنافذ والأبواب. ولكنها مع ذلك حينها كانت مهينة ذليلة تجررها وراءك كانت تتعذب أضعاف عذابك.. ولم تشك لأحد.. ولم تبك لأحد. وإنما حملت خطأها على كاهلها بشجاعة وتألمت في صمت.

وكان يجب أن تتعلم منها الرجولة والشرف.. والشرف هو أن نحمل وزر أخطائنا، ونُدفع ثمنه دموعًا على الأقل.. وهذا أضعف الإيمان.. ولكنك.. حقًا.. لا تتصف بهذا الشرف.

أنت رخو جدًا.. لا تريد أن تدفع أى ضريبة عن السعادات التي استمتعت بها في غفلة عن صاحبته.

ولا أريد أن أقول لك حكاية أن سوق الرقيق.. ولو كان فيه سوق رقيق لبعث نفسي فيه عشانك.. إلخ.. إلخ ده كلام جرايد.. وكلام سيئا.

نصحتي لك أن تبكى بشدة كل يوم حتى تحمر عيناك، ثم
تعود فتبكي من جديد لأنك لم تبك بما فيه الكفاية.
ألم أقل لك إن الدرب الذي تسير فيه هو درب المستحيل؟

انقذني من جمالي

من قال إن الجمال نعمة.. إن الجمال خراب ودمار.. إنه مصيبة -
لكل فتاة جميلة.. إنه لعنة يبتلى الله بها عباده.
إني ألعن الجمال في كل مكان وزمان. عليك يا فتاة
أنت تقول الآن إني مجنونة.. ولكني عاقلة ومؤمنة بكل حرف
أكتبه.. دعني أشرح لك الحكاية.
نشأت في عائلة فقيرة بين أب طيب وأم سالحة وأخ يكبرني
بست سنوات.. وكنت جميلة.. جميلة جداً.. بيضاء ذات شعر
كستنائي مسترسل وعينين خضراوين.. وكنا نساكن في حي فقير
يتلاءم مع مرتب أبي الموظف في وزارة الصحة، وكنت أجمل بنات
الحي، بل كانت أمي تبخرني كل يوم خوفاً من الحسد.. ومع بداية
نضوجي بدأت المشاكل.

في سن ١٤ كنت أسير في الطريق تزفني التعليقات
والمعاكسات والمداعبات الكبيرة والصغيرة، والشباب والكهول.
الكل سواء في الغمزات واللمزات والكلمات «الأبيحة». وكنت
أصبر وأصبر نفسي. وأقول هذه هي ضريبة الجمال.. والحقيقة أني

كنت أشعر بجمالى وأختال به وأتباهى به على سائر بنات الحى.
وبلغت السادسة عشرة وحدثت أولى المصائب التى أوقعتنى
فيها جمالى. إن الدم الذى تسير فيه هو دماء النفس.
كان أمامنا اثنان من الشبان.. واحد فى الثانوية العامة..
والآخر فى إحدى الكليات النظرية.

والاثنان كانا يطاردانى فى ذهابى وإيابى.
كان أحدهما يمشى خلفى حتى يوصلنى إلى مدرستى فى الصباح
والآخر يعود خلفى فى أثناء عودتى.. وكأنها دورية قسمها بينها.
وذات يوم بينما كنت عائدة للمنزل والمذكور من خلفى يتبعنى
كظلى.. حتى وصلنا إلى بداية الحى الذى أعيش فيه وإذا به يسرع
فى خطواته حتى يصبح فى محاذاتى ثم يبدأ يكلمنى عن غرامه
وهيامه وانشغاله بالليل وبالنهار.

لم أتكلم.. ولم أرد.. واصلت مسيرى.. وزدت من سرعة
خطواتى، ولكن ذلك لم يوقفه.. وفجأة إذا بى أرى صاحبنا الآخر
قادمًا من بعيد منطلقًا كالسهم وقد أنا، حتى بلغنا، وإذا بمشجرة
تقوم بينها، بل وأكثر من ذلك فقد اشتركت العائلتان واتسعت
المشجرة وتحولت إلى معركة وإصابات. كان من نتائجها إصابة
أحد الطالبين بعاهة مستديمة فى وجهه.

وانتقل الكل إلى القسم.. وأصبحت فضيحة بجلاجل.
وانتهى المحضر بأن أجمع أهل الحى على مقاطعتنا بسبب إالى
«ما تتسمى» يقصدوننى.

ولم نجد حلا سوى أن ننتقل إلى حى آخر.
وليقطع أبى دابر المشاكل منعى من المدرسة وأقعدنى فى البيت
وأسوأ ما فى الأمر أنى بدأت أفقد أعز ما كنت أعز به.. ثقة أبى
وأمى وأخى فى سلوكى وأخلاقى.. فقد بدأ الجميع ينظرون إلى
نظرات مريبة من جانب عيونهم.

مرت على هذه الحادثة عدة أشهر.. وذات يوم عاد أخى
مكفهر الوجه، يتطاير الشرر من عينيه وقد سمع عنى أخبارًا
سيئة من زملائه ولا أعلم من أين أتت له هذه الأخبار.. وانتظر
حتى عاد أبى من الوزارة.. وإذا به يقص عليه قصة لا أول لها
ولا آخر ولا أساس لها من الصحة عنى وعن صلاتى بشبان..
ولما كان والدى يحببى جدًا فقد ثار فى وجهه.. وإذا بالاثنتين
يتبادلان الصياح وفجأة بدأ أخى يبوح بما كتبه فى صدره سنين
طوالا حتى فاض به الكيل.

حكى لنا كيف أن العيون كانت تلاحقه أينما سار والألسن
تتهامس.. هو ده الشاب أخو البنت إياها.. البت الكتكوتة..
يا حلاوة الكتاكيت.

وأينما كان يجلس كان الكل يتلفتون وفى عيونهم سخريه.
هل تصدق.. لقد كنت وصمة له.. بل إن جمالى كان وصمته
التى لا يعرف كيف يتخلص منها.

وكان اعترافًا هبط على هبوط الصاعقة فكتمت أنفاسى.. ولم

أعرف كيف أرد ولا كيف أدافع عن نفسي.

وتركنا أخى وسافر إلى الاسكندرية بحجة نقله.. وأنا أعلم تمام العلم أنه تركنا برغبته ليهرب، ليهرب منى، من أخته. ومضت الأيام.

جاء اليوم الذى تتمناه كل فتاة.. خطبني طبيب لا يزال فى أول الطريق والمستقبل مفتوح أمامه.

وبعد ثلاثة أشهر كنت له زوجة.. وعشنا فى بيت صغير فى إحدى ضواحي القاهرة.

كنا نبني لأنفسنا قصوراً فى الهواء.. وآمالاً وأحلاماً.. كم ابناً وكم بنتاً سوف ننجب. وأين سنقضى الصيف. وأين سنسافر فى الشتاء؟ إلى آخر تلك الآمال الساذجة.

وكان يظن أنه سوف يصبح أسعد زوج مع أجمل زوجة.

وكان فى بداية زواجنا نرتاد الأماكن العامة فتتجه الأنظار كلها نحوى مبهورة بجمالى. ويسلط الرجال عيونهم على من رأسى إلى قدمى.. وكان زوجى يبدو سعيداً فخوراً.. يتباهى بذلك أمام أصدقائه.. فله زوجة أجمل من زوجاتهم جميعاً.. وكانوا هم يقولون ذلك أيضاً..

ولكن بضى الوقت.. بدأ يتغير.. بدأ يقلل من خروجنا إلى الأماكن العامة.. ولم أعترض.. بدأ يحدد مرات خروجى من المنزل. ولم أعترض. لقد دعانا لزيارة أخته فى القاهرة.

وبدأ فى كل مرة أخرج فيها يطلب منى أن أقدم له خط سيرى بالضبط.. ثم تقريراً مفصلاً عنى قابلت ومن كلمت إلى آخر هذه التصرفات الصبيانية التى تملئها الغيرة. وكنت أعذره فى موقفه وأعطف عليه.. وأقارنه بأخى الذى لم يحتمل أن يعاشرنى كأخت.. فما بال زوجة.

احتملت هذه المعاملة سنين إلا أنه زاد فيها وبدأ يستعمل القسوة والضرب أحياناً.

ولكنى كنت أراه فى قرارة نفسه يتألم طول الوقت. إلى أن جاء ذات يوم مبكراً على غير عادته.. وبدأنا نتجادب أطراف الحديث وكان يبدو غير طبيعى.. وكنت أعلم أن فى الأمر شيئاً وكنت على حق فما لبث أن انفجر.. وإذا بى أرى صورة من أخى.

نعم.. هو الآخر فاض به الكيل.. زملاؤه فى العمل يتهامسون حينما يرونه وينظرون إليه تلك النظرات الغامضة الساخرة. وهو يعيش فى غيرة وشك قاتل يشغله عن عمله وعن عيادته ويبلبل ذهنه طول الوقت.. النظرات الشهوانية التى يصوبها الرجال نحوى تفقده عقله.. حياته تحولت إلى جحيم لا يطاق.. إنه يتصورنى على الدوام فى مواقف خيانات زوجية.

ولم يستطع أن يستمر.. طلقنى بعد مشاجرات متصلة.. وانهيادات عصبية.. ونجا بنفسه قبل أن يدخل مستشفى المجاذيب

وعدت إلى منزل أمي.. وكانت قد تزوجت برجل آخر بعد وفاة والدي.

وبالرغم من تظاهرها بالفرحة لرؤيتي.. وكلماتها الطيبة في مواساتي.. فقد كنت أرى كل مظاهر الحزن والحسرة بادية في عينيها، فهي لم تكن تتصور أن ابنتها الجميلة التي كان يحسدها الناس قد انتهت إلى هذه الحالة من التعاسة.

على أي حال.. عشت مع والدتي.. وكان زوجها رجلاً يتظاهر بالطيبة.. وما لبث أن بدأ يظهر لي على حقيقته.. بدأ يغازلني.. ويطاردني.. واحتملت وصبرت صبر أيوب.. حتى ضبطته أمي مرة وهو يحاول تقبيلي عنوة.. وكانت النهاية بالنسبة لزوجها.. فقد تركت المنزل وذهبت إلى شقيقتها في إحدى بلاد الوجه القبلي.

واتجهت أنا إلى عمي.. ومكثت عنده إلى يومنا هذا. والدور الآن على عمي المسكين الذي أعيش معه ليبتلى بمصائب جمالي.

تقدم لي حتى الآن ثلاثة عرسان يطلبون يدي ورفضتهم جميعاً دون إبداء أسباب.

ولعلك تعرف الآن سبب الرفض.

فكرت في مشاكل التي لا حل لها.

فكرت في الانتحار لأستريح.. وأريح الناس.

فكرت في تشويه جمالي لأتخلص من اللعنة التي تطاردني. ماذا أفعل.. صدقتي.. أنا معذبة.

المعذبة بجمالها

أنا أصدقك. فالجمال في أغلب حالاته يعذب صاحبه ويعذب الناس.. فهو يطلق الغيرة والشك والوساوس من عقالها.. ومتى بدأت الغيرة تطل برأسها بدأت السعادة تتوارى.. وتحولت الجنة إلى جحيم.

ولكن الحل لا يكون بالانتحار.. ولا بتشويه الجمال.

الحل هو البحث عن رجل عاقل.. رجل شخصية.

إن الرجل لا يغار على زوجته الجميلة إلا إذا فقد الثقة في نفسه وفي لياقته.. وشعر أنه ناقص وغير كفء لجمالها.

ولكن إذا شعر أنه نذلها وأنه شخصية جذابة مثلما هي امرأة جذابة.. وأنه ليس بحاجة إليها وإنما هي التي بحاجة إليه، حينئذ ربما انقلبت الآية فأصبحت هي التي تغار عليه وتخشى أن تسرقه منها امرأة أخرى.

أنت في حاجة إلى رجل شخصية.. تشعرين بجواره أنك تافهة وأن جمالك تافه.. ويشهر هو بهذا الشعور فيستريح ويطمئن فلا شيء فيك يخشى عليه.. فهو يمتلكك حاضراً وغائباً.. وإذا كان لا بد أن يقلق أحدكما.. فهو يشعر أنك الأولى بهذا القلق.

ثم بدأ يلاحظ أنى أنظر إليه.. وأنى أقف له كل يوم في
البلكونة ساعة خروجه وساعة عودته.

رجل أنيق ممتلئ بالرجولة.. في سن الثلاثين.. فارق كبير في
السن بينى وبينه طبعاً.. ولكنى لم أشعر بهذا الفارق.

وصورت عواطفى له صورة مثلى فى عيني.. فكنت أنظر إليه
وكأنى أنظر إلى إله يمشى على الأرض.

وفى ذات ليلة فى طريق عودته.. أشار إلى يديه بحركات لم
أفهمها.. ثم تكررت هذه الحركات والإشارات فابتسمت له
ورددت له الإشارات بإشارات مثلها، ثم دفعنى طيشى فكتبت له
رسالة شرحت له فيها حبى ومشاعرى وألقيتها له وأنا لا تسعنى
الدنيا من الفرحة أجاب على رسالتى برسالة أحر منها.

ومرت الأيام ونحن نتبادل تلك الوريقات الصغيرة.. ونختلس
النظرات.

ومع مرور الأيام أخذ حبه ينمو ويكبر فى قلبى وأنا سابحة فى
دنيا الخيال والأوهام، مغمضة عيني عن الواقع المرير الذى تحتم
علينا فيه تقاليدنا عدم الزواج من غير أبناء العائلة ومن غير أبناء
القبيلة، إلى هذا الحد كنت أعيش فى حلم.

ولكنى صحوت من حلمى أخيراً.. وكانت صحوة فجائية
كالصدمة تلاشت فيها الخيالات الجميلة التى كنت أسبح فيها..
أيقظتنى منها زغاريد مجلجلة ردد صداها صحن الدار.. ثم علمت

أنى أصبحت عروساً وأن ابن عمى خطبنى.. ابن عمى الذى
لا أحمل له أى شعور سوى شعور الأخوة.

وتم زفانى وأنا فى السابعة عشرة.. وأغلقت قلبى فى محاولة
شاقة لأنسى ولكن محاولاتي فشلت.. ولم أستطع أن أتوافق مع
زوجى.. كنت أشعر كلما اقترب منى أنى فى جحيم.

وكانت لمستته تقززنى.

وبعد شهرين من العذاب والصراع هربت منه وعدت إلى
بيت أهلى.. وثارت ضجة حولى.. وانتشرت إشاعات عن نشوزى
وتمردى.. ولكنى صمدت أمام العاصفة.. وصممت على ألا أعود،
وكان أكثر ما يخيفنى من العودة هو أن أنجب منه فيتحتم على
البقاء معه طوال العمر.

ولما كثر الكلام والقييل والقال غادرت البلد وسافرت إلى
أقارب لى فى بلد بعيد.. ومكثت هناك سنتين. وهناك سمعت أن
حبيبى تزوج وأنجب فتحطمت آمالى وصدمت صدمة كادت
تقضى على حياتى.

وعدت إلى بيت أهلى.. إلى موطن الذكرى.. وعلمت أنه
يتنسم أخبارى من الأخباريات.. ثم أصبحت أراه كسابق عهدي..
وكتبت له رسالة أهنته بزواجه وبإنجاب مولوده.. فرد على برسالة
رقيقة شرح فيها شعوره نحوى والظروف التى أدت به إلى
الزواج وقال إنه غير سعيد فى حياته الزوجية.

ومرت الأيام.. ونحن نتبادل النظرات فحسب في أثناء مروره
من الشارع بين الحين والآخر وأنا قانعة بهذا القليل الذي أفوز
به.

ولكن القدر سلبنى حتى هذا القليل.

ولا أدري لماذا انتقل من الحى.

ومرت سنتان لم أره خلالها فتمزق قلبي وأحرقت الدموع
وجنتى.. وبعد عشر سنوات أخرى من الزمن الطويل البليد
الفارغ أزمع أهلى على الرحيل من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى
في المدينة.

وبكيت آخر ذكرى لى قبل رحيلى ودفنت بتلك الأرض
الطيبة أجمل أحلامى وآمالى.

وهناك فى ذلك البيت الجديد الذى سكننا فيه على رأس الميدان
فوجئت برؤيته كل يوم فى ذهابه إلى مقر عمله وإيابه منه.
واستيقظت مشاعرى النائمة تحت سنوات اليأس والحربان..
وعدت طفلة أنتظره كل يوم فى ذهابه وإيابه.

وشاء القدر أن ألتقى به لأول مرة وكانت مصادفة من تلك
المصادفات التى تدبرها الملابس عرضاً واتفاقاً.

وعاتبته على هجره. وأجابنى بأنه لم يكن يظن أنى سأتمادى فى
حبه لأنه كما قال لى فى عباراته: «لست من وسطكم ولا من
بيئتكم وأعرف أن لكم تقاليد تمنع الزواج من خارج العائلة..»

وأعرف أنكم محافظون وملتزمون.. ولهذا آثرت أن أبتعد عن
طريقك لاتيح لك فرصة نسيانى مع أنى ما زلت أحبك واحترمك
وأحترم عائلتك، ولكن ماذا يفيد مثل ذلك الحب.. وما نهايته؟.

وأجبتة بالبرهان الوحيد الحى الصادق.. وهى تلك السنوات
الطويلة التى مرت دون أن تغير التقاليد من حبى، ودون أن توهن
من شعورى.. ومن لقائى الأول معه ألممت بكثير من طباعه..
ورأيتة على عكس ما تصورته.. خشن المعاملة.. قاسى
التصرفات.. وبرغم ذلك فقد ازداد تعلقى به.. وزاد اتضاح
صورته فى خيالى حبى اشتعالاً.

وأصبحت ألتقى به كلما سنحت الفرصة لقاءً لا يستغرق أكثر
من ساعة.. وأراه فى أثناء ذلك الوقت القصير يكتم رغبات قوية
ويجاهد كى لا يمسنى بسوء.

ومر عام على هذا المنوال ثم أخذ يماطلنى كلما طلبت منه
موعداً ويعلل ذلك بأنه يخاف وضميره لا يسمح له أن يعرضنى
للإشاعات، ويقسم لى أن شعوره لم يتغير ولكنه يخشى على
سمعتى أكثر مما يخشى على عينيه، وأنه يثمنى أن يلقانى كل يوم..
ويقول لى.. يجب أن تفهمينى.

وأنا لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أفهم أطواره.
واليوم انفتح الطريق الذى ظل مسدوداً منذ أجيال.. وتمرد
كثير من أبناء وبنات العائلات المحافظة على التقاليد البالية..

وتزوجت الكثيرات من عائلتنا عن حب.. وسنحت الفرصة ليتقدم
ويطلب يدي.. ولكنه لم يتقدم.

وقد سمعت عنه أنه يكره المسئوليات.
وفي كل مناسبة يردد على سمعي قائلاً إنه: لولا أولئك
الأبرياء «أولاده الثلاثة» لما مكثت مع زوجتي سنة واحدة.
وأنا كرامتي تأبى عليّ أن أقول له.. جرب الزواج مني، فستان
ما بيننا، أنا والزوجة التي تعيش معها.. أنا التي أحببتك بلا أمل
وظل قلبي وفياً لك طيلة ١٣ سنة أقدم لك الحب والحنان والرعاية
بلا غرض.

هذا مع العلم أنه تزوج قبل زواجه الحالي بزوجة أولى طلقها
بعد أن صدم فيها.. فهو يخشى أن يدخل في تجربة زواج ثالثة.
لا تقل لي ياسيدي «أنت بلا ضمير» فضميري لم يمت ولكنه
في غيبوبة منذ أن استمعت إلى شكواه ويأسه من حياته مع تلك
الزوجة.. وهو الآن يسكن في منزل مستقل عنها ولكنه قريب منها.
ماذا سيخسر بزواجه مني؟
إني أذوب حرقه على حرمانى من لذة رعايته والسهر على
راحته، وليس لي أمل إلا أن يضمنا بيت واحد.

وسؤالي الأخير ياسيدي.. هل هذا الرجل يجبنى!

ح.أ

إذا كان سؤالك هل يجبك ذلك الرجل كما تحببته.. فالإجابة
قطعاً أنه لا يجبك كما تحببته.. فحبك هذا حب غريب أسطوري
رومانتيكى خرافى لا مثيل له إلا فى قصص ستيفان زفايج.
أنت ترفضين زوجاً من عشيرتك هو ابن عمك من لحمك ومن
دمك لمجرد خيال فى بلكونة.. خيال لم تبادليه كلمة واحدة، ولم
تعرفى طباعه ولا شخصيته.
وكما تقولين فى كلامك بالحرف.. حينما التقيت به أول لقاء بعد
١٣ سنة من لقاءات الخيال.. صدمك فيه أنه رجل آخر.. خشن
الطباع.. قاسى التصرفات.
لقد عشت ١٣ سنة تحبين رجلاً آخر غيره.. رجلاً صورته لك
خيالك.

ولو أنك عاشرتة فى بيت واحد لاكتشفت كل لحظة صورة
جديدة.. لرجل جديد لا علاقة لك به.
وأنت حينما تقولين أنك أحببت تلك الصورة الجديدة القاسية
الخشنة منه.. فإنما أنت فى الحقيقة تعزين نفسك وتهونين الـ ١٣
سنة من الخيالات الكاذبة.

ولكن الحقيقة أن هذا الزواج الذى تصورين منه جنة الجنات
من الممكن أن يفشل.. بل إن فشله هو الاحتمال الغالب.. لأن
هذه العلاقة الملتهبة كانت طول الوقت تقوم فى فراغ.. إنها علاقة
بينك وبين نفسك.. وبينك وبين خيالات.. أكثر منها علاقة بينك

وبين رجل آخر حقيقى من لحم ودم. له ثلاث بنات
والحقيقة أن رجلك يتصرف بعقل وحكمة.. هو يعلم الآن أنه لم
يعد رجلاً واحداً، وإنما أصبح رجلاً وزوجة وثلاثة أولاد.. حينما
يتزوج بهذا الجيش.. ثم يعود فينجب من جديد جيشاً آخر من
العيال فالتعاسة والفقر والنكد وتعب البال وكثرة العيال.. هى
النتيجة المنتظرة.. وليست السعادة ولا جنات الحب الوارفة.
ورجلك الآن يعلم أنه فى الثالثة والأربعين، أى أنه مقبل على
خريف عمره.. بينما أنت فى الـ ٢٧ ريعان أنوثتك وربيع عواطفك
ورغباتك الحادة كامرأة عاشقة، قلبها جائع وجسدها جائع
بحرمان ١٣ سنة.. وهى تحلم بإشباع ذلك القلب وذلك الجسد.
ومثل ذلك الإشباع بالنسبة لرجل فى الثالثة والأربعين مسألة
شاقة.. ولكل سن طاقات وحدود.

وأعتقد أن ذلك الزواج الذى تحلمين به سيكون زواجاً شقيماً
تعساً... مليئاً بالمنغصات.

إن رجلك على صواب فى ابتعاده عنك.. فهو يريد أن يغلق
الباب الذى تأتى منه الريح ويستريح.
وهو قطعاً لا يحبك كما تحبينه.

وهو يعلم حدوده ولا يريد أن يفتح على نفسه باباً لا يقدر
عليه، وهو يعلم أنك أحببته فى الأحلام.. فلتستمر القصة إلى
نهايتها فى الأحلام.. فهذا أفضل من أن تنكسر رقبتك ورقبتك على
أرض الواقع.

الكلام العيب

أنا فتاة.. لا أدرى بماذا أصف نفسى.
سنى ١٨ سنة، شكلى عادى، أو هو كذلك فى نظرى.. أما كل
من يرانى فإنه يقول إنى أمتاز بسمرة لذيذة وجسم شهى. حتى
البنات يتغزلن فى جسمى أحياناً فى شعرى الطويل مثل فحمة
الليل، ومثل هذا الغزل كان دائماً يجرىنى وكنت أقابله دائماً بوجه
متجهم وبوز شبرين فاشتهرت بأنى بنت أخلاقها دوغرى
واسمها نضيف وعفيف مما جعل العرسان والخطاب يتزاحمون على
الباب.. وهذا هو ما يبدو من حياتى فى الظاهر.
أما الباطن.

أما الجانب المظلم الآخر الذى لا يراه الناس.. فهو المشكلة
وهو المسألة التى أقف عندها حائرة ضائعة.

وسوف أدع الخجل جانباً.. وأكشف لك بأساتى التى
لا يعرفها إلا أنا وهو والله.

وهو موظف فى الشركة التى أعمل بها. كانت علاقتنا سطحية
حتى حدث أن قامت الشركة برحلة ترفيهية إلى الفيوم.

وعلى شاطئ بحيرة قارون.. وبين الضحك والتهريج..
واليوستفندي سقط حجاب الكلفة عن وجهي كما سقط عن
وجهه ورأينا بعضنا نتكلم كأصدقاء قدماء نعرف بعضنا من مليون
سنة. ونلعب ونضحك ونتماسك بالأيدي.

وعدنا من الرحلة.. ولكن بعد أن تغير شيء في نفسي..
كما تغير شيء في نفسه. بعد أن رأينا كيف
وأصارحك بحق.. أن هذه أول مرة يهفو فيها قلبي إلى رجل..
فهو إذن الحب الذي يقولون عنه.

والتقينا بعد ذلك في أماكن عامة.. ثم في السينما.
ومرة بعد مرة بدأت أيدينا تتماسك في الظلام.. ثم بدأت
تسرح.. وأصارحك بأني كنت أشمئز من نفسي بعد كل مرة..
وأنظر إلى نفسي في المرآة وكأني امرأة أخرى لا أعرفها.. ولكن
الفضول إلى ذلك العالم المجهول الذي تحكى عنه روايات السينما
كان يجرفني جرًّا كأني منومة مغناطيسيًّا.

أصبح الحديث يتدرج إلى مواضيع بذيئة.
كنت أحيانًا وأنا أسمعك يتكلم أغوص في مقعدى من شدة
الخجل، ولكني لم أكن أمنعه من الاسترسال في بذائه.. كان في
أعماق قلبي جانب خبيث وضع فضولي يريد أن يعرف كل
شيء..

وهكذا وجدته يكلمني عن الجنس والحب بكلمات مكشوفة،

ربما لو كنت سمعت كلمة منها من رجل آخر لبصقت في وجهه.
كيف أصف لك نفسي؟.. كنت أسير وراءه كالعمياء.. وقد
تخدرت إرادتي.. ونام عقلي تمامًا.

ثم حدث بعد ذلك فجأة.. وبينما أنا في أعماق التخدير الذي
يشبه الحلم.. فجأة.. انقطع عني..
لم يعد يكلمني..
لم يعد يطلب مني ميعادًا.

لم يعد يقابلني.. ولم يعد حتى يبتسم في وجهي.
وجننت.. وطاش عقلي.

وأصبحت أنا التي أتهالك عليه وأطلب منه المواعيد، واللقاءات
في السينما.. وهو ينظر إليّ في شرود ولا يرد.

وفي اللقاءات المختلصة في الطريق العام.. وفي نزعات الظلام
على الكورنيش قاللي إنه يخاف عليّ.. ففي كل لحظة يمكن أن
تحدث مصيبة.. وفضيحة.. وهو يخشى عليّ.. ويخاف على سمعتي..
ثم هو يحبني، يحبني جدًا يعبدني، هكذا يقول.. ويريد أن يستأثر بي
ويختلي بي.. يريد أن يرى كل قطعة من جسدي ليتملى بجماله
المذهل.. تصور!

أنا أعرف أنك بدأت تلوى شفتيك اشمئزًا.. حسنًا.. أنا
أيضًا مشمئزة من نفسي.. ولكنها الحقيقة.. وإذا كان هناك أمل في

نجاتي فلن يكون إلا بأن أقول الحقيقة.. وكفاني كذبا على كل
الناس..
ولن ينجيني أن أخفي رأسي في الرمال كالنعامة وأخدع نفسي
وأدعي أن لا شيء قد حدث.

وسوف اختصر لك الحكاية.. فهو كان دائما يحدثني عن قريب
له موظف في الريف يسكن في فيلا وحده.. وأنه يجب أن
يستضيفنا.

وهكذا ذهبنا تحت شعار قضاء يوم في الريف، شعار برىء
جداً. وقام قريبه بواجب الضيافة كاملاً.. ثم خرج وأصبحت
الفيلا خالية إلا منا نحن الاثنين.

وما بقي من الحكاية تستطيع أن تراه في أي سينما في السبتية
يتكرر كل ليلة بين شكري سرحان وفاتن حمامة. أو أحمد مظهر
ونادية لطفى. أو كمال الشناوي وسعاد حسني.. إلى آخر هذه
التباديل والتوافيق في قصة واحدة لها ألف اسم.. قصة واحدة لها
ألف صورة في أحلامنا نحن بنات الـ ١٧ والـ ١٨، قصة ترددها
الإذاعة في كل أغنية. من أول: كفاية أصحى على شفايفك. تعال
يا لله في غمضة عين لشادية، إلى شوقي الشاعر الكبير الوقور
العظيم وهو يقول: ودخلت في ليلين فرعك والدجى.. ولثمت
كالصبح المنور فاك.. والمعنى يكسف طبعاً. يعني إيه دخل في
فرعها اللي زى الليل. والغنا على أيام جدتي وستي كان العن.

غنوة مثل: أحببها وأشبكها بميتين دبوس وأعض وأبوس. إلخ
حاجة تموت من الكسوف. ليلتي ليلتي ليلتي ليلتي ليلتي
بقولك كده عشان تعرف أن إحنا يا بنات ضحايا.. بنغلط.
لكن مش احنا وحدثنا الغلطانيين.. إحنا لانا ودان ولنا عينين. ومش
عايشين لوحدنا.. إحنا في مجتمع وبنتاثر بكل شيء فيه.
مش بقولك كده عشان أعذر نفسي. أبداً أنا عارفة إني
غلطت لكن عاوزة الصورة كلها تبقى واضحة قدامك.
نعود إلى حديث الصراحة. فأقول لك إن أثر هذا اليوم
المشهدود في نفسي كان عكسياً. نعم لم أشعر بالسعادة التي كنت
أرسمها في خيالي.

بالعكس. انهارت أحلامي واصطدمت بواقع الجنس، لذاته
ثوان معدودة، ثم بعد ذلك لا شيء سوى ملامح مقرزة. وقرف
حقيقي يتمنى الواحد أن يهرب منه بأسرع ما يمكن. واختصر لك
ما حدث أكثر. فأقول أن هذا كان آخر لقاء بيننا، حاول هو بعد
ذلك ألف محاولة ومحاولة العودة إلى نعمة: نفسي أركع لجمالك
وأتملى بكل ذرة من مفاتنك.. إلى آخر هذا المسرح. ولكني كنت
قد تحصنت نهائياً ضد هذا الهراء.

وأنا أشعر الآن أني لن أعود فأضعف وأتورط فيها لا أقتنع به،
ولكني أعود أحياناً فأشعر بالحيرة. لماذا تحدثنا الأغاني عن هذا
القرف في علاقة الرجل والمرأة. لماذا تكذب علينا الروايات.

فلا تأخذ من القصة كلها إلا الثلاث ثواني المعدودات إياها. ثم تقطع على منظر شاعري أكثر كذباً.. على شراع فضي سابح في النيل، أو زهرة يانعة أو عصفور يغرد أو شاعر يخرف. إذا كان الحب شيئاً رائعاً كما تقولون أيها المؤلفون. فلا بد أنه شيء آخر غير ما فعلته أنا.

نعم. أنا لا أستطيع أن أخدع نفسي. فما فعلته لم يكن حباً، وإن كان قد خيل إليّ في كل لحظة أنه الحب الذي لا حب بعده.. إنني أشعر بالحيرة ولاشك أنك تعرف أكثر مني في هذه المسألة. المخلصة أ.

* * *

في الكلمات التي قلتها صدق كثير. وإن كان صدقاً محزناً. فحكاية الحب الأول هي أكبر كذبه روجتها الأغاني والروايات. فالحب الأول لا يمكن أن يكون حباً حقيقياً.. فحب الـ ١٦ والـ ١٧ هو حب الفضول والرغبة أمام كل شيء.

مجهول تدفع نحوه الغريزة الفجة العمياء بكل ثقلها. إنه حب يخلو من عنصر الاختيار لأن الغريزة هي التي تختار. والخلوة هي التي تحدد.. الذي يظهر في شباب الجيران يتحول تلقائياً إلى موضوع الحب لمجرد كونه من الجنس الآخر.. لا لأنه فلان الذي يتصف بالشخصية الخاصة التي تحب.

والأغاني والروايات كما تقولين تشخذ الفضول وتصور

للثنتين جنة ساحرة خرافية وأكذوبة من المتع لا وجود لها. ولسان الحال يقول: «نفسى أشوف كل حنة في جسمك».. إنه الفضول الشديد.. الذي يتصور أن الجنة في كل حنة محجوبة. مجرد فضول تشريحي جسدي ودموع بدون مناسبة.. هذا هو الحب الأول.. الكذبة التي اكتشفتها بنفسك.

ولأنك عدت إلى طبيعتك السوية بسرعة اكتشفت أنه لا يمكنك أن تعيشي مستعبدة لعلاقة كل غرضها هذه الثواني المعدودة.. والحب الحقيقي لا بد إذن أن يكون علاقة يستمتع فيها العقل والقلب والروح.. وتكون العشرة البسيطة العادية.. وأحياناً حتى التواجد معاً في صمت له متعته العميقة الباقية.. انه التقاء كامل على جميع المستويات الإنسانية.. وليس مجرد ثوان في شقة.. الحب ليس فضولاً ولا اضطراراً، ولكنه وضوح وصراحة واختيار لا يجد الرجل فيه داعياً للتأمر ونصب الفخاخ لسحب رفيقته إلى شقة.. ولكنه ببساطة يتزوجها لأنه يجد أنه يحتاج إليها في عديد من الأغراض الإنسانية ليس لمجرد غرض واحد مدته ثلاث ثوان.

وطبعاً هناك بين الرجال والنساء من يعتقد أن الثواني القليلة من المتعة يمكن أن تكون هدفاً كافياً للحياة.. ومثال هؤلاء يمكن أن يعيشوا على مستويات خنزيرية يأكلون ويتضاجعون فقط، ولا هدف غير ذلك.. ولكن ما يمارسونه لا يمكن أن يسمى حباً،

ولا يمكن أن يكون الواحد منهم إنساناً سوياً.

وإنسان الكهف كان يعيش كالحيوآن.. وكان ينام من المغرب فلم تكن الكهرباء قد دخلت كهفه بعد.. ولم يكن يجد لعبة يلعبها طوال الليل سوى لعبة النسل. ومع ذلك فإنسان الكهف الأول كان يقضى وقتاً طويلاً يرسم على جدران كهفه.. حتى هذا الحيوان الأول كانت عنده لذات أخرى يبحث عنها.. وكان له وجدان وخيال.

والآن.. بعد مليون سنة هناك كهرباء وصناعة، ومسرح وسينما وتلفزيون، ومتاحف ومعارض وكتب وفن وفكر وعلم.. وعالم اللذة الإنسانية ازداد عرضاً وطولاً وعمقاً.. ولم يعد مجرد ثوان في ظلام الجرسونيرات.

الإنسان وصل إلى القمر. والكون كله قد انفتح أمام الإنسان بكامل كنوزه.. وجماله وأغازه.. وهناك لذات عظيمة متاحة.

لذة المعرفة.. ولذة الخلق.. ولذة الاختراع، ولذة السيطرة على الطبيعة بما فيها.. ولذة الجمال الفني.. ولذة الاكتشاف، ولذة المساهمة في قضايا عظيمة عادلة.. ولذة بذل الحياة في سبيل التقدم، وفي مثل هذا العصر الخصب باللذات يكون الإنسان الذي يعيش محصوراً في لذته الجنسية مستعبداً للثوانى المحدودة.. إنساناً مريضاً.

وكلامك عن الروايات والأغاني التي تركز على الحب الجنسي باعتبارها اللذة الوحيدة كلام في محله.. فهي تنقل للحياة صورة ناقصة جداً.. صورة خادعة.

واعترافك خطاب مفيد لكل من يمسك قلماً في بلدنا ولكل من يؤلف أغنية أو يكتب رواية.

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس في وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلي ببعض المال شهرياً.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمدانة.. وسمر وسهر.. وليلة تحييها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتقشف بشراب الكوكانيللى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يومياً.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. ثم بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله.. ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحفت سيارة المخدرات إلى الشفاه التعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعدت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر ثم ألبأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل باباً بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.

أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة. وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة وثقافة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لا بد أن يملأ الفراغ الذى بدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يوماً بعد يوم يجرب بعضها بعضاً فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. والمتع الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عيني مثل حياة المصحات.. مثل الطعام المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجناً غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدأ الحنين الخبيث إلى شلة الأنايس يسرق منى عقلى. لحظات اللهفة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس في وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلي ببعض المال شهرياً.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمدانة.. وسمر وسهر.. وليلة تحيئها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتقشف بشراب الكوكانيللى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يومياً.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. ثم بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله.. ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحفت سيارة المخدرات إلى الشفاه التعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر ثم أبدأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعدد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل باباً بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.

أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة. وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة وثقافة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لا بد أن يملأ الفراغ الذى يدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يوماً بعد يوم يجرب بعضها بعضاً فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. والمتع الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عيني مثل حياة المصححات.. مثل الطعام المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجنًا غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدأ الحنين الخبيث إلى شلة الأُنس يسرق منى عقلى. لحظات اللهفة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

أو كاريه آس.. قلبي وهو يدق دقائق الانتصار وأنا أكسب
التراييزة وأجمع الفلوس.. رأسى وهى تدوخ بطعم الكأس ودوار
المخدر.. والدردشة البذيئة المنطلقة من كل قيد.. والقهقهات
المخمورة التى تخرج من أعماق الأحشاء.. والسباب الذى يريح
الأعصاب ويفش الغل.. والفوضى، ولذة الفوضى.. والحرية ولذة
الحرية وانعدام المسئولية.. والإقدام على أى شىء.. حتى على
الخراب بدون حسيب ولا رقيب.

ولم أستطع المقاومة.

كأن عاشق الفوضى فى داخلى أقوى منى.

وعدت إلى الماضى الأسود.

وأصبحت أرجع كل ليلة إلى بيتى فى الثالثة صباحاً سكران
أترنح وأصبحت المشكلة مشكلتين والضجة ضجتين.. أنا وزوجتى
التى أصبحت تعيش محرومة من كل شىء.

ومرت الشهور.

نكد بالنهار.. وسهر بالليل وفشل يعقبه فشل أغرقه فى طوفان
من الخمر.. حتى جاء نهار لا أنساه.. حينما ضبطت خطاباً غرامياً
من شاب يقطن بجوارنا إلى زوجتى.. رسالة مليئة بالعبارات
السادجة والأشعار.. لكن يستدل منها على وجود علاقة فعلية بين
الشاب وبين زوجتى.. قرأت الرسالة ودارت الدنيا حولى
واشتعلت النار فى رأسى.. وأفقت.. أفقت لأول مرة.. وبكيت..

لاشك أننى كنت السبب فى كل هذا. وتركت الرسالة فى مكانها.. وبدأت أراقب زوجتى لأتأكد من
صحة ظنونى.

وعشت فى شك وعذاب.. وقد تأكد لى أخيراً أن ظنونى فى
محلها.. لم أكاشفها مطلقاً بحكاية الرسالة.. ولم أصارحها
بتصرفاتها، بل كتمت كل شىء فى نفسى وحاولت أن أملاً
حياتها.. وقاومت لأصلح من حالى.

وقررت أن أبدأ شهر عسل جديد فأخذتها فى إجازة شهر
بأسوان وفى هذه المرة نجحت.. وجدت السعادة التى افتقدتها
وجدت المتعة والاحترام والانسجام وراحة البال.. وطلبت منها
الصفح والمغفرة وبينى وبين الله ساحتها فيما ارتكبت.. لقد كنت
على يقين أن خطأها كان بسببى.

وتغير كل شىء فى حياتى وصفت لى الدنيا.

ورزقنى الله بمولودة كانت كل أملى فى الحياة.

وعشت شهوراً خمسة كأسعد ما يكون الزوج الأب، ثم
حدثت الكارثة.. أصيبت بنتى بشلل ثم ماتت بعد أيام من مرضها،
وقال الطبيب إنها ولدت غير مكتملة النمو بسبب ما كنت
أعطاها من خمر ومخدرات.. ونصحنى بعدم الإنجاب لأن نطفتى
ستكون دائماً ملوثة.

وعلى أثر ذلك أصيبت زوجتى بصدمة عصبية ثم رقدت طريحة

الفراش مريضة بقلبها، وقال الطبيب إنها أصيبت بروماتزم القلب، وإنها في دور متأخر من المرض ولن تبرا. وتحولت الحياة في البيت إلى مقبرة.

زوجتي لا تتحرك في فراشها.. وأقل مجهود يؤدي إلى حالة أليمة من اللهاث والسعال.

أحضرت لها خادمة لتخدمها.. ثم نشأت بيني وبين الخادمة علاقة ثم تعقدت الأمور فطردها.. كانت حالتي النفسية قد وصلت إلى درجة من اليأس ومن السوء لدرجة فقدت فيها عقلي.

وتفاقم مرض زوجتي وأصبحت معقدة، وعرضت علي أن أتزوج فتزوجت من أرملة لها طفل عاشت معنا في البيت.

وكانت النتيجة أن أصبحت المشكلتان ثلاث مشاكل زوجتي تنحدر إلى حالة من الحزن والهلم والألم النفسى يوماً بعد يوم.. وتتعذب بسبب زوجتي الثانية وما تلقيه على أسماعها من عبارات بذيئة ودعوات بالموت العاجل.

وزوجتي الثانية تخرج من التلميح إلى التصريح، فتطلب مني أن أطلق زوجتي المريضة أو أطلقها هي.

وأقول لها إنها على فراش الموت وإنها قاربت على نهايتها، فتقول إنها بسبعة أرواح، وإنها سوف تحصد أعمارنا كلنا قبل أن تموت.

وأنا حائر، تعبان من كثرة ما عانيت من المشاكل، كلما حاولت الخروج من مشكلة أقع في مشكلة.. حياتي أصبحت كابوساً فظيماً.. وحالي مثل حال غريق في الرمال المتحركة كلما حاول أن ينقذ نفسه غرق أكثر.. ولاشك أنك سوف تعذرنى في كثرة أخطائي فقد فقدت عقلي لكثرة ما عانيت في سنوات حياتي القصيرة.

هل تظن أن هناك مخرجاً؟

مهندس

م.ع

أنا لا أعذرك فقد فعلت كل ما فعلت بإرادتك واختيارك... وأنا إذا عذرتك لأنك فقدت عقلك.. فكيف أعذرك وقد فقدت ضميرك.. وكيف أعذرك وقد فقدت إنسانيتك وأنت حائر في مشكلة لا تدعو إلى حيرة أو تردد. وجه الحق واضح.. أن تطلق الزوجة الثانية.. وتقف إلى جوار زوجتك الأولى.. الشهيدة التي تحملت جحيمك وأنانيتك ونزواتك ومرارك وظلمك.

إن السؤال هو: كيف تزوجت عليها!

كيف واتتك الشجاعة أن تعذبتها وهي تموت بزوجة أخرى.

وما وجه المتعة بزوجة أخرى في مثل هذا الجو المفعم
بالتعاسة.

كيف تواتيك الشهية.. أم أنها شهية حيوان.

حتى الحيوانات لا تأكل الميتة.. وأنت تأكل الميتة.. ومهندس!
وموظف كبير!.. كمان!

الشك

سوف تدهش إذا قلت لك إنى أعيش بفكرة واحدة متسلطة
على عقلى صباح مساء.. فكرة تلح على رأسى كالكابوس.
قد بدأ هذا الكابوس من خبر فى ثلاثة سطور قرأته ذات يوم
مشثوم فى جريدة.. عن أحد أقسام البوليس الذى استدعى زوجاً
ذا مركز كبير ليتسلم زوجته المحترمة المصونة المكنونة صاحبة
العفاف بعد أن ضبطها فى منزل يدار للدعارة.

من هذا اليوم الأسود وأنا أتصور نفسى فى مكان هذا الزوج.
ولعلك تدهش أكثر إذا قلت لك إنى لم أتزوج لهذا السبب.
كلما فكرت فى الزواج تصورت هذا المصير الشنيع وأنا واقف
فى قسم البوليس أتصعب عرقاً أمام الضابط المختص، وهو يقرأ
على محضر اكتشاف وكر الدعارة وينادى زوجتى من التخشبية
حيث تجلس على الأسفلت مع المومسات.

صورة بشعة تطاردنى كلما فكرت فى الزواج من أى امرأة.
حتى ولو كانت ملاكاً.

أقول لنفسي إنى أخرج من البيت في الصباح الباكر
ولا أعود إلا في المساء، وعملي يقتضي أحياناً التغيب عن البيت
في سفريات طويلة.. والفراغ والوحدة والملل ومعاكسات شباب
الجيران ومطاردات الطلبة المتسكعين والكلمات المعسولة في
التليفون بعد منتصف الليل كقيلة بالقضاء على أى زوجة.
وقد تفتح الزوجة رواية لتتسلى وتبعد عن نفسها الضجر،
ويتصادف أن تكون الرواية من الروايات الجنسية الرخيصة
وما أكثرها فتجر رجلها إلى الهاوية.

وقد تدخل السينما فتقع في إغراء أكثر وأكثر.

واعذرنى في مخاوفي فعالم اليوم عالم بلا جدران.. فالصحيفة
تتسلل إلى بيتك من تحت عقب الباب، والمعاكسات تقفز إليك من
سلك التليفون، والإغراء يدخل إليك من التليفزيون.

وملابس النساء العارية أشنع.. إنها دعوة صريحة للعناق
بالحلال والحرام.. وأنت وشطارتك.

وزحام المواصلات يختلط فيه الحابل بالنابل ويساعد أى
صعلوك على بلوغ أغراضه وأكثر.. وإذا كان معك كارت وغمره
تليفون يمكنك أن تضعها في أى يد من تعجبك فتبلغ المراد من رب
العباد في ثوان.

وهناك ألف حجة وحجة للخروج من البيت.. الخياطة..
والكوافير.. ودكتور الأسنان.. والسوبر ماركت.. إلخ.

ولا يمكن أن يكون الواحد منا زوجاً وجاسوساً وضابط
شرطة، وسوف تكون النتيجة أن نعيش بالتكال ونخليها على الله
والنهاية معروفة.. إشارة من البوليس لتسلم الست التي ضبطت في
وكر للدعارة.. يا نهار أسود كيف تريدنى أن أتزوج.. مستحيل!..
إن سنى الآن ٣٥ سنة.. وإيرادى كبير.. ومنصبى كبير، وأنا
عز الطلب.. ونفسى أتجوز.. لكن مشنقة الشك فى رقبتي، وكابوس
الفضيحة والخزى والعار يلاحقنى.

أنا فى عذاب ولكنى لا أجد حلاً.. كيف أضمن أخلاق المرأة
التي سأتركها فى البيت وحدها وأسافر شهراً.. لا ضمان.. إذن
فلا زواج.. أعطنى ضماناً واحداً وأنا أتزوج الشيطان.

ك

* * *

أنت رجل عجيب.. لقد أضحكنتى والله العظيم.

أنت تقول إنك قرأت خبراً فى ثلاثة سطور عن الزوجة التي
أبلغ البوليس زوجها عن ضبطها فى منزل للدعارة فامتنعت عن
الزواج.. ومع ذلك يا سيد أنت تقرأ كل يوم عن أتوبيسات
تحترق.. وأتوبيسات تتصادم فتنهشم.. وحوادث شنيعة بالعربات
يموت ركبها وتكسر عظامهم.. تقرأ عن قطارات تخرج عن
القضبان.. وعن عمارات تنهار على سكانها.. ومع ذلك تركب
القطار.. وتنزاحم لتقفز على كرسي بالأتوبيس وتنام ملء جفونك

في عمارتك ولا تفكر في أنها قد تنهار.

أنت تقرأ عن السرطان المؤكد الذي يهدد كل مدخن.. ولكنك تشرب سجائر.. وأنا أحلف من شخصيتك العصبية أنك مدمر سجائر درجة أولى.

أنت تنقصك جميع الضمانات إذن ومع ذلك تغامر.. لا تعطيك شركة النقل العام ضماناً بسلامتك من حوادث الأتوبيس، ومع ذلك تركب في أي أتوبيس مع الشكر.. وتقف في طابور لتحجز تذكرتك في قطار الإسكندرية وأنت تدعو الله أن تجد تذكرة.. وطبعاً لن تحصل مع التذكرة على شهادة ضمان.

ضمان إيه إلی إنت جاي تقول عليه.. مفيش ضمان يا عم في أي حاجة.. ومع ذلك بنعيش وأنت كمان بتعيش.

حاول أن تكون عاقلاً في اختيارك لزوجتك.. ثم اتكل على الله واتجوز.. واللی يحصل يحصل.. إنت كمان مغسل وضامن جاني يا أخي؟!!

أما تبقى تحصل المصيبة إلی إنت خايف منها وتروح تستأجرت من قسم البوليس، إبقى قول لحضرة الضابط.. إبقى بتحصل في أحسن العائلات.. وطلع له الجريدة القديمة عشراً يصدق.. وبعدين امسح عرقك.. وطلقها بالثلاثة، أنت قبل الموت وعشت مع أنك عارف أنك حاتموت.. عشت تفكر مشاريع للمستقبل مع أن مستقبلك ومستقبلنا جميعاً في القرافة

ومفيش أشنع من الموت. ومن لم يرض بالخوخ بيرضى بشرايه.

والحياة مغامرة تحتاج إلى الرجل الشجاع. وهي في العادة تعطى نفسها وتعطى ثمارها للرجل الجسور الذي لا يهاب. وتأكد أنك لو تصرفت بشجاعة ورجولة فلا يمكن أن تخونك زوجتك، فالخيانة الزوجية مهانة للزوجة ومرمطة أكبر مرمطة لكرامتها، ولا يمكن أن تندفع الزوجة إلى خيانة زوجها إلا إذا فقدت كل أمل في بيتها ورجلها، وإلا إذا فقدت عقلها ولحسن الحظ ما زالت الزوجات الخائئات قلة وندرة وما زالت الفضيلة والإخلاص والوفاء الزوجي هو القاعدة.

ونشأت على هذه التربية الدينية والأخلاق الطيبة المسالمة
لدرجة أني أصبحت سخرية العابثين في المدرسة، يلقبوني في كل
مكان بالشيخ قفة.. الشيخ قفة جه.. الشيخ قفه راح.
ولكني لم ألتفت إلى السخرية ونذرت نفسي للدرس
والتحصيل والاستذكار إلى جانب واجبي الديني من صلاة وصوم
وقراءة قرآن، وكنت دائماً أنجح بتفوق وأتقدم زملائي في
الترتيب.. في أواخر هذه السنة وأنا منهمك في الدرس والمذاكرة..
مرضت والدتي بالحمى.. ولازمها المرض مدة حتى أقعدها في
النهاية بروماتزم مفصلي.. ومن يومها وهي لا تستطيع أن تعمل
أى شيء في البيت. وأخذ والدي يبحث لها عن خادمة تقوم
بشئون البيت.. وبعد الجهد والبحث المضني جاء لها بخادمة.. فتاة
في مثل عمري تقريباً.. جميلة جداً.

وبدأت الفتاة تباشر عملها في همة.. ودخلت في قلب أبي وأمي
وأصبح لها في البيت مكانة الابنة.. وخصتها أمي بأحسن المعاملة.
ولم أحفل بها في بداية الأمر.. فقد كنت كعهدي كل سنة..
أعطي التفاتى كله لدروسي.. ولكن الأمر بدأ يتطور.

كانت تدخل لترتيب غرفتي وأنا أستذكر في ساعة متأخرة في
الليل.. وتركع إلى جوار الكراسي متظاهرة بترتيبها، كاشفة في
خبث عن ساقبها.. ثم تنظر إلى بجانب عيني نظرة ضاحكة في
إغراء، ثم تتلوى على ظهرها لتمسح رجل الكرسي وتكشف لي

بعض ما كان يلقى في رجليه من قبلها.. ونشأت
أنت تقرأ عن السرطان المؤكد الذي يهدد كل مدخن
تعالج نفسك من قبله.. ونشأت الدخان في كل لحظة
بجوارك فقط لو لم يكن في رجليه.. لهذا
نذرت نفسي للدرس والتميز في كل شيء
أنا طالب في الثانوية العامة سني ١٨.. أقيم مع أبي وأمي.
وأعطيك وصفاً سريعاً للأسرة، فأبي رجل في العقد الخامس
من عمره، متدين جداً، يصلي الفجر حاضر ويصوم في غير أيام
رمضان ويسهر الليل يتلو القرآن. ويصادق الوعاظ في الجوامع
ويحفظ كلماتهم ومواعظهم ويطبّقها في حياته على نفسه وعلينا،
وينذر النذور للأولياء ويقيم الختائم لأهل الله. وأمي أكثر منه
تديناً، كل أول شهر تذهب بالفول النبات للست.. وعلى رأسها
الطرحة لا تفارقها.. والاثنان طيبان جداً لدرجة السذاجة
ومحبوبان من أهل الحي.. ويقصدهما الجميع للبركة والفوز
بالدعوة الصالحة والتوسط عند الله.

ولي أخت أكبر مني.. صالحة مثلها، تزوجت الآن وسافرت مع
زوجها لتقيم في أحد المراكز بالصعيد.

وأبي وأمي ليس لهما الآن غيري.. وهما قد كرسا كل حياتهما
من أجلى وربباني على الأخلاق الحميدة والدين الحنيف، والصلاة
والصوم والكلم الطيب.

جانباً آخر من ساقها.. وأنا أستغفر الله وأدفن نظري في الكتاب
الذي أطلعه.. فأنا بفطرتي الدينية أنفر من كل ما يغضب الله
وأبتعد عن كل ما يحرمه.. وكانت لي طريقة في المشي أنظر فيها
إلى الأرض وأغمض بصرى عن كل إغراء يصادفنى في الطريق.
ويبدو أن هذه الطريقة سببت للفتاة الغيظ.. ودفعتها إلى نوع
من التحدى فبدأت تتجراً أكثر في معاكستها.. وأخذت تعبت
بيديها في قدمى وهى ترتب ما تحت المكتب وتقرصنى في ساقى..
وكنت أنهرها بشدة.. وأشتمها.. فكانت تتكوم في ركن وتبكي،
وترفع جلبابها في خبث لتمسح دموعها فتكشف عن جسمها
واستغفر الله وأستعيد الشيطان.

وكنت أخشى أن أشكوها إلى أبى فأثير الظنون والريب..
وكنت أعرف في النهاية أننا في أشد الحاجة إليها.. وأن أمى طريجة
الفراش لا تتحرك. وأنى سوف أثير بذلك مشكلة بلا حل وأظلم
أمى في النهاية.

وسلمت أمرى لله.. وحاولت أن أحتمى من الغواية بالصلاة
والقرآن. واستثار الفتاة أنى أنصرف عنها بعد كل هذا فبدأت
تتفنن في أساليبها.

وفي إحدى الليالى جاءتنى لأصلح لها سوستة الفستان التى
انقطعت.. وطبعاً نهرتها بشدة وشتمتها.. ولكنى أعترف أنى
اختلفت نظرة إليها.. وفي تلك الليلة بكيت بشدة.. واشتعل

في جسدى لهيب عذبنى عذاباً رهيباً.. وظلت تلك النظرة المختلصة
شاخصة أمامى طوال الليل.. وتشتت مخى فلم أستطع أن أذاكر
حرفاً، وفكرت أن أقول لوالدى.

ولكن والدى لم يكن بالرجل الذى يقال له هذا الكلام..
ولا حتى نصف هذا الكلام.. إن التفكير - مجرد التفكير - يمكن
أن يكون عنده ذنباً أكبر.. والخيال يمكن أن يكون خطيئة عظيمة،
وأكثر الرغبات براءة هى عنده منكرات فظيعة بشعة.

وفكرت في حل أنقذ به نفسى وأنقذ به مستقبلى. هو أن أذاكر
عند أحد أصدقائى وأعود في وقت متأخر كل ليلة بعد أن يكون
الكل قد نام.

وبدأت في الحال.
وشعرت براحة نسبية. وإن كنت - وهذه هى الصراحة - لم
أف عن التفكير فيها لحظة واحدة.
كان هناك شىء قد بدأ ينهش مخى من الداخل أضراره
وبصارعنى.. ولكنى لم أفكر في عمل أى شىء.

كنت قد أصبحت مدنس الخيال.. ولكنى ظللت طاهر اليدين
إلى أن جاءت ليلة مشنومة.. أبى فيها بيت في الحسين في ليلة
مولده الكبيرة.. وأمى نائمة في فراشها.. وعدت أنا في وقت
متأخر من الليل من عند صديقى.. لأفاجأ بالفتاة نائمة في
فراشى.. وليرحم الله كل الخطاة.. وليتب على جميع المذنبين.

لقد سقطت من نظر نفسي منذ تلك الليلة إلى الأبد..
وليت الأمر وقف عند هذا الحد.. ولكن الفتاة اللئيمة بدأت
تستغلي.. وتستغل طبيتي.. فبدأت أساعدها في غسل الأطباق وفي
مسح الأرض.. تحت التهديد.. وانعكس الوضع فأصبحت هي
التي تأمرني.. وتهددني بالفضيحة خوفاً وضعفاً.. ثم بدأت تقول
لي.. لا أحد ينفع لك سوى.. لماذا لا تتزوجني، سأكون خادمك
إلى الأبد..

ويعلم الله أنني أنا الذي أصبحت خادمها منذ تلك الليلة..
وانقطعت عن المذاكرة وانقطعت عن الصلاة وأصبحت أكره
نفسي وأكره الدنيا، وتكرر اتصالي بها.. حتى كان - منذ أيام -
أن ضبطنا والدي معاً.

وأغمى على الرجل وأصيب بانهيار عصبي. وانقطع عن
الطعام، وانقطع عن الكلام.. وراح في نوبة من الاستغفار، ثم
تكلم أخيراً.. لا ليطرد البنت.. وإنما ليطردني أنا.. ابنه الوحيد.

وخرجت إلى الشارع أبكى.. ولم أجد بيتاً أنام فيه.
ولم أكن أعرف من العائلة إلا زوج أختي وزوج أختي
لا يكره أحداً في الدنيا كما يكرهني.. وهو رجل بخيل لا يفكر في
إطعام كلب.. وأنا حالياً أبيت في السينمات وفي الجوامع وعلى
كراسي الحدائق، وأحياناً على دكة في محطة السكة الحديد
واقترض القروش من أصدقائي لأشتري الخبز.

وأنا نادم مستغفر.. ولولا بقايا إيمان لانتحرت.. ولكن ماذا
كان يمكنني أن أفعل.. قل لأبي.. ماذا يمكن أن أفعل..
م. هاشم

أبوك ظلمك..

وهو معذور...

وهو لم يتخيل عذابك.

وهو لم يمر على المرحلة التي مرت بها، فهو غالباً كعادة آبائنا
تزوج في سن مبكرة، ولم يعرف أحكام المراهقة.. وخصوصاً حينما
يطاردها الإغراء.. وأى إغراء.

وكان التصرف السليم أن يطرد البنت ويستبدل بها خادماً
لا خادمة. فبقاء النار مع الكبريت بدون احتراق مستحيل، وفي
سن المراهقة وفي لحظة الإغراء تتغلب الطبيعة على العقل
والغريزة على الحياء.

هذه أخطار طبيعية في الحياة ولا نستطيع أن نغير الحياة ولكننا
نستطيع فقط أن نتجنب أخطارها وننظم رغباتها وحوافزها.
ونحن بشر ولسنا أنبياء.. ولا يجب أن نطالب بما يطالب به
الأنبياء.

والحكم التقليدي بأن الرجل دائماً هو الذئب المفترس والمرأة

هي الحمل الوديع والضحية.. ليس سليماً في كل الأحوال.

ولا شك أنك - يا شيخ قفة - كنت الحمل البوم وكبش الضحية وأنت كنت فريسة لا ذنباً.

وعلى أبيك أن يعود بك إلى البيت قبل أن تصبح الغلظة غلظتين، وغلظة الأب ستكون أشنع، إذ أنها ستشربك إلى مهاوى التشرد وستكون جريمة ضد المجتمع.. لا سنف واحدة مع فتاة.

الفرق بين الحرام والزواج

أنا فتاة وحيدة أبوي مع ثلاثة إخوة ذكور، وأنا الكبرى.. جميلة كما يقول كل من يراني.

كنت منقولة إلى السنة النهائية من المرحلة الثانوية التجارية وكان هو قد انتهى من امتحان الثانوية العامة، وفي انتظار ظهور النتيجة ويقطن في الشارع الذي خلف شارعنا، وكنت أراه وأعتبره طفلاً صغيراً، أو بمعنى أصح «عيل».. لكن الظروف جعلتنا نتقابل ونتحدث.. ولم أعده بشيء سوى الصداقة.. ووعدني هو بالزواج من أول لقاء، لأنه يحبني من زمان قوى كما قال.. ولم أحاول أن أجاريه.. لكن بعد ذلك وجدته قد تعلق بي إلى حد الجنون وأصبحت أنا كل شيء في حياته.

وبدأت أحس أني مسئولة عن ذلك ووجدتني أحبه وأجاريه في حبه وأتعلق به.

وظهرت نتيجة. وكان راسباً، ووجدته يائساً محطماً.. لا يعنيه في الدنيا سوى أمل واحد.. هو أن أقف بجانبه. المهم.. مرت الأيام وجاء العالم الدراسي الجديد، وأصبحنا

نتقابل كل يوم خميس بعد الانتهاء من الحصص وبدأت المشاكل من شباب الحى.. اشمعنى يعنى العيل ده.. وكل يوم مشكلة فى البيت، اشمعنى ده وبترفضى الدكتور والمدرس والغريب والقريب، ومع كل مشكلة أجده يائساً فأشجعه على المذاكرة فيقول لى: لن أستطيع المذاكرة إلا إذا عرفت أن أحداً لن يستطيع أن يأخذك منى.. وأكثر من هذا.. يطلب منى أن نتزوج سراً، على أن يبقى كل منا فى بيته ولا يعلم أحد بشيء.. ووافقته وافقته لأنى كنت أعلم أنه لو ظل طول عمره يتقدم إلى ما أجابه أحد إلى طلبه.. ولطردوه من على الباب.

وافقته وكلى إحساس بأنى سبب كل العذاب الذى يعيش فيه.. وافقته دون أن أفكر فى نفسى وما يمكن أن يحدث لى.. أردت فقط أن أسعده وأعاونه على النجاح.

وهكذا تم له ما أراد. وظللنا على حالنا لا يجمعنا سوى اللقاء فى أثناء الذهاب إلى المدرسة أو العودة منها.

وحدثت مشاكل فى مدرستى بسبب رؤيته فى الذهاب والعودة، وكثرت الإشاعات.. ولم أستطع أن أصرح بحقيقة علاقتنا. وفى يوم طلبت منى الناظرة أن أحضر ولى أمرى.

ولم أستطع بالطبع أن أقول لأبى حتى لا تنكشف الحكاية.. وحضر هو باعتباره زوجى وأحق بولاية أمرى.. وانتهت المقابلة

بسحب أوراقى من المدرسة لأنه لم يعد من حقى البقاء بها بعد عقد قرانى. وتحولت استمارة امتحانى إلى امتحان من منازلهم. وظللت مخفية كل هذا عن أبى وأمى إلى أن كان اليوم المشئوم الذى تطوع فيه أحد شباب الحى بإبلاغ أخى أنى لا أذهب إلى المدرسة.

وذهب أخى إلى المدرسة وعرف كل شيء، وكانت خناقة للسما ولكنى صممت على موقفى ولم أسمع كلام أهلى بطلب الطلاق.. ووقف الجميع ضدى.. وانهاى على أبى وأخى وعمى باهانتهم وضربهم ولاحقتنى أمى بدموعها، ووصل الأمر إلى درجة التهديد بقتلى ولكنى لم أتزحزح.

وأمام إصرارى لم تجد العائلة حلاً سوى الإذعان. وهكذا تم إعلان القران وحضر المأذون فى ليلة صورية على سبيل المظهر فقط.

وعند هذا تصورت أن المشاكل قد انتهت، والحقيقة أنها انتهت لتبدأ بسبيل من الأوامر.. لا خروج مع زوجى.. لا أراه ولا يرانى، وطبعاً لم يسكت زوجى ومع حقه وسلاحه.. وأيدته فى موقفه.. ووقفت فى وجههم مرة أخرى.

وأصبحنا نخرج معاً برغم أنف الجميع. وفى هذه الأثناء ظهرت نتيجتنا نحن الاثنين.. وطبعاً كانت السقوط بجدارة فى جميع العلوم.. ومن أين لنا بالعقل الذى نركز

به في المذاكرة ونحن وسط هذه المشاكل.

وركب زوجي الخوف.. وطالب والدي بالتعجيل **بالزفاف**..
ورفض والدي.. كيف يوافق على زفاف من زوج لم **يدفع** مهراً ولم
يقدم شبكة.. زوج مازال طالباً في الثانوى.
وكيف ندخل بدون جهاز.

وأصر زوجي على أن يدخل بي.. ووقفت إلى **جاتيه** ضد أهلي
جميعهم.. وكنت أقول لنفسي إن الظفر لن يطلع من **اللحم** وأنهم
بعه الزواج سوف يرق قلبهم لي حينما يروننى **سعيدة**.. حينئذ
سوف ينصلح كل شيء.

وقد حدث ماتوقعته.. فما لبثت أمي أن زارتني (كنت قد
انتقلت إلى شقة والده)، وأحضرت لي ملابس وهدايا عديدة من
أحذية ونقود ومصاغ..

وهكذا بدأنا حياتنا.. أو مأساتنا.

نعم.. فلم تكن تنتظرنا الأحلام الوردية التي كنا نتسجها نحن
الاثنين ونحن نتمشى على الكورنيش بعد الحمص.. وإنما كان
ينتظرنا الواقع المرير بما فيه من حساب **البقال** والجزار
والأجزجى، والأب يدفع ونحن ننفق.. وأنا حامل في الشهر الأول
وإن حالة قىء مستمر.. والأب والابن في حالة **خناق** مستمر..
الأب لا يريد أن يدفع.. والابن يشتم.. يشتم أباه.. ثم يستدير
ليشتمنى تصور.. يشتمنى أنا التي ضحيت في **سبيله** بمستقبلي

وسمعتي وعائلتي.. ثم لا يكتفى بأن يشتمنى بل يعتدى على
بالضرب.

وانتهت الخناقات المتصلة بأن انتقلنا لنعيش في شقة مستقلة
والتحقت بالعمل في إحدى الوزارات لكي نجد ما نفتات به.

لكن زوجي الحيلة.. طالب الثانوى بدأ يدمن الكيوف
والمخدرات وكأنه لم تكفه المرمطة التي مرمتني فيها.. وبتحريض
من أمه بدأ يلاحقني بالإهانات.. إنتى إلى خيبتيني.. وإنتى إلى
ضيعتى مستقبلي.. أنا إلى ضيعت مستقبلي؟!
تصور..!؟

وفي آخر خناقة بيننا أوسعني ضرباً ولطماً لدرجة تركت آثارها
في وجهي إلى الآن برغم مرور شهور.. ثم طردني من البيت..

والآن.. وقد بلغت قصتي نهايتها لم يبق لي شيء أفعله.
إنه لا يريد أن يطلقني.. ولا يريد أن يصلحني ومصيبتي أنى
أحبه برغم نذالته.

أقول هذا وأنا خجلى من نفسي.. ولكن ماذا أفعل في قلبي،
أفكر أن أشكوه لآخذ ولدى ولكنى لا أجد الجرأة على هذه
الخطوة.

ولا أتصور أنى أتقدم لمقاضاته في محكمة.. كيف أفعل هذا وأنا
أحبه.

أرجوك لا تلمنى فقد أخذت من اللوم والتأنيب والتهزىء
والضرب ما فيه الكفاية وما فوق الكفاية.

لم يرحم أحد عذابي ولم يشعر أحد أنى مجروحة وإنما لطمنى
كل واحد بكلمة زادت جروحي.

أنا أعرف أنه لا يحبني.. وأنه لم يكن يحبني، وإنما كان يجب
نفسه.

وقد ساعدته فى أن يتمادى فى أنانيته.. ثم أصبحت ضحية
أنانيته فى النهاية.. ولكن ماذا أفعل وقد حدث كل ما حدث
وانتهى الأمر.. ولم يعد بإمكاننا أن نغير الماضى.

«....»

نحن لا نستطيع أن نغير الماضى.. ولكننا نستطيع أن نغير
المستقبل.

إن الاستمرار فى هذا الزواج سوف يؤدى إلى مزيد من
الأولاد المشردين المعذبين فى بيئة كلها خناق.. ومزيد من
التضحيات بدون ثمرة وبدون نتيجة وبدون أمل فى هناء أو
استقرار.. والطلاق فى النهاية مؤكد.. فلماذا لا يكون الآن.

أنت تحبينه.. أنا عارف.. ولكن الزواج ليس فراش غرام..
الزواج مسئولية ولياقة وواجبات.

والزواج حق لمن يقدر عليه.. وليس حقاً لكل طالب ساقط
صايع.

حبنى وموتى فى الحب على كيفك.. ولكن الزواج له مؤهلات
ليس أولها الحب.. وإنما أولها القدرة على فتح بيت ورعاية أسرة
وتحمل واجب والاضطلاع بمسئولية.

وإذا كان كل التهزىء واللوم والتقريع والعذاب إلى شفتيه لم
يفتح عينيك على هذه الحقيقة.. فإن هذا له معنى واحد.. أنك فى
حاجة إلى مزيد من التهزىء.

إن الواقع لن يرحمك، فلماذا تريدني أن أكذب عليك.
لماذا تريدني أن أتخالف عليك مع الزمان ومع زوجك حتى
نقضى عليك باسم الحب.. وأى حب.. إننا لسنا أحراراً فى أن
نسمى أمراضنا حباً.

وما بك مرض، وليس حباً..

حينما نعشق الفشل والتفاهة (وزوجك حسب كلامك طفل
وعيل) فنحن مرضى ولسنا مغرمين.. حينما نحب الفقر والفشل
فنحن ناقصو عقل وناقصو عاطفة.

ولا معنى لأن ترتكبي هذه السلسلة من الأخطاء ثم تقولى لى
أرجوك ارحم عذابي ولا تلمنى.. ارحمى نفسك أنت أولاً واحفظى
نفسك من الانزلاق إلى مزيد من الأخطاء.

أما إذا كانت نيتك أن تشتغلى وتعولى البيه.. وتاكلى على

في حالة تحليق دائم ترفرف بين باريس ونيويورك وفيينا
ولوكسمبورج وإكس ليبان.. ذوقها فرنساوى وأخلاقها
أمريكانى، لا تسمع أم كلثوم وإنما تسمع الفيس بريسلى، ويغنى
عليها من داليدا، لا تستطعم «الملوخية» ولكن «المايونيز»..
لا تشرب الشاي فى الصباح وإنما «الكافيه أوليه»، لا تتحدث
إلا عن الزيارات القليلة التى ذهبت فيها مع أهلها لقضاء الصيف
فى الخارج.. فى فرنسا أو النمسا أو سويسرا.. ترقص الدوجو
دوجو.. البوجى بوجى.. والهولا هولاً.. إلى آخر هذا الشيكام
الذى لا أفهم فيه حرفاً.. تنطق الراء «غين».. وأنت مش
«سبوغ»، قاعد فاتح «الغاديو» على أم كلثوم، ياي بتشرب
ملوخية إيه «القغف ده»، دى حاجة زى الغيالة.. (الريالة)
سوفاج، يا تانت تعالى شوفى.. (تانت اسمها سكينه ولا بسه
طرحه).

إنت إيه ده بتمسك السكر (بتنطقه السوكغ) بإيدك.. إيه ده،
إنت اتعلمت فين. إنت بلدى أوى.. فيه ملقاط مخصوص علشان
«السوكغ».. إيه ده، إنت «فاتيجان» أوى.. (فاتيجان فى
القاموس يعنى متعب).

والقاموس هو الشريك الثالث الذى لم يعد لى غنى عنه..
فحديثها كله فرانكو أراب.. بين كل كلمة وكلمة عربى (عغيبى).
عشرات الكلمات أمثال، مانيفيك.. شارمونت.. أمور..

جا غدان.. حاغون.. فرير.. مشوار (دى معناها منديل) مش
المشوار بتاعنا. بتاكل عقلى من جوه..
وعندما تقول مون اموغ (يعنى يا حبيبى).. ركبى بتسيب،
باموت فيها لكن مفيش أمل، مفيش تفاهم، مفيش مستقبل..
مفيش حاجة واحدة بحبها هى بتحبها.

وأنا باستمرار فلاح انيورون (يعنى جاهل).
وأنا رجل محافظ مش ممكن أفكر أرقص معاها فى مكان عام
ولا خاص.. هى ما عندهاش مانع ترقص مع أصحابى..
وأنا بأكل الفول والعدس والعيش المملدن وأحبس بالشاي..
وهى عاوزة توست.. وأومليت.. والاكوك.. وروستو (من أنواع
اللحم المشوى ربنا يوعدك).

البنطلون (البتالون) الهيلانكا المحزق لبسها العادى فى البيت
طول النهار.. وتسريحة شعر فرنسواز ساجان، هى تسريحتها
المختارة (يعنى تسيب شعرها فوضى على قورتها).

تقرأ الموند وبارى ماتش والسوار، ولا تفتح مجلة عربية
ولا كتاباً عربياً.. تتكلم عن مصر كأنها سائحة وليست مصرية
مولودة فى أسيوط فى حضن الجبل.. حاتجننى.

كل يوم أقتنع وأزداد اقتناعاً أن حياتنا معاً مستحيلة. وكل يوم
أحبها أكثر وأعبدتها أكثر.

هل أقامر بسعادتي وأقتل عقلي ومبادئى وأطواع عواطفى
وأزوجهها (أنا مسيحي والجواز عندنا رباط أبدي). أحس
حالى بقت قطران (قطغان على رأى الست).

إسكندرية

أهغب بجلدك يا أموغ.
الحب ده حايوديك طوكغ.

...

...

...

...

...

...

اختطاف..

أنا من بلد الحضارات والحرية لدرجة الفوضى، أنا من لبنان،
ولكن قصتي بعيدة عن الحضارة والحرية كل البعد، وأمل في
اعترافى هذا إن لم أصل إلى نتيجة أن أكون قد نفست عن قليل
مما بنفسى الطافحة بالعلقم.

ولتدرك ما أعنى أعود لثلاث سنوات مضت حين أعلنت
خطوبتى لشاب من نفس بلدتى يقولون إنه عندما رأتى لم يبق
حب فى الدنيا، لأنه منحنى كل ما فى الدنيا من حب.. وكلف
أخواته أن يراقبني، فجاء التقرير عن سيرتى مما جعله يستमित
ليحقق أمنيته بخطوبتى.. وكنت لغاية ذلك الوقت لم أفكر
بالزواج، ولكن أهلى وأهله أقنعونى بأن أجرب، وبأن فترة الخطبة
للتعارف والتفاهم كفيلة بإقناعى.

وأعلنت الخطبة.. ولكن بعد الشهر الأول اكتشفت أنه ليس
بالضرورة أن يتفاهم وينسجم شخصان يقول الناس عن كل منها
الصفات الحميدة. وبما أن الزواج شركة يجب أن يكون طرفاها
راضيين منسجمين وهذا ما لم يحدث من طرفى فقد قررت أن

أفصم الخطبة ولا أفكر بالزواج مدة طويلة.. فرجوت أبي أن ينهى الأمور بسلام، ولكن الشاب المثقف المتعلم في أمريكا رفض أن يستمع وقال: «سأعتبر أنني لم أسمع شيئاً، وسأعرف كيف أجعلها تحبني».

ومضت السنوات الثلاث وأنا في محاولات يائسة، وكلما تقدمت خطوة وتباعدا أرسل وجهاء عائلته لأبي ليسأله عما يكرهني فيه، فلا يستطيع أبي ذكر صفات محددة وتعود (شعرة معاوية لمكانها). وأنا لا أستطيع أن أرفع صوتي أمام الرجال لأنهم سيعتبرون رفض شاب مثله لن يكون الا بسبب رجل آخر، وهذا غير وارد.

ولكنني صرحت للخطيب نفسه بأنني لن أتزوجه. فأجاب بأنه أهون عليه أن يقتلني أو يقتل أحد أفراد العائلة (إخوتي) الذين أحبهم من أن يتخلى عني، ويكفيني أنه يحبني وسيجعل كل إمكانياته لإسعادي.

لحد هنا والمسألة عادية ممكن أن تحدث في كل زمان ومكان. أما ما حدث بعدها فهو ما يكاد يفقدني صوابي.

كنت ذاهبة للسوق مع صديقة لي، وإذا بسيارة خطيبي الذي رددت له خاتمه وهداياه تقف قريباً، وإذا به يتوجه بالكلام لصديقتي: «هل تسمحين لي بمحادثة خطيبتى بمسألة هامة».. ولأنه لم يسبق لي أن خرجت معه وحدي خلال الخطبة الرسمية لمدة

ثلاث سنوات فقد تشبثت بصديقتي، ولكن موقفها أمام نظراته أصبح حرجاً فانسحبت على أن تنتظرنى بعيداً. (أشعر الآن بالحقد والكراهية والكرامة الإنسانية المهانة تتزاحم لتصور نفسها بكلمات من قلمي، ولكنني سأحاول كتابة الحوادث المجردة لأنني أعتقد أن قلمي أعجز من أن يعبر عن شعوري).

وهنا سحبني من يدي إلى السيارة بمنتهى القرصنة وانطلق بي هارباً خارج المدينة إلى ضاحية قريبة حيث أعد من أهله وبعض أقربائه الذين اعتبروا رفضي إهانة للعائلة الكريمة شهود زواج.. وهددني بأنني إذا فتحت فمي بكلمة أو قلت ما يخالف أقواله أمام الكاهن فسيشير لأحد المأجورين فيذهب لقتل شقيقى الأكبر (اقتلني أنا ولا تمس شعرة من رأسه بسوء)، وكنت في دوامة بل دوامات وتعطل عقلي عن التفكير وتبلد.

وهناك قال للكاهن إنني أحبه وهو يحبني وأن أبى يعارض الزواج وأنا فوق العشرين.

وتم الزواج.. لا، لم يكن زواجاً بل تم الاغتصاب بتحريض من أهله آل.. لا لن أظلم الحيوانات المسكينة بتشبيههم بها.. وكذلك وعدت أن أكتب بلا عواطف.. هل يمكنك تصور أو تصوير شعوري آنذاك.

لا أظن بالرغم مما أعرفه من بلاغتك.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال الأشاوش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولاية المفجوعة لم تستطع أن تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن زواجنا تم وأنا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين رجولته بالترامى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرفها ويدعى بأنه يجبهها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغثيان يمزقنى كلما أراه، فرؤيته تقترن بالرعب والاعتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عيني فلا أرى أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر الحاقدة وسأحبه كما يحبني.

أحياناً أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى كلها وأعيش كالآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولا اعتبارات عديدة أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دوامة، فهو مسكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره وبأننى سوف أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم أننى لم أذكر شيئاً عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى سأتركه، وإذا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله الذين دفعوه للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على الاغتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى تنزل فيه فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها طبيعياً، ففى العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه للمرأة باختطافها والهرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال سمشون زمان.. وكانت دليلاً لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا إذا سارع باختطافها.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال الأشاوش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولية المفجوعة لم تستطع أن تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن زواجنا تم وأنا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين رجولته بالتراعى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرفها ويدعى بأنه يجبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغشيان يمزقنى كلما أراه، فرؤيته تقترن بالرعب والاعتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عيني فلا أرى أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر الحاقدة وسأحبه كما يجبى.

أحياناً أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى كلها وأعيش كآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولا اعتبارات عديدة أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دوامة، فهو سكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره وبأننى سون أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم أننى لم أذكر شيئاً عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى سأتركه، وإنا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله الذين دفعوا للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على الاعتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى نزل فيه فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها طبيعياً، ففى العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه للمرأة باختطافها والهرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال شمشون زمان. وكانت دليلاً لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا إذا سارع باختطافها.

كان الاختطاف لغة رومانتيكية يتخاطب بها العشاق.
والغريب أنى فى زيارتى للقبائل فى جنوب السودان وجدت
بعض القبائل مازالت تمارس اختطافاً صورياً فى كل زواج، كجزء
من الشعائر التقليدية لعقد القران، فيقوم العريس على رأس شلة
من أصحابه باختطاف العروس فى يوم متفق عليه بين الطرفين.

ويحمل العريس عروسه بين الزفة والتهليل وهى تصرخ
وتلوى الحقونى.. الحقونى.. انقذونى من هذا الرجل.. أنا لا أريد
أن أتزوجه.. أعيدونى إلى بيت أبى.. الرحمة.. النجدة.. أنا أكره
هذا الرجل، يا ناس يا خلق هوه.. (طبعاً كلام كده وكده من
وراء القلب)، وتنتهى التمثيلية بقضاء العروس للأسبوع الأول
من شهر العسل معتكفة فى كوخها تسوق كل صنوف الدلال
والثقل على عريسها.. وفى آخر الأسبوع يصلحها عريسها بأن
يهدى إليها بقرة.. وبذلك تبدأ الحياة الزوجية الطبيعية.

وهذه التمثيلية تكشف عن اللذة الغريزية التى يشعر بها
الطرفان من عملية الاختطاف.

وأعتقد أن ما حدث لك لم يحدث بقصد جرح كرامتك وإهانة
أنوثتك.. وإنما هو بقية من هذه الغرائز البدائية واللذة الشمشونية
فى الاختطاف.. وهى لذة كانت تشارك فيها دليلة وتستمتع بها كما
يستمتع بها الرجل وكانت تعتبرها تشریفاً لها ولأنوثتها لا جرحاً
لها.

أذكر منذ سنوات فى لقاء مع سائحة أمريكية وكانت مليونيرة،
أنى سألتها عن الحلم الذى تتمناه.. وتصورت أنها ستقول لى إنها
تحلم بامتلاك جزيرة فى هاواى.. ولكنها قالت ببساطة، أتمنى أن
يخطبنى عربى جميل ويهرب بى على ظهر حصانه.
إن هذا الحلم القديم لم يميت إذن.

إنه مازال يعيش فى عقول بعض النساء.. كما إنه مازال يعيش
فى عقول بعض الرجال.

ورجلك لم يكن معتدياً.. وإنما كان عاشقاً.. صورت له أحلامه
وأحلام عائلته من القبضات.. أنه بخطفك سوف يبدو فى نظرك
ونظر أصحابه أكثر رجولة وأكثر حباً.

وأنا طبعاً أوافقك على أن هذه الطريقة الهمجية انتهى زمانها
ولم تعد تليق بامرأة عصرية ورجل عصرى.

ولكن ما دأب الفأس قد وقع فى الرأس على رأى العوام..
وما دمنا أصبحنا أمام واقع، الطلاق فيه يضر أكثر مما ينفع..
فلماذا لا ننظرين إلى المسألة بطريقة أكثر تفاؤلاً.. وتطرحين
عنك هذا الإحساس بالكرامة المهينة.. (وهو على أى حال
إحساس خاطئ كما ذكرت لك).. وتبدئين علاقتك مع زوجك
بتسامح وبقلب مفتوح.

ومن يدري.. فقد تثبت لك الأيام أن زوجك فارس فى حبه
وعشرته كما كان فارساً فى زواجه.. وقد تكشف لك الأيام عن

الزيجة التي بدأت بمنظر سينمائي إنها زيجة هائلة ناجحة..
إنك لن تخسري بهذه التجربة أكثر مما خسرت.
أعتقد أنه لا مانع من تجربة.

زوجي لا يغالني

أنا سيدة في الثالثة والعشرين من عمري، زوجي رجل في
الأربعين، تزوجنا منذ ست سنوات وأنجبنا طفلين.. بنت في
الخامسة وولد في الثالثة والنصف، زوجي لا يحمل أى مؤهل
دراسي، كل المؤهلات التي جعلته زوجاً لي هي ورشة ميكانيكية
وسيارة أجرة من موديل حديث يدران عليه دخلاً حوالى ١٩٠
جنيهاً في الشهر.

غير أنه يمتلك غير هذه المؤهلات مؤهلاً أكبر، فهو يملك أمماً
مسيطرة مفترسة لها لسان عقرب وهو يعبدها ويقدمها، ويمتلك أباً
ضعيف الشخصية سلبته الأم كل مقومات الحياة من شخصية
وصحة وشباب، فهو ليس أكثر من حيوان أبكم تأمره فيأتمر
وتنبيه فينتهي، فقد كان في شبابه عاملاً يدوياً في أحد المصانع
وتقاعد الآن بحكم السن طبعاً وليس له أى معاش.. ويمتلك زوجي
أيضاً اثنين من الاخوة، واحداً في كلية الطب له فيها ثمانى
سنوات وهذه سنة البكالوريوس التي لا أتوقع له الفوز فيها إلا
بالأقدمية.. والأخ الثانى في كلية الهندسة وهذه أول سنة ومازال

المشوار طويلاً أمامه ويملك أيضاً المصيبة الكبرى.. أختاً مطلقة لها خمسة أولاد، اثنان منهم في الثانوية العامة وطبعاً سيلتحقون بالجامعة في العام القادم، ولها ولد في السنة الأولى الثانوية، ولها ولد آخر لا يزال في المرحلة الابتدائية.. وهذا الجيش المكون من عشرة أفراد يأكلون الزلط ليس لهم أى عائل غير زوجي المحترم فالست أخته خاتمة وماضية أنها ما تاخدش من مطلقها نفقة لكى لا يطالبها بالبلاوى بتوعها.

سيدي.. لعلك تسأل الآن وما هى مشكلتى. أن هذا الجيش الهائل هو مشكلتى.. إن مصاريهم تبتلع أكثر من ثلاثة أرباع دخل زوجي.

وكان يمكن أن أحتمل لو أن زوجي بنى آدم، ولكن للأسف أنا بمنتهى الصراحة متزوجة من حيوان لا هم له إلا العمل لكى يستطيع أن يفى بطلبات هذا الجيش.

تصور يا سيدي أنه يخرج في التاسعة صباحاً فلا يعود إلا في الحادية عشرة مساءً.. أربع عشرة ساعة في اليوم أقضيها في الفراغ والضياع والثرثرة مع الجيران في كلام فارغ.. وأخيراً يعود في منتصف الليل محطماً مرهقاً ليلقى في فمه ببضع لقيمات لا يعرف لها طعماً، ثم يذهب لينام كالقتيل.

تصور يا سيدي أنه لم يبد إعجابه يوماً بما أصنعه له كل يوم من أكل وحلوى وخلافه! تصور ولا تحسب أنى أبالغ، إنى لم

أسمع فى حياتى إلى الآن كلمة حب واحدة حتى ولا فى أيام الخطبة.. كل ما أعرفه عن الحب أقرؤه فى القصص والمجلات، فأنا لم أجربه فى حياتى قط فقد تزوجت وأنا فى السابعة عشرة، وبالرغم من أنى كنت فى المدرسة الثانوية قبل الزواج إلا أنه لم تتح لى فرصة الاختلاط فى يوم من الأيام، فعائلتى محافظة جداً، والحب فى عرفها عار يا سيدي أن زوجي لا يعرف أن يتكلم فى شىء فى الفترات القصيرة التى يقضيها فى المنزل غير السباب بالفاظ بذيئة فهو لا يكف عن سب أبى وأمى بدون أى سبب سوى أنه رجل معقد عنده شعور عنيف بالنقص. فعائلتى على النقيض من عائلته.. أبى رجل لم يبلغ بعد الثالثة والأربعين ذو شخصية فذة ووالده رجل عديم الشخصية وهو رجل موسر يملك مصنعاً ومحلاً لبيع أدوات الرياضة.. أنا أعرف أنه يقارن دائماً فى خياله بين والدى ووالده، ولكن ما ذنبى إذا كان الله قد خلق أبى وأباه على طرقي نقيض.

أما معاملته لى فلا أستطيع أن أصفها يا سيدي فقد عشت طوال الست سنوات الماضية فى معركة عنيفة وحرب أعصاب لا تنتهى، فأنا أحارب لكى أستطيع أن أحتفظ به. وعائلته فى الناحية الأخرى تحارب حرباً أعنف لكى تسترده، فهو فى نظرهم دجاجة تبيض ذهباً فعندما زوجه كانوا فاهمين أن الحكاية مش حنطول ولما طولت فهم لا يكفون عن تسليطه على ضربى وإهانتى. أما هو فهو يطيعهم طاعة عمياء وهو أيضاً يخاف إن

المليونير

برغم أن الأمر محرج ومربك فإنه مضحك. فلم يكن يخاطر ببالي أنى أصبح هذه الأحدث، وأن حياتي الطيبة ستتحول إلى سيرة في الجرائد، ولكن عذابي فاض بي ولا بد أن أتكلم. كنت مدرسة بإحدى المدارس الخاصة ولم أكن أحمل شهادة تربوية تؤهلني للعمل بمدارس الحكومة وبرغم أن مرتبي كان ضئيلاً فإن حاجة أهلي كانت تجبرني على هذا العمل غير المجزى. ثم تعرفت عليه:

مدرس بمدارس المرحلة الأولى.

كان منطوياً وهادئاً ومنتزويماً.. وكانت كل تصرفاته وحركاته تثير الإشفاق.

وعندما بدأت علاقتنا تنمو أوضح لي سبب انطوائه وعذابه. فأهله من كبار الأغنياء بالصعيد يمتلكون مئات الأفدنة غير الفيلات والعمارات وحسابات البنوك والأسهم والسندات والتليفونات الخاصة والسيارات والأراضي البور والأراضي المهتربة. وهو يكره المال ويكره الغنى والأغنياء.

وأعجبني فيه زهده عن كل المظاهر واعتماده على نفسه واكتفاؤه بمرتبته البسيط، وكفاحه وحده دون معونة من أحد من أهله المعقدين «على حسب رأيه هو». ولن أطيل عليك.

تمت الخطبة. ثم عقد القران.. ثم سافرت إلى بلدتهم لأول مرة.. إحدى قرى مركز ديروط.. وبدأت تتضح أمامي معالم المأساة. اكتشفت أن حبيبي وزوجي وشريك حياتي والرجل الذي تركت عملي من أجله «دون كيشوت»، يعيش في الأوهام.. وكل كلامه فشر في فشر.

فهو يتوهم أنه يملك وأن لديه فدادين وأراضي منهوبة وعمارات مسروقة.. وأن المباحث العسكرية تسعى لكشف أرض هربها.

وهو في الحقيقة والواقع رجل عادي، أهله ناس فقراء فيهم الطيبون وفيهم اللصوص.. وهم جميعاً على فقرهم ولصوصيتهم يحتقرونه ويكرهونه ولا يميلون إلى مجرد السلام عليه. ولكن كل يوم يمضي اكتشف الأعاجيب والروائع من أمره. فهو مصر على كذبه.. أحياناً يتوهم أنه مخترع كبير خطير الشأن ويتصرف على هذا الأساس، لدرجة أنه يجلس ليقص على

الغرباء من أصدقائه كيف أنه أطلق صاروخاً بمفرده، وكيف أنه كلف بمراقبة منطقة ديروط الشريف.. وأحياناً أخرى يتوهم أنه مكلف بمهمة سرية لا يجب أن يفصح عنها، ويظل يستشير الآخرين ليسألوا عن طبيعة هذه المهمة.

أحياناً يجلس مع الغرباء ليقص عليهم تفاصيل قيامه بإصلاح قطعة أرض تكلفت آلاف الجنيهات مما أثر على رصيده في البنوك. واستبد به الهوس في إحدى المرات فطلب من فتاة صغيرة أن تحضر إليه في أمر خاص.. وفي أثناء خلوتها صرخت الفتاة.. وكانت فضيحة انتهت في نقطة البوليس.. ولقد قام رجال الشرطة بالواجب خير قيام.. ومازالت آثار هذا الواجب بصمات موجودة على وجهه.

حاولت أن أمنعه عن هذه التصرفات. حاولت أن أفهمه إن الفقر ليس عيباً ولكن العيب هو هذه التصرفات المخجلة المثيرة للسخرية.

ولكني فشلت. حاول ابن عمه أن يوضح له حياته وحياة العائلة كلها وسخرية الناس بهم بسبب تصرفاته ولكنه فشل.

ومنذ دقائق أفهمنى.. أفهمنى أنا زوجته.. بأنه ربما يزرع هذا العام ستين فداناً من القمح.. برغم أن ملكيته لا تزيد عن نصف فدان.

أحس أنه سيضيع وأشفق عليه وأحاول أن أصدقه ولكن محاولاتي دائماً تبوء بالفشل.

ثم.. ألا يوجد حل آخر غير الطلاق.

المخلصة الحائرة

س أ.

إن الحل ليس الطلاق أبداً.

الحل عند الطبيب وفي المستشفى المتخصص.. فهذه حالة عقلية في حاجة إلى عناية طبيب عقلى أو نفسى.. ودورك هو الوقوف بجانبه في هذه المرحلة العصبية، وليس التفكير في الطلاق منه.. فهو مريض.. وله حق المريض وليس وزر المخطئ.

حاولت أن أمنعه عن هذه التصرفات. حاولت أن أفهمه إن الفقر ليس عيباً ولكن العيب هو هذه التصرفات المخجلة المثيرة للسخرية.

ولكني فشلت. حاول ابن عمه أن يوضح له حياته وحياة العائلة كلها وسخرية الناس بهم بسبب تصرفاته ولكنه فشل.

ومنذ دقائق أفهمنى.. أفهمنى أنا زوجته.. بأنه ربما يزرع هذا العام ستين فداناً من القمح.. برغم أن ملكيته لا تزيد عن نصف فدان.

المطلقة

هل يستطيع الإنسان أن يعيش بعيداً عن هذا المجتمع وتنحصر حياته في أن يأكل ويشرب وينام وينتظر يوم وفاته.. أعتقد أنها تصبح حياة جوفاء ليس لها معنى ولا هدف تشبه إلى حد كبير حياة الحيوانات.

إنه لن يحتمل الحياة بهذه الطريقة مدة طويلة وفي النهاية إما أن يموت أو ينفجر أو تختل قواه العقلية، وهذا ما أردت أن أكتب لك فيه قبل أن تصيبني إحدى هذه الحالات.

وسوف أختصر لك القصة فأقول لك إنى فتاة مطلقة. وحياة المطلقة عندنا مشكلة.. ليست مشكلة خاصة ولكنها مشكلة عامة.

إنها دائماً موضع همس من الجميع.. من الأهل والأصدقاء والأقارب.. حتى من يعرفون ظروف طلاقها لا يرحمونها بنظراتهم وألسنتهم، يستقبلونها ويشيعونها بمصمصات من شفاههم.. وكأنها مجرمة أو مشبوهة.

لا أحد يغتفر للمطلقة أنها طلقت.

والألن من ذلك أنها تصبح موضع طمع من كل رجل.. كل رجل يعتبرها فرصة وصيدة.. ووسيلة سهلة للإمتاع بدون مسئوليات.. وليلة طريفة يذهب بعدها كل واحد إلى حاله.. فليس من المتوقع أن تطالب المطلقة صاحبها بزواج.. ولا حق لها في ذلك فهي مطلقة.

وهكذا تكثر حولها الذئاب يتقربون إليها في البداية بزعم الشفقة والعطف.. ثم يظهرون سخطهم على هذا الزوج الأعمى الذى لم يقدر المواهب.. ثم يدعون الحب.. والحنان.. والغرام الملتهب الذى يمنع النوم عن الجفون.. ثم تنتهى الأنشودة الرقيقة بالهدف النهائى. وهو دائماً ليلة رخيصة مضمونة بعيداً عن العيون في شقة مغلقة بالضبة والمفتاح.

هذه هى المشكلة بصفة عامة.. وسأسرد لك بعض التفاصيل لعلك تستطيع أن تهدينى برأى.

كنت فى بداية حياتى فتاة متفائلة.. مرحة.. طموحة.. متفوقة فى دراستى. ولكن ليس لى رأى بحكم تسلط أبى المتزمت المحافظ فى تربيته.

وهكذا أكملت تعليمى الجامعى، وانتهت حياتى يوم أن تخرجت فقد رسم لى أبى بقية الطريق.. وكان لا بد أن أتزوج من الشخص الذى اختاره لى.

حاولت المعارضة ولكن إصرار والدى ووقوف الجميع ضدى

انتهى بي إلى الإستسلام والإذعان للأمر الواقع.
والظاهر أنه كان هناك ضغط مماثل على الزوج لأنه كان يجب
فتاة أخرى.. وكان على أن أواجه حياة شاقة.
والواقع أنها كانت حياة شاقة على كلينا.. ومالبثت أن
أصبحت جحيماً.. ولا تهم التفاصيل.. فقد انتهت الحياة الزوجية
الفاشلة وعدت إلى أهلي وحصلت على الطلاق.. وتزوج هو في
الحال من صديقه القديمة.

وهنا بدأت المشاكل.. وكان على أن أواجهها.
أول صدمة واجهتني عندما ذهبت لتغيير بطاقتي الشخصية
لتجديدها.
وكان التغيير هو أن أشطب كلمة متزوجة وأكتب مطلقة.
وسلمت الطلب للموظف المختص فقرأ البيانات.. ثم طلب
منى الانتظار حتى ينتهي مما في يده، ثم قدم لي كرسيًا لأستريح،
فقلت في نفسي.. ابن حلال شاهدي أقف وحدي في طاوور كله
رجال فأراد أن يريحني.

وبعد فترة طلبت منه أن ينتهي بسرعة.. فقال.. ولماذا هذا
التسرع سأنتهي من عملي في الثانية.. ويمكننا الخروج معاً،
تصوراً!

موظف هلفوت يعاملني كفتاة كباريه لمجرد أنني مطلقة.
وطبعاً شتمته وأخذت أوراقى بسرعة والدموع في عيني.

وأخذت أتساءل في الطريق.. هل كل مطلقة تصبح موضع
طمع من الرجال.
وبدأت أكره الناس وأتجنب الجلوس في المجتمعات.. وأتجنب
الأهل والأصدقاء والأقارب، حتى النادي الذي كنت أقضى فيه
أوقات فراغى في الرياضة حرمته على نفسي.

وكان الجميع يعرفونني بروحى المرحه التي لم أكن أخص بها
أحدًا، ومع ذلك بدأ يتودد لى صديق خيل إليه أني أخصه بهذا
اللطف وبدأ يلاحقنى بإعجابه.. وفي إحدى المرات وهو يوصلنى
إلى منزلى كشف عن نيته وهدفه.. وكانت النتيجة أن هجرت
النادى وتركت الرياضة التي أحبها علماً بأنى أستطيع أن أحمى
نفسى.. ولكنى أكره الفكرة نفسها.. وأتصور هذه العيون التي
تخلق في جسمى فأضيق بجسمى وبنفسى وبالدينا.

عشت بعد ذلك حياة منعزلة منطوية.. أقضى اليوم في العمل
وبعد الظهر في حجرتى أقرأ وأطالع الكتب وأسهر أمام
التليفزيون.

وهكذا مر على عامان وأنا على هذا المنوال.. وبدأ الملل يزحف
إلى نفسى.. وأصبحت لا أهتم بمظهري وسمت القراءة.
لا جديد في حياتى يجعل لها هدفاً أو طعماً.

وحتى هذه الحياة الرتيبة المملة لم تخل من المنغصات.. أرى
نظرات الشفقة في عيون أهلى فأضيق بنفسى وبالبيت.. السلوى

الوحيدة أراها في إخوتي الصغار الذين أبدل لهم رعايتي.
حبي الوحيد الذي غمرني صغيرة وكبير معي.. فقدته.
كان حبا نزيها بعيدا عن الأغراض.
بذل كل ما في وسعه للزواج بي.. ورفض والدي.. وكان رفضه
غير قابل للجدال.

عرض عليّ الزواج برغم إرادة والدي ولكنني لم أوافق خوفاً
وضعفاً.. وأخيراً فوجيء بزواجي وافترقنا عامين.
وعندما علم بطلاقي عاد إليّ وكسب ثقتي.. واعتقدت أن
مشاكلي قد انتهت وأن الحياة ستبتسم لي من جديد وسأنعم
بالسعادة التي حرمت منها سنتين.

ولكن تصور.. لقد رفض أهله فكرة زواجه بي لأنني «مطلقة»
وهم الذين يعلمون تمام العلم قصة حبنا.. وقصة زواجي الخائب
الذي لم يدم سوى خمسة شهور.

ولكن.. أين ذهبت شخصيته هو ليقول لي هذا الكلام.. وهل
هو في احتياج لأخذ رأيهم لولا أنه هو نفسه غير مقتنع بالعودة
إليّ والزواج بي لأنني مطلقة.

إنه يريد أن يبرر التراجع أمام نفسه ويجد لنفسه عذراً..
ثم يتكلم عن الحب الذي لم يمت في قلبه.. وعواطفه المتعلقة
بي.. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه العبارات المحفوظة.

وفهمت في النهاية أنه يريد أن يبادلني الحب فقط.. بلا
مسئوليات.. بلا مشاكل.. لا يادكتور مصطفى.. أنا لا أتصور
أبداً أن أنزلق إلى هذا المستوى فأعاشر رجلاً للحب فقط.
أنا لم أكن يوماً لعبة يلهو بها رجل ثم يرميها بعد أن يزهد بها.
لا.. إن لي كرامة أَدافع عنها بكل الوسائل.. ولو حبست
نفسى في غرفة مغلقة.

لقد رأيت زوجات يتسترن وراء الزواج ويبحن لأنفسهن
علاقات متعددة بحجة أنهن غير سعيدات في زواجهن.. هذا لأن
المجتمع يعطى احترامه للمرأة المتزوجة مهما فعلت.

وأنا لا أقبل بالمرّة وضعاً كهذا.

إنى قلقة نائرة.. أبكى لأتفه الأسباب.

أصبحت حساسة للغاية.. تجرحني أتفه كلمة.. وأخشى أن
يتبرم بي أهلي.. كما أخشى الوحدة.

ألا يوجد مكان في مجتمعنا لامرأة لا يحميها رجل.

لم أعد أستطيع الذهاب إلى السينما وحدي.. لكثرة العيون
التي تحمق في.. أصبحت كل المتع محرمة عليّ.

تجنبت المجتمعات وأغلقت بابي.. فإذا بالوحدة أقسى عليّ من
كل المجتمعات.. عقلي يعذبني، قلبي يعذبني.

كيف تستمر الحياة مع امرأة مثلي.

أريد منك نصيحة.. علماً بأنى لست على استعداد للدخول في
أية تجربة. لأحس نفسي محترقاً كغيري لا أريد أن أكون كغيري...»

رسالتك صادقة جداً بدرجة مؤثرة.

ولكن مشكلتك ليست يائسة بالدرجة التي تتصورينها..
أنت تتصورين أن أخلاقك التي لا تقبل أى علاقة حب بدون
زواج.. تتصورين أن هذه الأخلاق سوف تحرمك من تحقيق حب
شريف مع رجل يكون شريك حياتك وعمرك.. لأن كل الرجال
في تصورك طلاب متعة مثل موظف البطاقات الشخصية إياه!!!
وهذا تصور غير صحيح.

فالكثير من الرجال يبحثون عن أخلاق مثل أخلاقك
وشخصية مثل شخصيتك.

وعزلتك وانقطاعك عن ارتياد المجتمعات والنادى أكبر جناية
تجنيها على نفسك.

فوسيلتك الوحيدة للعثور على رجلك، هي التعرف على
المجتمعات.. والاختلاط الطبيعي في ظروف صحية.

دعى سوء الظن وابدئي الحياة.
أنا أتخيلك من رسالتك امرأة ناضجة مكتملة العقل ذكية
وحساسة وفاضلة.

أنت مطلب عزيز يتمناه كل الرجال.

الحب والموت

لا أستطيع أن أحكى لك حياتي كلها.. فهي تحتاج إلى
مجلدات.

منذ كنت في السابعة من عمري حرمت من التحرك من
الفرش من اللعب والضحك والشيكولاته والأكل الذى أحبه.
لم أكن أعرف السبب.. كنت أتالم وأتعذب.. إخوتي يلعبون
ويضحكون وأنا طريحة الفراش.

أبى رجل غنى ومركزه مرموق وأمى سيدة متعلمة.. وكل شىء
أتمناه فى متناول يدي ولكنى لا أطوله.. صحتك يا فاتن.. عشان
صحتك يا حبيبتي.. لما تخفى يا حبيبتي.. خليكى نائمة يا حبيبتي
حياتي سفوف وأقراص وحقن ومراهم ولزقات.

والأطفال حولي يلعبون ويمرحون ويأكلون كل ما تشتتبه
نفوسهم وأنا نائمة مثل عروسة لعبة يسبلون لها عيونها فى
فراشها.

عرفت أن عندي روماتيزم فى القلب.

لم تكن الحالة خطيرة.. ولكن أنت تعلم أن الشفاء مستحيل من هذا المرض اللعين.

أصبحت أكره الدواء.. وأكره العطف.. فهو عطف يذكرني بمرضى على الدوام.

أبي يعطيني من الجنان فوق طاقته.. وأمي أكثر.. ولكني أريد أن أحيي كأي طفلة في هذه السن بدون محظورات.. بدون قيود. عملت عملية وأنا في الثالثة عشرة، ونجحت العملية واشتغل صمام من الثلاثة صمامات الفاسدة.

وفي الخامسة عشر عملت عملية أخرى لم تنجح كل النجاح. ولكن حالتي كانت قد تحسنت كثيراً وبدأت أعيش ولكن بإحساس أن أيامي معدودة، وأنه عاجلاً أو آجلاً سوف تعود الصمامات إلى سالف حالها ويمد لي الموت ذراعيه.. وأنا في إجازة ربما تكون شهوراً وربما أسابيع، فسحة محدودة ألعب فيها.. ثم يعود المرض اللعين فيضعني في فراشي من جديد.

وكان طبيعياً أن أتزوج من أول خطيب يتقدم لي، فأنا أريد أن أعيش.. وكان طبيعياً أن أحبه حب عبادة، فهو فرصتي الوحيدة لأدخل دنيا وأرى دنيا. كان ضابطاً.. وكان يعرف كل شيء عن مرضى. ولم أجد النعيم الذي كنت أتصوره، بل عشت في جحيم العن

من الموت. فأنا بحكم مرضي لا أستطيع أن ألبى كل رغبات زوجي الجنسية فهذا خطر على حياتي.. وهو بصحته وشبابه لا يقوى على تحمل هذا الوضع.

وهكذا انتهت الحالة به إلى إدمان الخمر والمخدرات ومصاحبة النسوة الساقطات.. وكنت أرى هذا بعيني وأتعذب، ولكني أنا السبب، فقد قبلت الزواج برغم معارضة أهلي وبرغم تحذير طبيبي المعالج.

حاولت بكل الطرق إصلاحه دون فائدة. انحدرت حالته أسوأ فأصبح يأخذ حقن المورفين.

عشت شهوراً طويلة أتمنى طفلاً. ثم حدث بعد هذا أن سافر في مهمة حربية.. حمدت ربنا أنه سيعيش في جو نظيف بعيداً عن إخوان السوء.. واكتشفت بعد ذلك أنني حامل فتضاعفت فرحتي.

أخيراً سيكون لي ابن. سوف أموت، ولكن سيكون لي ابن يقول «ورحمة ماما». وسأكون ذكري غالية باقية عند إنسان عزيز.

وبعثت إلى سالم أقول له إني حامل.. فرح ولكن أرسل يقول لي: إذا كان خطراً على حياتك لازم تسقطي نفسك.. ولم يهمني برغم علمي بأني لا بد سأموت عند ولادتي.

وقبل الولادة سمعت أن سالم مات نتيجة انفجار ذخيرة حية
أثناء أحد التدريبات.

وأقول لك الحقيقة فرحت فيه.. فهو قد حطمني وحطم أنوثتي
وكرامتي.. وكان دائماً يقول لي متى أستريح منك ومن مرضك.
وكان يخونني أمام عيني.

وغرقت في شرب السجائر «أكثر من ٤٠ سيجارة في اليوم»
ولم أعد أهتم بشيء.

لا يهم أن أموت.. فعندي ابني الآن وعندى سبعون فدائناً من
أحسن الأرض ومعاش ٨٠ جنيهاً وفيلا وعربية.. وقد عملت
أيضاً بوليصة تأمين بـ ٣٠ ألف جنيه.. وسوف يعيش ابني إذن
عيشة ملوك ولن يحتاج لأحد.. وسوف يذكرني طول عمره
بالخير.

وولدت في الإسكندرية.. كان معي في حجرة العمليات دكتور
القلب وطبيب أمراض النساء.

ولم أشعر بشيء.. فقد خدروني قبل الولادة.

ولم أمت.. تصور.. لم أمت.

وجاء طارق إلى الحياة.

كل شيء خطر. لا يجب أن أخرج.. لا يجب أن أسهر.

وأغدقت عليه من الحنان والحب والرعاية مالا يحلم به طفل.

وطبعاً بدأ الأطباء يضيقون عليّ بتعليماتهم.. كل شيء ممنوع،
لا يجب أن أكل.

ولكنني كنت تحولت تماماً إلى امرأة جديدة بعد أن رأيت معجزة
ولادتي أمام عيني.. ورأيت ابني ورأيت نفسي وأقوم من ولادتي
سليمة جن جنوني.

رحت آخذ الحياة كلها بالحضن.. ورحت أعيش بملء القلب
والعين.. أرملة مرحة بكل ما في هذه الكلمات من معان.. انتقل
مثل الفراشة كنت أعلم أن عمري قصير وأن أيام سعادتني
محدودة، فرحت أطير من زهرة إلى زهرة في محاولة لنسيان الماضي
الكئيب وآلامه.

هذا مهندس، وهذا محام، وهذا ضابط.

بالطبع كنت أعلم أن لا أحد من هؤلاء الرجال الذين
أصاحبهم يجبنني بصدق.. إنما هي تقضية وقت.. وكنت أعاملهم
بنفس طريقتهم.. ولهذا لم أفرط في نفسي.. كنت آخذ ولا أعطي،
يكفي أن أقضى ساعة أضحك فيها.. ولو كانت ضحكات زائفة.

ولم أعد أهتم.. ماذا أكل وماذا أشرب.. إنها أيام وتعدي فلماذا

الندب على حظي التعس، لماذا أضيعها في النحيب والبكاء.

أبي يقول لي.. دراستك يا فاتن.. مستقبلك يا فاتن.. وأنا

أصرخ، لمن أذاكر، لكي أدفن شهادتي معي.

ابني أخذته أمي تربيته وهو الآن عمره عام.

الدنيا كلها أصبحت ملكي.. ولكن الموت ينتظرنى.

وفى هذا الوقت حدث الحادث الذى غير مجرى حياتى منذ ثلاثة شهور قابلته.

رجل يختلف عن كل الرجال الذين عرفتهم.. إن عواطفه نحوى ليست نزوة، وإنما مشاعر عميقة صادقة.

وهو لا يعرف شيئاً عن مرضى، وإنما يريد أمامه إنسانة كاملة الأنوثة.. حلوة.. وأنا أحبه.. أعبدته.

ولكن بعد فوات الأوان.. لقد سقط المطر على الزرع بعد أن جف، فقد بدأت النوبات القلبية تعاودنى.. الاختناق والرعدة والإغماء.

ذهبت إلى الطبيب وأنا أبكى، وقال الطبيب إنه لا بد من عملية، والأمل من العملية ضعيف، ولكن لا يوجد حل آخر.

وليس أمامى اختيار.. إما الموت وإما عملية غير مضمونة الفائدة، وقد تعجل العملية بموتى وتقضى على كل آمالى.

حياتى تهرب منى وأنا فى أشد اللحظات شغفاً بها وتمسكاً بها أريد أن أعيش.

أنا أحب.. قل لى كلمة.

سعاد

إن مشكلتك ليست الحب.

ما الحب إلا فصل من فصول متعددة فى رواية أخرجها الموت، إن الموت هو الذى ظل يلهو بك ويعقلك كما تلهو الخيوط

بالدمية الأراجوز.. الخوف من الموت منذ طفولتك هو الذى خلق لك هذه الحالة النفسية المستمرة من «الرثاء للنفس».. فأنت دائراً

ترثين لنفسك وتعذرين نفسك وتعيشين فى عذابك وحدك طول الوقت.. حتى حينها لا يكون هناك ألم فأنت تعلقين شعورك

بالخوف من ألم وشيك وبلاء يقترب.

هذه الحالة المستمرة من الرثاء للنفس حجبت عنك رؤية عذاب الآخرين ومشاركتهم.. زوجك الذى انحدر بسببك من

الخمر إلى المخدرات إلى المورفين إلى عشرة الساقطات.. إلى القبر.. لم يفز منك بكلمة بعد موته وهو الذى مات شهيداً.

وإنما تقولين فى برود عجيب، لقد فرحت فيه.. لقد حطم أنوثتى.. وحطم كرامتى.. لقد خاننى.. وفى برود أعجب تبدئين فى

إحصاء ميراثك.. سبعين فداناً من أجود الأرض ومعاش شهرى ٨٠ جنيهاً وعزبة وفيللاً.. ولقد نجوت من الولادة.. وهأنذا على

قيد الحياة فمرحباً بالحياة.. ومن ذراع رجل إلى ذراع رجل إلى ذراع رجل.

إن لحظة واحدة من الصحة جعلتك تفعلين كل هذا.. إن زوجك معذور إذن وهو ملؤه شباب وحيوية أن يفعل ما يفعله..

وأنت المرأة وهو الرجل.. ولكنك لم تدركي هذا لانك لم تعيشي في
أزمته أبداً.. وإنما كنت طول الوقت تعيشين في نفسك.. رثاء
مستمر لحالتك.

وفي النهاية يسقط المطر ويأتي الخير بعد فوات الأوان على حد
قولك.. يأتي الرجل الصادق الشهم الذي يحبك بكل قلبه، ولكنك
لا تعاملينه بصدق، وتخفين عنه مرضك كعهديك دائماً أخذ
ولا عطاء.

في كل شيء أخذ ولا عطاء.. فأنت مسكينة.. هكذا يقول لك
رثاؤك لنفسك.. يحاصرك الموت والعذاب.. أنت معذورة.. لو قلت
له ربما تفقدينه.. وأنت لا يجب أن تفقدى شيئاً.. ولكن الموت
يترصدنا جميعاً.. والمرض قضاؤنا.. وهذا ليس عذراً في
ألا نتصرف بصدق.. فلا عذر للكذب أبداً.

وإذا كنت جديرة بالاشفاق فهناك من هو أجدر.. الرجل
الذي يحبك وقد يتزوجك ويكون مصيره مصير الأول.

أنا أعلم أنك تعذبت وتألمت.. ولكن كنت أحب أن يسمو بك
الألم إلى إدراك آلام الآخرين.. لا أن يجبسك ألمك طول الوقت
في حالة محدودة من الرثاء للنفس.

وإذا كان الموت قادماً فلن ينقذك منه أية كلمة أقولها.

فلنعش بصدق، ولنمت بصدق، هذا هو شعارى دائماً.. ولنكف
عن الرثاء لأنفسنا، فإن هذا الرثاء يجب عنا آلام الآخرين،

وكم من مريضة بالروماتيزم ملقاة على رصيف القصر العيني ليس
عندها عربة ولا فيللا ولا معاش ثمانين جنيهاً ولا حبيب
ملهوف القلب.. هل فكرت مرة في مثل هذه المريضة.

لقد آثرت القسوة.. لأنى أعلم أنك ستعيشين برغم مخاوفك
وسوف تتزوجين من حبيبك.

والأمل الوحيد في أن تنجحى في حياتك المقبلة هو أن تكفى
عن الرثاء لنفسك.. وتعيشي في شركة سوية مع زميلك الجديد في
الحياة.

وهذه الجراحة النفسية ستكون ضرورية مثل الجراحة
الجسدية التي ستجرينها.

واكتسى وجهها بالحزن العميق. ثم قالت بابتسامة شاحبة وهي تنكس عينيها في الأرض خجلاً: أنا في الواقع لم أجد أى عمل آخر أعيش منه.

وصمتت لحظة ثم عادت تقول في أسى: - أبى طلق أمى وأنا صغيرة وتزوج بأخرى.. وأخرجتني الزوجة الجديدة من المدرسة ثم طردتني من البيت.. وعشت مع أمى.. وكنا لا نجد القوت في بعض الليالى.. ولم تكن النفقة التي يعطيها لنا الأب تكفى لإطعام كلب. وكان لابد أن أعمل. وكنت جميلة وصغيرة.

وكنت أصدق ما يقال لى. وكنت أجد كل يوم من يقول لى أحبك.. أتزوجك.. سوف أجعل الدنيا كلها ملكك. وكنت أصدق. وكانت غلظة.. فهناك أشياء لا يجب أن نصدقها أبداً.. أشياء لا يجب أن نطيعها أبداً.

ولكن الواحد لا يتعلم بدون ثمن. والثمن كان غالياً جداً. وبقية القصة لا شك عادية.. ومعروفة. وسكتت. أثرت ألا أجرحها بأسئلتى.

وأنتم يا أيتها القلوب الفطرية لا تظنوا أنكم كنتم في الواقع
أرجح من أن تكونوا في الواقع كما هي كالمية كما هي في الواقع
منكم. فظنوا أنه منه رائحة في قلبه. فظنوا أنه
ظنوا أنه منه رائحة في قلبه. فظنوا أنه

حدث في قطار الليل

بدأت حكايتي يوم اثنين ديسمبر سنة ١٩٦٤ في الدرجة الأولى في ديزل الإسكندرية الذي يقوم من مصر في المساء.. حينما التقيت بفتاة رقيقة جميلة كانت مسافرة معى في نفس الديوان.. ولم يكن في الديوان سوانا فأخذنا نقطع الوقت في الحديث.

قالت لى في بساطة عجيبة إنها ذاهبة إلى صديق في الإسكندرية ثرى من بلد عربى شقيق.

وحينما سألتها إن كانت تحبه قالت ضاحكة: إنه أكبر منها بثلاثين سنة.

الذى - مشوار عمل؟! - وكنت مصرى أصلاً
احمر وجهها وسكتت.. ثم قالت في اضطراب - إنه يعمل
بالنسبة لها.. أما بالنسبة له فهو انبساط.

وأحسست أن المعنى في الاستفسار والاستفهام سوف يكون جارحاً وسوف يكون تدخلا منى فيما لا يعينى (وإن كان في الواقع أصبح يعينى جداً).

ومراعاة للياقة قفلت الموضوع.

ثم عادت تتكلم في شرود:
جاءت على أوقات فقدت فيها الثقة بكل شيء.. كرهت
نفسى، وكرهت الرجال.. وكرهت الحياة.. وأحسست أن الله
نسيتنى، وأن نفسى هانت على وعلى الناس.
مرضت ولم أكن أجد ثمن الدواء.
أوشكت على الموت.
تعذبت.. خاصمنى النوم.
اقتربت من حافة الجنون.
ثم أنزل الله على السكينة.
ووهبني أنجح دواء.. عدم المبالاة.. وعدم الاهتمام.
نعم.. لم أعد أعيا بشيء.
ولم أعد أهتم بشيء.
ولم أعد أبالى بما يقوله الناس عنى.
ولم أعد أبالى بما أفعله.
ووجدت الراحة فى موت عواطفى.
ووجدت الحل فى أن أعيش حياتى يوماً بيوم ولحظة بلحظة.
والعلاقة التى كنت أشمئز منها أصبحت عادة.. لا تسبب لى
ألماً.. كما أنها لا تسبب لى لذة.
أنا أنظر لها على أنها عمل.. مجرد عمل أعيش منه.

وأنا لا أطلب من الرجل أن يقول لى أحبك.. لأنى فى الواقع
لا أحب.
إنها دقائق عمل آخذ بعدها أجرى. وبعد هذا يمضى كل منا
فى طريقه.. دون أن يعرف أى منا اسم الآخر.
وسكنت.
ثم عادت تقول فى نبرة حزينة:
- أنا أعرف أنى أتكلم فى بساطة وبلا حياء فى مواضع هائلة
ولكنها فى الحقيقة لم تعد هائلة فى نظرى.
ألم أقل لك أنها أصبحت عملاً.. مجرد عمل..
أنا أعرف أنك لم تعد تنظر إلى كما كنت تنظر إلى فى الأول.
ولكنى أشعر الآن بالراحة.. فقد قلت الصدق.
إن الحياة فى كذب متواصل.. شىء لا يطاق.
وأنت لم تجرب.. أن تكذب كل يوم.
وفى الحقيقة مكثت برهة أنظر إليها كالمصدوم.
كان مظهرها لا يدل على هذه المأساة.
وكان فى عينيها صفاء وطيبة قلب.
وفى وجهها الأبيض براءة طفلة جميلة.
ولن أطيل عليك.
فقد نزلنا معاً فى محطة الإسكندرية.

ثم أعود فأقول.. وكيف تتوب بعد أن أصبحت هذه المسألة
عادة عندها.

رأسى يكاد ينفجر.
أحبها بقلبي.. وأنكرها بعقلي..

لا أستطيع البعد عنها.
ولا أستطيع الزواج بها.

لا أستطيع أن أقتل ابني.
ولا أستطيع أن أعترف به.

لا أصدق أن هناك توبة.. ولكني لا أملك أن أكذبها حينها
تتكلم.

لم أعد أنام..
والجنين يكبر.

ماذا أقول لأبي لو تزوجتها.. وماذا أقول للناس.
والذين يعرفون ماضيها.. أين أهرب منهم.

محمد صادق
* * *

لقد بدأت تتكلم بعد فوات الأوان.. بعد أن أحببت.. وبعد أن
تحول حبك إلى جنين.. وبعد أن تحولت أفعالك إلى واقع، وماضيك

إلى حياة ونبض.
وأخيراً جئت تسألني إن كان ممكناً أن تشطب على هذا كله.

إن كان ممكناً أن تشطب على جزء من نفسك.

إن كان ممكناً أن ترتكب جريمة.

وهل يمكن أن تتوب.. وهل.. وهل.. وهل.

وأعتقد أن هذه أسئلة فات أوانها.

إنك ارتبطت بها فعلاً.. إنها لم تكذب عليك ولم تضحك عليك
من أول لحظة قابلتها.

فأنت إذن لم تكن مخدوعاً.. وأنت تصرفت بكامل عقلك
وإرادتك واختيارك.

ولا أرى معنى لهذه التشنجات. فهي زوجتك بالفعل من زمان،
ولا توجد مفاجأة في الموضوع.

كل هذه الزوبعة على ورقة مأذون.. وإمضاء!!؟

ولكنك أعطيتها وتعطيها ما هو أكثر.. حبك واهتمامك
وانشغالك وتعلقك وتفضيلك وإيثارك.

أنت زوجها بالفعل.. تصرف على هذا الأساس تستريح.
ولا تنس أن الثقة تخلق الثقة.. أما الجريمة فتخلق الجريمة.

هذا هو القانون الأول في علاقات البشر.
وكرجل مسئول يجب ألا تتنصل من فعلك.

والله يتوب على التائبين.

هل أتزوج اللص؟

يوم الاثنين الماضي تقدم لي خطيب موظف في شركة (عن طريق قريب يعرفه معرفة سطحية).

وجاء العريس مع قريينا.

أول ما لفت نظري فيه أسلوبه الراقى اللبق في الحديث.. وظرفه وذلاقة لسانه.. ولبسه الشيك.. باختصار أحسست أنه

شخصية برغم أنه تنقصه الوسامة.

ثم نادى بابتسامة عذبة وقال لي:

مبروك.. إن شاء الله حاكون عند حسن ظنك.

تقدم مني في بساطة وسلمني كارت باسمه به معلومات عن

محل وأسرته بالصعيد وسنه ومرتبته.

قال إنه متزوج من امرأة تكبره بعشرين عاماً غنية ومتكبرة جداً. ومستبدة وكانت حياته معها متعبة، وأنه طلقها بعد أن أنجب

منها ابنة عمرها الآن ست سنوات.

أعجبتني صراحته وبساطته.

وقلت لنفسى.. هذا هو الرجل الذى أبحث عنه. وعندنا في البيت انبسطوا منه جداً وارتاحوا لصراحته وشخصيته.

وتانى يوم سأل زوج خالتي عنه في الشركة التى يعمل بها.. وقالوا له نفس المعلومات التى قالها لى بالنص.

ومنذ تلك اللحظة وهو يدق لنا التليفون كل خمس دقائق يسأل فى قلق.. هيه.. رأيكو إيه.. ورأى العروسة إيه.. أنا عاوز الرد بسرعة.. أنا مستعجل على عقد القران.. أنا تحت أمركم.. أنا أكون أسعد زوج لفاطمة.. وفاطمة عندى تسوى الدنيا.

كل يوم تليفونات واتصالات وجرى.

وأنا مبسوطة جداً إن فيه حد مهتم بيه كده وبطريقة جديدة.

نهایتة.. بعد أخذ ورد حصلت القسمة وتم كتب كتابي بعد

ثلاثة أيام أى يوم الجمعة.. وكنت عاملة فستان يجنن لهذه المناسبة

ومتكلف ثقله.. وكنت آخر شياكة.. وكنت فرحانة جداً جداً..

ويقولوا إني كنت زى القمر وزى بنت ١٨.

وكانت حفلة لطيفة ومعازيم وورد وشربات وملبس وكساتا

وزغاريد وصور.. كل صديقاتي حواليه زى الفراشات.

وجاء بعض أقارب العريس وكادوا يلتهموننى بنظراتهم.

وبعد انتهاء الحفلة كنت أسمع تعليقات غريبة من حولى.

واحدة تقول: بالذمة ده عريس.. يا خسارتك فيه.

والثانية تقول: ده ينفع كمسرى.

والثالثة تقول: ناقصه شنطة على ظهره ويبقى بوسطجى.

والرابعة تقول: أصلها مش شايفاه.. أصل القرد فى عين

حبيبته غزال.

والآخر اتضايقت وقلت لهم: اسمعوا، الراجل بشخصيته مش

بشكله.. الراجل بأخلاقه.

وكركرت الضحكات من خلفى على طريقة هاهاهاى.. هىء

هىء هىء.. كاه كاه كاه.. وهى فى الشخصية دى.. وايش عرفك

بأخلاقه.

ولكنى لم أبال بتلك الكلمات.. وكنت أشعر أنها حسد وغيره

وكنت طائرة من الفرحة.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة فاستقبلنى الكل بكلمة

مبروك.. مبروك.. مبروك.. من الزميلات والمدرسات والمدرسين

والفراشين.

وحملتنى الزميلات فى مظاهرة وهات يازغاريد.

وكنت فرحانة جداً كالعروس البكر (للعلم أنا سبق لى

الزواج والطلاق.. البخت.. البخت أصله مايل من يومه).

وجاء العريس لزيارتنا بعد ذلك.. وعلى الكنبه فى البلگونه

وفى ساعة عصارى.. جلس إلى جوارى يهمس فى أذنى بأعذب

الكلمات.. أنت مش حلوة وبس.. أنت فىك حاجة غريبة.. أنت

أنتى.. أنتى بمعنى الكلمة.. وفى أنوثتك حياة ورقة وعذوبة.. أنا

مش قادر أشبع من وشك الحلوى.. أنا ماكنتش عايش.. أنا كنت

ميت لغاية ماشفتك.. أنا لازم أسعدك.. أنا حاخلىكى أسعد

واحدة فى الدنيا.. يا حبيبتى يا حياى.. ياملاكى كل حاجة فىكى

حلوة.

كلام عمرى ماسمعته من حد.. وقبلات.. وعناق، ونظرات

والهة دامعة.

وحدث هامس كالأغانى.

وشعرت بقلبى الذى طال به الحرمان يرتوى ويفرح ويسعد

كما لم يسعد أبداً.. شعرت لأول مرة بأنى امرأة، وأن لى شفتين

جذابتين وصدراً نافرماً شهياً يتمناه الرجل.. شعرت بأنى جميلة

وفاتنة ورائعة وساحرة. وماذا أقول.. سوف أختصر لك الحكاية

التي انتهت بأسرع مما ابتدأت.

بعد عودتى من المدرسة اليوم (بعد ثلاثة أيام من كتب

الكتاب) رأيت بابا وماما فى انتظارى.

وألقي أبى فى وجهى بالحقيقة الفظيعة.

اسمعى يا بنتى احنا بنحبك جداً وكنا بنتمنى سعادتك، لكن

حظك طلع كده واحمدى ربنا إنك حاتعرفى الحقيقة قبل فوات

الأوان وقبل ما تجرجرى وراكى دستة ولاد ويبقى الطلاق مستحيل.

طلاق ايه؟

أيوه لازم يطلقك بكره.. والنهارة قبل بكره.. إنت مش عارفه إنتى اتجوزتى مين.. إنتى اتجوزتى راجل نصاب محتمل حرامى له دوسيه فى البوليس.. مراته الأولانية اتصلت بينا وحكت لنا حكايته كلها.

- مستحيل.. ده كذب.. طبعاً هى متغاضة.. ولازم تشنع عليه.

- إحنا افكرنا كده فى الأول، لكن هى قالت لنا نمر على المحاضر المحررة له فى النيابة والمباحث عن جرائم سرقة مصاغها ومحاضر تزوير بيع أملاكها وأرضها وتبديد.. إلخ.. إلخ.. إلخ واحنا رحنا بنفسنا وشفنا المحاضر دى. ويمكن تتصلى بنفسك بفلان فى (البوليس) وتعرفى منه كل حاجة.

اتصلت فى الحال.. وسمعت الضابط (وهو قريبنا من بعيد) يقول لى وكأنه يعزىنى:

- احمدى ربنا يابنتى أننا عرفنا كل حاجة وكشفنا أمره. ده راجل بطل له دوسيه وأرباب سوابق ومجرم خطير.. أنتى بنت كويسة وغلبانه وربنا أنقذك من الراجل ده.. ده راجل محتمل.. حتى إسألينه، واجهيه بالحقيقة.. وهو مش حايقدر ينكر. وفعلاً واجهته بكل هذه التحريات، واعترف ورأسه فى

الأرض ولكنه قال بصوت متهدج إنه أحببى، وإن حبه لى كان سيغيره لى إنسان آخر نظيف لأنى أصبحت كل شىء فى حياته.

وطبعاً الصدمة كانت شديدة جداً على أعصابى.. فهذا هو زواجى الثانى.. والناس حايقولوا إيه.. طلاق بعد ثلاثة أيام، فيه إيه.. البنت مش بتعمر فى جوازها.. حاتبقى سمعتى زفت لكن مفيش حل.

كان اجماع الكل على أنه لا بد من الطلاق فوراً.. ووافق هو ومنذ لحظات اتصل بى بالتليفون وقال لى بصوت باك:

- كده يافاطمة تفرطى فيه بالسهولة دى.. إدينى فرصة، ادينى فرصة أحاول فيها أبقى إنسان كويس.

- معلش القسمة جت كده.. يمكن تقابل إنسانة غيرى تحبها وتعيش سعيد معاها.

- مش ممكن أحب بعدك حد.. مش ممكن أفكر أتجوز بعدك، أنت أول حب وآخر حب فى حياتى.. أنت حلم.. حلم سعادة قصير ما الحقتش أتهنى بيه.

وخنقت أصواتنا الدموع. وماذا أقول لك.

طلاقى اليوم.. وحبى الوليد لم يمت.. وصوته فى التليفون مازال يجرح قلبى.

وامتحانانى باقى عليها أسبوع.

ألا يمكن أن يحول الحب الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
فاطمة

الحب يمكن أن يحول الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.
ولكن لا بد أن تكون هناك بوادر وبشائر لهذا التحول.. ولا بد
أن يكون الحب صادقاً وعميقاً ولا ريبه فيه.
وفي حكايتك لا أثر لهذه البشائر والبوادر.

فمن أول لحظة نشعر أننا أمام رجل مستعجل يحاول جاهداً
أن يوقع عقد زواج في ٢٤ ساعة وكأنه يمارس عملية توريط
مريبة يريد أن يتمها في أسرع وقت.. فهو يلاحقكم بالتليفونات
كل ٥ دقائق.

وأنت مبهورة باهتمامه.. معجبة بظرفه وذلاقة لسانه..
وشياكته.

وطبعاً الشياكة وذلاقة اللسان والظرف والبلف والكلام المنمق
المزوق هو دائماً عدة الأونطجى والنصاب.

وأظن واضح دلوقتي أنه لم تكن عنده ذرة صراحة.

رجل له دوسيه في البوليس وسجل سوابق سرقة وتبديد
ونشل.

أفكر إذا كانت عنده أقل نية في التوبة والصلاح.. كان لازم

يبدأ حياته الجديدة معك بالكلام بصراحة عن ماضيه وأخطائه.
هذه بشائر التوبة وبوادر العودة إلى طريق الصواب.. ودليل
احترامه لك ولعلاقته بك وارتباطه في شركة طول العمر معك أن
يبدأ معك على نور. (وقد سبق أن نشرنا اعترافاً لسيدة محترمة
بدأت حياتها بالصراحة).

أما كلمات الحب التي ذاب لها فؤادك فيمكنك أن تسمعي
أسطوانات منها في أى سينما بالسيدة زينب في الأفلام القديمة أم
قرش.

والحكاية مش حكاية كلام.

الحكاية حكاية صدق القلب وخلوص النية.

وأنا أبحث عن أى دليل للصدق وخلوص النية فلا أجده.

وطبعاً حكاية الحب الملتهب اللى ينفجر فجأة في ٢٤ ساعة
برضه حكاية مشكوك فيها، وفي النهاية حرمانك الطويل ليس
شفيحاً لك بأن تشربي من أى مستنقع.. فالحياة في عطش أحسن
من شرب ماء النار.

وصدقيني، إن الذين يشربون ماء النار يعطشون أكثر.

والطلاق بالرغم من نتائجه السيئة.. أعقل من الاستمرار في
مثل هذا الزواج المريب.. معلش قسمتك جت كده.

والمرّة الجاية حاولي تحكّمي على الرجل بطريقة أخرى غير
الانبهار بذلاقة اللسان والشياكة.. حاولي أن تعرفي، بفطرة المرأة

وبصيرتها ما وراء الكلمات وما وراء الثياب البراقة. ورب رجل صامت يغلب عليه الحياء، أكثر طيبة وأكثر حبا من رجل «دحلاب» يجيد صياغة الكلام.

والشخصية والرجولة ليست في جمال الوجه كما قلت. ولكنها أيضا ليست في الكلام وذلاقة اللسان. الرجولة في الصدق والصراحة والإحساس بالمسئولية وتحمل الأعباء ومواجهة الحقيقة حتى ولو كانت مريرة.. الرجولة أمانة وشرف وعمل.. وليست سرقة وتبديداً واحتيالاً.

أن يرفع عند...
مرية...
كل...
تدلى...
وانت...
سببا...
نسباً...
وطيما...
الزرق...
بدا...
باطن...
رجل...
ونسل...
بذرة...
الذات...

الزرق هو دائما عند الأزمات والنصائب...
بدا...
باطن...
رجل...
ونسل...
بذرة...
الذات...

ولا...
بدا...
باطن...
رجل...
ونسل...
بذرة...
الذات...

أطخن طخين في العيلة!

أكتب لك بعد آخر مشاجرة حدثت.. وأصوات الخناق وظلال الأيدي التي تلوح في الهواء، والقبضات التي تهدد مازالت تحوم حولي وأنا أكتب.

أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري موظفة بإحدى الشركات وأخت لثمانية إخوة حرمتهم الحياة من كلمة «بابا» منذ خمس سنوات وهو تاريخ وفاة عائلنا الوحيد.

توفي والدي بسكتة قلبية وكانت وفاته كالزلازل الذي هدم حياتنا وأحالتها إلى كومة من الانقاض والرمال.

بحر حياتنا جف ونور أملنا انطفأ.

لم يبق لجيش اليتامى غير مرتبي الصغير ومرتب أختي الموظفة.

التجأنا بحق الأخوة إلى أخي ليساعدنا في الحياة ولكنه امتنع بحجة أن مرتبه لا يكاد يكفي احتياجاته.. وتمادى في العناد واستقال من عمله بحجة أنه يتقاضى منه ملائيم لا تستحق العناء في سبيلها، والحقيقة أنها لم تكن ملائيم كما يتصور ولو أنه اشترك

معنا بجزء ضئيل منها لأمكن لنا أن نعيش مستورين.. لكنه كان عنيداً ولم يلب قلبه لتوسلاتنا.

ستقول لى إن مرتبك ومرتب أختك يمكن أن يجعلكم تعيشون في رغد.. ولكن أبى مات ولم يترك لنا سوى دين كبير لا نزال نسدد فيه من مرتبنا.. وأخى بدأت مطالبه تكثر وبدأ يبتز من أمى النقود بكل وسيلة.. بالتهديد وبالوعيد والخناق فإن أخبرته بأنها لا تملك ما يسد أفواه هذا الجيش من اليتامى.. وأنها باعت مصاغها لآخر قطعة، انهال عليها يشتمها ويسبها ويلعن اليوم الأسود الذى رآها فيه.. وتصمت أمى لكى تدع الزوبعة تمر.

وبدأ أخى يرسل إخوتى إلى الجيران ليطلبوا منهم النقود بالسلف ويلقنهم أن يقولوا لكل من يلقونه.. «أمى بتسلم عليك وبتقول لك والنبي تدينا نص جنيه سلف لبكره».

وتفاجأ والدتى بالجيران يدقون الباب ويطالبون بنقودهم التى استلفتها.. فتقضى ليلها ساهرة تبكى.

جاء بعض أقاربنا ليعتبوا عليه ويحاولوا رده إلى عقله ولكنه صرخ «أنا ما يهمنىش أطخن طخين فى العيلة».. ثم ترك المنزل وسافر إلى القاهرة «طفشانا».

وكانت هذه الحادثة كفيفة بأن تسقط أمى طريحة الفراش مريضة تهذى طول الليل باسمه وإخوتى حولها والدموع فى عيونهم، وهى تهتف.. فىن أنت يا ضنايا.. سامحنى.. ارجع لإخواتك

اليتامى المحتاجين لرعايتك وحنانك.

وسافر بعض أقاربنا وبحثوا عنه وأقنعوه بالعودة. وعاد ودموع الندم تسبقه.. وانهاى على يد أمى يقبلها حينما رأى حالها فى غيابه، ولكنه ما لبث أن عاد إلى طبيعته.. السهر كل ليلة مع إخوان السوء وشرب السجائر بشراهة والسكر وابتزاز المال بكل وسيلة.. وملاحقة أمى بالتهديد لتدعن لمطالبه.

وفى إحدى المرات تجاوز الحدود فضربها وصفعها، تصور.. يفعل هذا مع أمه المسكينة أم اليتامى المكافحة التى تنهض من الفجر لتغسل له ثيابه وثياب إخوته الصغار وتطهو له طعامه بيديها.

لقد أصبحنا حكاية فى فم الجيران.

وكل من يرانا يتحسر على أسرة كانت تعيش فى ستر وسعادة فى ظل عائلها ثم أصبحت بعد موته تعيش فى نكبات متوالية.

لا تقل لى إن الحل أن يترك أخوك المنزل فنحن ووالدتى نحبه من كل قلوبنا ولا نستطيع أن نفرق عنه.

إن أخى - ولتعجب حينما أقول لك - قلبه طيب ومسكين.

وفى تلك الحادثة حينما ضرب أمى فوجئت به وأنا أدخل الغرفة يجلس وحيداً (ولم يشعر بوجودى) يبكى بحرقة كالطفل الصغير

وهذى ويقول.. إنكم جميعاً تكرهونى.. كل إخوتى يكرهونى.

حتى أمى لا تعطينى الحنان.. اللهم اجعل قلبى حنوناً عليهم

لأمنحهم الحنان والحب الذي حرموا منه.. «عمرى مالقيت كلمة حنان من حد يارب.. يارب حزن قلوبهم على».

وخرجت كما دخلت بدون أن يشعر بي.

لقد بدأنا نكرهه لتلك الأعمال التي نراها منه ولكني أرجع وأقول وربنا يعلم أننا نحبه كثيراً.. فكيف يعتقد غير ذلك.

إنى حينما أسير في الطريق تنهال دموعى من غير ما أشعر كلما فكرت فيه.. وفى وحدتى كل ليلة أصلى من أجله وأدعو له بالهداية والتوفيق.. وفى أحلامي أراه أسعد الناس.. وإخوتى يذهبون إلى الامتحان كل يوم وآثار الدموع فى عيونهم.. وكلهم يحبونه ولا ينامون الليل إذا غاب عنهم.. ولكن أفعاله لا تدع لأحد فرصة لكي يعبر له عن حبه.

إن عقلى يشرد بعيداً ويهتف دائماً فى تعاسة.. أبى قم من قبرك لترانا وترى ما صارت إليه حياتنا السعيدة.. قم لترى أسرتك تعيش فى عذاب وشقاء من بعدك.

إنى مؤمنة بقضاء الله.. ولكنى لا أحب أن أقف مكتوفة اليدين أمام ما نزل بنا من بلاء وأريد أن أعيد إلى أخى ثقته بنفسه وإيمانه بنا وبحبنا فنحن بدونه لا حياة لنا وهو أملنا الباقي بعد أبنائنا.

ومن توفيق الله أنه وجد عملاً عند مقاول.. وأن أحوالنا يمكن أن تنصلح لو صفت النوايا والقلوب.

وما أحوجنا إلى صفاء النوايا والقلوب.

س السويس

إن النوايا لا تكفى.

وإضمار الحب لا يكفى.. وإنما لابد من إظهاره.

وأخوك يتعذب بفكرة وهمية: إنه مكروه لا أحد يجبه ولا أحد يعطف عليه.. وهى فكرة سوف تزول ولا شك حينما يقرأ فى كلامك ما تكنينه من حب له.. والقلوب الطيبة الأصيلة تحركها المعاملة الطيبة ويشيرها الحنان.

حاولى أن تقتربى من أخيك فى محاولة مخلصه لمعونته وتفهمه لا تلقى إليه بموعظة أو نصيحة.. ولكن قدمى له هدية.. علبة كروت بها مجموعة كروت باسمه وهى لن تكلفك كثيراً.. ولكنها سوف تكون برهان محبة وسوف يردها لك بأحسن منها.

وهو بالمثل يفهم أن الحب لا يكون بإضمار الحب ولكن بإظهاره فى المعاملة الحسنة وفى الاشتراك المادى فى المعونة والاحتياجات اليومية.

والاشتراك فى الأعباء رجولة.

والله يعطينا بقدر ما يعطى بعضنا بعضاً.

وسوف يفتح عليه باب الرزق إذا أشرك الآخرين في رزقه
وخيراته.

والحاجة تفتق الحيلة.. أما السلف فإنه لا يفتح الباب لأى
خير وإنما على العكس يفتح الباب على الاحتيال.

وإذا كان يريد أن يشعر بأمومة أمه فلا بد أن يشعر أولاً
بالبنوة الصالحة.

وإذا كان يريد أن يشعر بحب الإخوة فلا بد أن يكون الأخ
المحب أولاً.

العواطف لا تكون بأن نضمها وإنما بأن نظهرها.. وهو ولى
الأمر.. والقدوة.. والمثل.. وأنا متفائل.. فهناك رائحة طيبة وأصالة
في كلامك.. وأخوك إنسان طيب برغم ما بدر منه.

وسوف تتصلح الأحوال حينما تتضافر جهودكم كلكم.
وإن الواحد ليفتخر بأن تكون له أخت مثلك.. عواطفها في
نضارة عواطفك.. وقلبها في طيبة قلبك.

وأخوك لن تفوته فرصة هذه المحبة.. ولا يمكن أن يخفقها في
مهداها.

ومن تولقى الله وجد علاجاً مبهداً له..

أن تتصلح لو جلت النعمان والخصومات..

بعد أيام قليلة كان الليل والسأم قد بدأ يبدد الأحلام
منه في سبات عميق لا يقهره إلا نغمات من البيان والخيال
التي تليها نغمات من البيان والخيال.. وفي له وكلاهما نسا
كأني نسا..

الحب والضرب

نشأت في بيئة متدينة محافظة في بلد صغير بالصعيد.
والدى كان موظفاً في شركة بالمركز.
وعقلي كان مقفلاً مثل بيتتنا المقفلة وقلبي كان هو الآخر
مقفلاً.

ولكني اضطررت إلى الخروج من هذه الدائرة وأنا في الثالثة
عشرة حينما دخلت المدرسة الثانوية.. وكان ذلك يستدعى السفر
كل يوم لأذهب إلى المدرسة.
وتعرفت عليها.. كانت أكبر مني بكثير وكانت تتردد على
المدرسة لقضاء الوقت وعرفتني بأخيها الذي كان السبب في كل
المصائب.

كان أخوها هو أول رجل خارج العائلة أضع عيني عليه.
وكان بالنسبة لعقلي المحدود شيئاً باهراً.
وتصورت أنه فارسي المنتظر ورجل أحلامى.
وتعلقت به.. أحببته وجننت به وخيل إلى أنه أعظم رجل في

الدنيا.. عقل عيال.. إنت لك حق لما بتقول إن الحب في هذه السن المبكرة كلام فارغ.. ففي هذه السن لا يكون الحب حباً وإنما يكون خيالاً.

نعم كانت الصورة التي أحببته بها صورة من صنع أوهامي وخيالي.

كنت أحلم بكل خيالي المكبوت.
وكنت أفكر بخبرتي المحدودة.. وأتصور أشياء لا وجود لها إلا في عقلي.
نعم أنا الآن أؤكد لكل بنت أن الحب الأول وخصوصاً في سنوات المراهقة كلام فارغ.

ولكني ساعتها لم أكن أعلم أني أنسج بعواطفي كلاماً فارغاً.
كان يخطبني من أهلي (ومصيبة الحب في هذه السن حينها ينقلب إلى حقيقة تطالب بمكان لها في الواقع).

وقال أهلي إنه لا يصلح.
وقلت أنا إنه يصلح.. وبكيت وتشنجت ومزقت شعري وطبعاً أذعن الأهل في النهاية.. (وليتهم ضربوني علقه وعلموني الأدب).

وتم الزواج.
ودخلت عش الجنة.

وكالعادة في مثل هذه الأحوال لم تتحمل عواطفنا الواهمة الامتحان.

وبعد أيام قليلة كان الملل والسأم قد بدأ يبدد الأحلام ويكشف من دخائل النفوس الحقيقية.. وهو يصحو كل يوم ليستم بدون مناسبة.

يعني أبوكي مش بيسأل عنك بمليم.

يعني أمك ما بتدخلش عليك بخيارة في أيدها.

واتضح بعد الزواج أن كل إيراده ٣٧ جنيهاً لا يحتكم على سواها.

واتضح أنه كان يتصور أن بابا سوف يرسل لنا كل شهر خمسين جنيهاً. وأن أمي سوف تملأ البيت بالدجاج والبط والسمن والأرز وكافة لوازم الخزين.. وأنه سوف يسحب من الوكالة كما يريد.

فلما لم يجد الوكالة السايبة التي كان يتوقعها.. ظهرت أخلاقه على حقيقتها.. شتيمة وقلة أدب وضرب.. وضرب إيه، ضرب محترم (فقد كان يلعب ملاكمة سابقاً).

نهايته أخذت فوق دماغى ولم أخبر أهلي بشيء.. فقد كانت الشورة شورتي والجلب جلبي.. ولو كنت فتحت فمى لانها لوا على هم الآخرون باللوم والتقريع.. وحالاقبها منين والا منين. وصبرت.. واستحملت.. وعشت معاه على قد حاله وأنا راضية وأتمنى رضاه بأى طريقة.

وكل ده ومش عاجب.

وساق هو في طولة اللسان وطولة اليد وطولة الرجل حتى كسر ذراعى في إحدى المرات، وفاض بي الكيل وانتهزت فرصة نزوله للشغل وكلمت أبى في التليفون وهددته بالانتحار إذا لم يأخذنى من الجحيم الذى وضعت نفسى فيه.. وبكيت وصرخت. قلت له إنه بيضربنى وإنه كسر ذراعى وإنه بيهددنى أنه حايتهجوز على بالشبكة بتاعى (وكان قد أخذها وأخفاها).

وهكذا خرجت من البيت وأنا أقرأ الشهادتين وأقبل يد أبى ورأس أمى وألعن الحب وجرير الحب.

وحينما تزوجت كنت قد تركت المدرسة.. (وكنت راسبة ثانوية عامة).. فأعدت قيدي والتحاقي وبذلت كل ما أستطيع من جهد في المذاكرة (ولك أن تتصور مدى الكفاح الذى كافحته وقد أصبحت أمًا لطفلة ترضع وتعوى).

وكل يوم مجلس صلح حتى يوم الامتحان وأنا أرفض. ونجحت والتحقت بالكلية التى كنت أحلم بها وأصبح مستقبلى هو كل حياتى.

وفجأة وجدت إعلاناً من المحكمة يطلبنى في بيت الطاعة. وطبعاً ركبى سابت واستولى على الذعر.

وحكمت له المحكمة بالطاعة وجاء يطلب الصلح بالذوق وبالتي هي أحسن.

وخوفاً من البهدلة وتحت ضغط الجميع وافقت وأمرى إلى الله.

ورجعت وأقمت عند أهله لأن أحواله المادية لا تسمح له بفتح بيت وقبلت لما وجدت عنده من استعداد لإصلاح معاملته.. وفعلاً بقى كويس جداً لمدة شهر.. وبعد كده رجع لعوايده.. ضرب وشتيمة وأنا أعصابى تلفت.. كل يوم رايحة الكلية.. مفيش كلية.. مفيش عندى واحدة تروح كلية تتمرقع بين التلامذه.. أحاول أن أدافع عن نفسى يصرخ قائلاً: مفيش ولا كلمة.. أنت خدامة في البيت مش أفوكاتو.. وطبعاً أمه قالت الكلمتين إلى ربنا قدرها عليهم.. وأخته كملت على بقيتى.

طيب طلقنى.

مفيش طلاق.. بعينك الطلاق.. أنت تعيشى زى الكلبة.. وغضب عنك، وحكم الطاعة على دماغك.

أخذت الدش ولم أرد بكلمة واحدة فقط سقط من عيني إلى الأبد.

احتقرته وكرهته كما لم أكرهه طول عمري.

نهايته طفشت تانى لبيت أهلى، وأخذت البنت وعدت إلى الكلية وقد صممت هذه المرة على الانفصال النهائى بأى ثمن.

ساومنى على الطلاق في مقابل مبلغ أدفعه يعوضه عن المهر والشبكة والفضائح (ليه ياناس هو كان متجوز رقاصة، والفضايح مين؟ له.. والا لى أنا اللى حبقى مطلقة وعلى كتفى بنت).

ومين اللى بيصرخ بأعلى صوته.. عاوز فلوس، هاتى لى

فلوس.. هاتيلي من أبوكي.. من أمك.. من الشارع.. امشى على
كيفك.. بس عاوز فلوس..

أنا لم أتزوج رجلا.
وهذه المرة لن أعود.. ولو رفع سوط الطاعة على رقبتى.
لن أعيش معه يوماً واحداً.

سوف أكمل دراستي وأتحرر من الذل والعبودية والحاجة إلى
من يستغنى.

أعصابي تلفت.
لا أتصور أن يجرجرنى جندي بوليس من الكلية إلى بيت
الطاعة لأعيش مع رجل تنقصه كل مقومات الرجولة.

خذ بيدي.. انصحني.

المعذبة

ص. ع

عودتك إلى الدراسة ونجاحك ودخولك الكلية التي اخترتها
الرغم من كل هذه الزواجر حولك تدل على شخصية وإرادة
وخصائص نفسية نادرة.

اطردى الخوف واثبتى على موقفك.
وحتى لو طلبك في الطاعة.. بإمكانك أن تحصلى على حكم

بالطلاق منه.. وسوف يقف القاضي في صفك حينما يعلم بظروفك.

إن خضوعك للظلم مناصرة للظلم ومناصرة للظالم.

ويقيني أن شخصيتك القوية سوف تنجو بك من البلاء الذي
وقعت فيه.

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

واعتقد أن الخلال هو الحك الذي ظهر عليه أخلاق

قليلة العقل.. لازم اتمسح به مثل القبط لأرضى رجولته.. هنا فقط يعود السلام والوئام إلى البيت.

ولكني أوّمن بأسلوب آخر اسمه الاحترام المتبادل وديمقراطية الرأي وخصوصاً بين زوجين عصريين متعلمين.

وأعتقد أن الخلاف هو المحك الذي تظهر عليه أخلاق الزوجين على حقيقتها.

قلت له هذا ألف مرة.. وكان في كل مرة يحسد ويشتم..

كنت أضع في حسابي أنه وحيد والدته.. وأنه متدلّع.. ولكن استسلامي له جعل حاله يسوء مرة بعد مرة.. يفقد أعصابه في أفه نقاش ويشتم ويسب.

لو أنه قال لي مرة معلّش.. وطبّط عليّ.. وأشعرني بحنانه.

كانت المشكلة انتهت.. ولكنه جعل الكبرياء دائماً من حقه والتذلل من نصيبي حتى ولو كان هو المخطئ.. أنا اللي أقول له معلّش سامحنى.

وأخيراً أصبح يهددني بالطلاق.. بمناسبة وبدون مناسبة يقول لي أطلقك بالثلاثة.

الطلاق كلمة كبيرة ما يصحش تطلع منك بالسهولة دي.. لنا طفلين بيستمعوا كلامك.. مش كويس.. صلب العلاقة الزوجية

وقداسة الرباط الزوجي يجب أن يظل بعيداً عن هذه المشاهدات اليومية، لأنه مقدس مثل الدين والإيمان.. إذ انهار انتهى بانهاره

حول الشباشب والمثل العليا

مشكلتي باختصار شديد أني زوجة في التاسعة والعشرين، عصرية متعلمة تعليماً جامعياً، متوازنة إلى حد ما.. لي بيت جميل أنيق.. زوجي في الأربعين يشغل منصباً محترماً أكثر مني اتزاناً وهدوءاً أنجبنا ولداً وبنثاً.

أشرف على نظافة بيتي بنفسى وأهتم بتعليم أولادى وأذاكر لهم دروسهم.. أسهر على راحة زوجى.. والنتيجة أسرة سعيدة هادئة.. سوف تسألنى.. أين المشكلة؟

المشكلة في زوجى.. وفي معاملته لي.. في كل مناقشة بحق وبدون حق يسفه آرائى ويسخف أفكارى ولا يتركنى حتى أشعر أنى مخطئة قليلة العقل، وأن حكمه هو الحكم العادل الذى لا يخطئ فإذا حاولت الدفاع عن نفسى احتد في كلامه ثم بدأ يشتم ويسب وينهال على سمعى بأقذع الكلام، وتنتهى المناقشة بخصام وبوز شبرين وسهر في الخارج ورفض للطعام وحرق سجائر سيجارة وراء سيجارة ويظل على خصامه وبوزه حتى أبدأ أنا.. وأنا بالذات.. في مصالحتة، ومعلّش.. أنا غلطانة.. أنا مش فاهمة.. أنا

الأمان وخرب البيت بدون طلاق وبدون فراق.. ينفجر نائراً
ليقول لي.. إنتي فاكرة نفسك إيه.. انتي حاتقفي تترافعي. انتي
حاتعلميني الواجب.. إنتي فاكرة نفسك بتفهمي.. إنتي أكبر
حمارة.. إنتي تخرسی.. إنتي تسمعي كلامي وإنتي ساكنة زي
الكلبة.

لكن أنا مش كلبة ولا حمارة.. أنا بنی آدم.. ومش ممكن حياة
بين بنی آدمین تبقى عبارة عن الأكل والشرب والنوم والختناق
وبس.
حقيقي هو بيديني كل فلوسه.. وكل طلباتي بيحبها
ما يهونش عليه طلب يطلبه الأولاد.. أو حاجة أقول له أنا
نفسی فيها.. كل شقاه لنا.. لكن عيبه الوحيد معاملته.

نفسی مرة يقول لي تعالی نتمشي على الكورنيش، مش
عايزاه يأخذني في تاكسي ولا يقعدني في كازينو.. لكن يتمشي
معايا ايده في ايدي.. نتكلم كلام حلو ونقرقر لب.. ونقعد على دكة
ناكل ساندويتش.. يوم واحد في الأسبوع نقضيه في جنينة نضحك
ونجدد عواطفنا.

قلت كده مرة.. ثار.. وقال لي إيه شغل العيال ده.. سمعتي
الكلام ده في أي سينما.

وكلمة منه وكلمة مني انفعل جداً وتهور وشتهم.. تصور. وقلع
الشبشب من رجله ونزل على دماغی.. ساعتها والأولاد صرخوا

لا يا بابي.. بلاش يا بابي بلاش.. ودارت الدنيا بي وتبخر كل
حب في قلبي وشعرت بنفسي أموت.. منظره وهو واقف هكذا
عارى القدم والشبشب في يده.. وسحنته مقلوبة.. شيء فظيع.
ودعك من التفاصيل.. شيء في قلبي انكسر.. شيء في روحي
تحطم.. انهارت مثلي.. والقيم التي عشت بها وتربيت عليها أغلقت
فمى.. لم أتكلم.. خرست.

وطبعاً هو أفاق على الشبشب في يده.. وأصابه الذهول.. كيف
ضربني.. وحاول أن يعتذر.. ولم يجد كلاماً يقوله وأنا لم أجد عندي
كلاماً أرد به.. وخيم الصمت.. لا كلام ولا سلام.. انصرف عن
الطعام كالعادة.. ولكني هذه المرة لم أهتم.. غطست عامت
لا أهمية عندي.. اللي يعمله يعمله.

وتم الصلح التقليدي بواسطة أخته.. لأول مرة يطلب المعونة
من الخارج. لو أنه لجأ إليّ وطببط عليّ ساعتها وقال لي تنقطع
إيدي يمكن كان كل شيء اتصلح. لكن الاعتذار حينما يتأخر عن
وقته ويأتي بارداً بلا روح فإنه لا يغني.

المهم عادت حياتنا.. ولكن ظل ينقصها دائماً شيء.. علاقتي به
أصبحت عادية.. ولكن لا علاقات خاصة بتاتاً.. هو يحترم حزني
ولا يحاول أن يأخذ مني شيئاً بالقوة.. ونحن زوجان أمام الناس
فقط.

واستمر الحال شهراً.. شهرين.

وكاد قلبي غصب عني يصفو.

كنت أفكر دائماً في الأولاد.. ماذا يكون مصيرهم لو أنهم
ئبروا في هذا الجو من النفور والخصام، وتربوا في بيت يفتقر إلى
الحنان.

لكن أسامحه ازاي. حايسوق فيها.

وأنا إنسانة حساسة مرهفة الأعصاب تربيت في بيت يسوده
الوئام والاحترام.. ولى قيم ومثل عليا.

وكل هذا ينتهى إلى الضرب بالشبشب.

هل يمكن أن يحدث هذا في أى بيت فيه ناس متربيين مثقفين
جامعيين.

أنا محتارة.. أعمل إيه.

أنا تحطمت تماماً.. ولكنى أحب بيتي.. ولكن ليس بأى ثمن.

نوسة

* * *

بيني وبينك يا نوسة حكاية الشباشب دى منتشرة أوى في
البيوت المصرية.. وبالذات في بيوت المتربيين والمثقفين
والجامعيين.. والظاهر أنك ما عندكيش فكرة.

لا تظنى أننى أضحك.. ولكنى صدقيني الشباشب كعصا موسى
لها عندنا مآرب أخرى وهى أحياناً تنزل على رأس الزوج

وأحياناً على رأس الزوجة.. وأحياناً بالعدل والقسطاس على رأس
الاثنين.. وهذا لا يدل أبداً على رخص الزوجات.. بقدر ما يدل
على غلاوة الشباشب.. وأنتى عارفة أسامى الدلع التى تطلق على
الشباشب.. عارفة شبشب «زنوبة» وشبشب «شادية» وهى
أسامى تدل على التدليل والغلاوة.. وصدقيني لا توجد علاقة
إطلاقاً بين الشباشب والمثل العليا وأصحاب المثل العليا قد
يتقاذفون بالشباشب في ساعة يتحكم فيها الشيطان بدون أن
يحدث أى شىء للمثل العليا أو القيم.

أنت مخطئة تماماً في الربط بين الشباشب والمبادئ.. طبعاً أنا
لا يمكن أن أدافع عن الضرب بالشبشب كأداة لإبداء الرأى في
الحياة الزوجية.. ولكن إذا حدث «وهو يحدث كثيراً في حياتنا»
فليس معناه أن المثل العليا انهارت والقيم انتهت والخير لم يعد له
وجود في الدنيا والحياة أصبحت قطران وجحيم.. والموت أحسن
إلى آخر هذه الانفعالات الرومانتيكية المبالغ فيها.. أبداً..
لا يجب أن يزيد تقدير المسألة عن كونها لحظة تهور واندفاع..
وشكراً لله الشبشب كان أقرب شىء إلى اليد.. فهو سلاح مأمون
طرى لا ضرر منه.. وهو لا يجرح الكرامة جراحاً قاتلة كما
تصورت فالمسألة مسألة تعود.. وقبله على الخد بعد الشبشب..
وسينها سواريه آخر الليلة وحتة بسبوسة تاكلوها سوا في الشارع
وانتوا راجعين.. وحايبقى ضرب الحبيب زى أكل الزبيب..
المشكلة إذن مش مشكلة شبشب.. وإنما المشكلة في جفاف زوجك

وفي عنجهيته، وفي غرامه بالعنطرة والشخط والنظر، وفي شعوره بأن كلامه لا مراجعة فيه وأنه على حق مهما فعل.. فالدور عليك دائماً.. وهي عقلية رجال زمان.. عقلية غلط طبعاً ولكن للأسف ما زالت عقلية ٩٠٪ من رجالنا (السيد عبد الجواد في بين القصرين)..

وهو قطعاً يحبك ويموت فيك بدليل أنه يعطيك كل فلسه وعرقه وشقاه ويلبى أى طلب من مطالبك.. ولكنه «عقد» زى ما قلت لك.. وهو يتصرف بسلوكية موروثه عن الآباء والأجداد.

والحل الأمثل لتستقيم الحياة في البيوت ويتحقق أكبر قدر من الوفاق أن تتغير هذه العقلية.. ويسود الاحترام المتبادل كما تقولين ولكن إذا تعذر هذا.. وخصوصاً أنها مسألة طباع وتربية وعقلية ربما احتاجت إلى أكثر من جيل لتتطور.. أقول إنه إذا تعذر أن يتغير رجلك بين يوم وليلة وهو متعذر، فعليك أنت أن تكوني الطرف الذكى الذى يعرف كيف يتجنب الريح.. وكيف يلاين ويسايس.. خصوصاً وأن الحب وهو ما يهيك موجود وهو ملء قلب زوجك. ولكن المشكلة أنه لا يجيد التعبير عن حبه.

كل ما يبقى إذن هي الشكليات. في بيتك الحب والزواج والأولاد.. ولكن في ثوب خشن بدائى من الشكليات الموروثة.. المشكلة في صميمها مشكلة ثانوية تحلها السياسة والكياسة والملاينة.

وإذا درست زوجك فسوف تستطيعين الوصول إلى قلبه وارضائه بسهولة.. بل بأتفه السبل.. امنحيه الشعور بالسيادة ولو بكلمة فاضية وسوف يطير من الفرح ويصبح أطوع لك من بناتك بل سوف يضرب نفسه بالشبشب ويقول لك أنا إلى استحق أخذ من ده.

والحياة فن.

والفن هو أن نجعل الشبشب في خدمة المبادئ.

صراع..

بعد تردد طويل وحيرة بالغة أكتب إليك.

أنا فتاة في الثانية والعشرين أو على الأصح سأبلغها بعد قليل عرفت القلق والعذاب وتأنيب الضمير منذ كنت في الخامسة أو السادسة لا أذكر.. وكان هذا عندما حاول طفل يكبرني حوالي 5 سنوات أن يمارس معي لعبة الجنس.. وقتها كنت لا أخرج وحدي مطلقاً ولم يكن أبي يسمح لي باللعب في الشارع فقد كنت ابنة الأسرة المدللة برغم وجود أطفال غيري.. لكن الأقدار شاءت أن أنزل في هذا اليوم لأشتري حلوى من أمام المنزل.. وحدث ما حدث في مكان مظلم بفناء المنزل.. وأنا بالطبع لا أذكر التفاصيل ولكن ما أذكره أني بكيت كثيراً وتمنيت لو استطعت إخبار أمي ولكنني كنت خائفة وبت أشعر أني أصبحت أختلف عن كل الفتيات.

وجاءت المراهقة.. وجاءت معها بنوبات عصبية تنتابني بين حين وآخر. يسخن جسمي وترتعش أطرافي وتنتابني آلام شديدة وأظل في فراشي كالمحمومة حتى تنتهي النوبة.. وكانت تأتيني

النوبة أحياناً وأنا في المدرسة.. وكانت تضنني الآلام المبرحة فأظل أهرز ساقى وكأني أركب دراجة.. وأصبحت زميلاتي يعرفن عنى تلك العادة ويضحكن على.. وكنت اتعذب.. وكان عذابي يؤدي بي إلى الانطواء والعزلة.

ولكني ظلت أقاوم وأكافح.. وبمرور الوقت بدأت أسيطر على تلك النوبات وأتغلب عليها بالإرادة.

وحيثما دخلت المدرسة الثانوية كنت قد تغلبت على هذا الداء وبدأت أتحرر.. وبدأت أخرج من شخصيتي المنطوية وأتحول إلى فتاة مرحة تحب الغناء والرقص وتقرأ كثيراً وتنجح باستمرار وبتفوق.. أذكر في تلك الأيام أني أحببت طالبة زميلة لي كانت دميمة وبها عاهة وكانت من الأوائل.. وتحول حبي بها إلى هيام وتعلق غير طبيعي كنت أخجل منه.. وبلغ من حبي لها أن حاولت الانتحار حينما رسبت في مادة خوفاً من أن أبدو أمامها بليدة راسبة وكانت تكره كل من يرسب ويتخلف.. وأيامها كنت أغرق عذابي في الصلاة والتعبد وأقاوم عاطفتي الشاذة وأحارب ضعفي وانحرافي.

وانتهت الأزمة بسلام وانتصرت على نفسي بعد طول جهاد.. وانتقلت إلى السنة الثانية وابتعدت عن صاحبتى ونسيتها.. بل إنى أصبحت أضحك على نفسي وعليها وعلى عواطفى البلهاء.. بعد هذا أذكر أني بدأت أعجب بممثل مسرحي رأيته مرة واحدة

وكلمته وطبعاً كما حدث مع زميلتي أحسست أني أحب هذا الممثل
وأعبده وما كادت السنة الدراسية تنتهي حتى نسيتته تماماً ولم أعد
أشعر بوجوده.

وبعد هذا بدأت قصة لي مع جار يسكن بمنزلنا.. كان طالباً من
بلد عربي ظل يطاردني بالخطابات والأشعار والتوسلات.. ثم
تعرف بالعائلة وبدأ يتردد علينا ليعطينا دروساً وتوثقت علاقتنا،
ثم خطبني.. وحدث بعد هذا أن ذهبت إلى كليته وسألت عنه
فاكتشفت أنه راسب بشناعة في جميع العلوم.. وأنه يرسب كل
سنة.. وأنه مرفود.. واكتشفت بعد هذا أنه كذاب محترف، وأنه
كذب علينا في كل شيء، وبدأت أشعر أنه سخييف ومدع وفقدت
كل عاطفة نحوه وفسخت الخطبة.. وفي هذا العام رسبت ومرضت
وأجريت لي عملية جراحية وانحدرت نفسيتي إلى حالة تعيسة من
السوء كنت أقف طويلاً أمام المرآة وألاحظ أن حجم صدرى
ضئيل برغم جسدى الممتلئ وأشعر أن الانوثة تنقصنى، وكنت
أختار أكبر أحجام السوتيانات لألبسها ولا أكتفى بهذا بل أضع
قطعاً من القطن ليزداد حجم صدرى.. وطبعاً لم يكن أحد يلاحظ
هذا.. وكان كل من يرانى يقول عنى آخر أنوثة وآخر جمال..
ولكنى كنت أتعذب وأشعر أن الجميع مخدوعون فى جمالى.. وأنى
لا أساوى شيئاً.. وشمل الاضطراب حياتى.. لدرجة جعلتنى
انحدر إلى حالة من الطيش والحماقة فأغازل أحد أقربائى.. ولد
فاشل مسبب.. وأترك له نفسى يحتضنى ويقبلنى بدون رغبة

وبدون حب لمجرد التسلية وكمحاولة لإغراق همومى وآلامى..
وطبعاً كانت حكاية منفرة جداً لدرجة أثارت اشمئزازى
واحتقارى لنفسى.. ولدرجة أنى أفقت تماماً وعدت إلى صوابى
واعتصمت بالله وتبت واستغفرت ولم أعد إلى مثل هذا العمل.
وبعد ذلك دخلت الكلية بقلب كسير ونفس مثقلة وبدأت
أتردد على طبيب أعصاب قال لى علاجى فى النجاح.
وحاولت أن أغرق همومى فى الكتاب.. وأشغل نفسى
بالمذاكرة.

ثم التقيت به.. رجل غير كل من عرفتهم.. معتد بنفسه
لدرجة الغرور.. قوى الشخصية متفوق فى دراسته رزين ناضج
جذاب شائق الحديث.. كان يشجعنى على المذاكرة.. ويبث فى
نفسى التفاؤل.

وبدأت أحس بعاطفة من نوع جديد.. كنت أشعر بالراحة
وأنا معه.

ونمت علاقتنا وتحولت إلى حب عميق متبادل.

ثم حدث مصادفة أن عثر فى أجندة قديمة على سطور كنت قد
كتبتها لحبيبى الأول الذى كنت مخطوبة له.. وكانت سطوراً
تنبض حباً وشاعرية.

وفجأة تحول العاشق الهادئ إلى رجل مجنون غيور يطاردنى
بالأسئلة وتحولت لقاءاتنا إلى محاكمات سخييفة لا تنتهى وفى كل

مرة يطلب مني أن أحلف ألف يمين أني لم أحب أحدًا كما أحبته..
وأن أحدًا لم يقبلني وأن أحدًا لم يمسك يدي.. إلخ.. إلخ..
وكنت أشعر بالإشفاق عليه.. وأعذره.. وأحاول أن أترضاه..
وكان في نوبات جنونه يهجم على محاولاً أن يقبلني بعنف.. فأرده في
غلظة.. فيثور ويصفعني ثم يعود فيعتذر.. ويقول لي.. كيف يكون
هناك حب بدون قبلات.. لا بد أني لا أحبه، وأنا أعترف بأن
مشاعري أصبحت متناقضة.. أشعر أحياناً أنه كل حياتي، وأحياناً
أخرى أشعر أني واهمة وأن ظروفى ومتاعبى النفسية هي التي
تجعلني أتعلق به لأشعر بالطمأنينة وأغالب الوحدة والشعور
بالنقص.

أحس في قرارة نفسي أنه لن يتزوجني حتى ولو كان يحبني،
لا أدري لماذا أحس بهذا.

أصبحت أكره نفسي وأكره حياتي.
حولى الكتب لا أستطيع أن أفتحها وقد نجحت في العام
الماضى بتقديرات لا بأس بها برغم كل الظروف.. ولكنى أريد
أن أنجح هذا العام نجاحاً مشرفاً.. أعيش في عذاب لا حدود له.

ماذا أفعل..؟
لا أسارى.. وشمل الاضطراب يحول الحائرة م. أ
القاهرة

رسالتك تدل على يقظة عقلية وفطنة نفسية وحساسية شديدة
ونمو في الشخصية حدث عبر صراعات دامية وعقد وأزمات.
وأنت قد توصلت إلى مفاتيح مشكلتك.. فما بينك وبين
صاحبك ليس حباً.. وهو لن يتزوجك مهما بلغ به الوجد فهو ليس
أكثر من وحش جريح جرحه اكتشافه أنه كان الرجل الثانى في
حياتك، كل ما يسعى إليه هو أن يجرحك كما جرحته ثم يتركك..
كما أن ما تشعرين به ليس حباً إنما هو الوهم الذى تغالبن به
ظروفك ومتاعبك النفسية بحثاً وراء الطمأنينة ومغالبة للوحدة
والشعور بالنقص كما قلت.. وهى الدوافع التى ألفت بك فى سبيل
العلاقات التى تورطت فيها علاقة بعد أخرى.

وقد آن الأوان لشخصيتك أن تتكامل وتندمل جروحها
وندوبها، وأن لك أن ترفضى هذه الوسائل المريضة. فأنت أقوى
مما تتصورين بكثير.. وحياتك كلها انتصارات على نفسك وعلى
ضعفك.

اقطعى علاقتك بالرجل.. ولا تتورطى فى أية علاقة أخرى.
واخلعى السوتيان الكبير وألقى بقطع القطن.. وتذكرى أن
الصدر الصغير جميل يوحى بأنوثة مهذبة.. وأن الصدر الكبير على
العكس يجعل المرأة تبدو كالبقرة.

وعقيدتى أنك سوف تتغلبن على ضعفك وسيكون لك فى يوم
من الأيام شأن عظيم.

نهاية القطة والكتكوتة

كنا خمسة أولاد لأسرة فقيرة.. عائلها رجل عامل يكدح بيده.. وبرغم ذلك فقد بذل ذلك الأب المكافح الطيب كل جهده وربانا نحن الثلاثة الذكور في الجامعة حتى تخرج أكبرنا الطبيب.. والأخت الصغرى أدخلها المدرسة الثانوية والأخت الكبرى زوجها.. وكانت نتيجة هذا الكفاح المر والتضحية المستمرة أن مرض بأعصابه.. فأصبح يتهيج ويثور لأقل سبب.. ثم حاول أن يجد العلاج في الخضوع لتصاريف الدنيا.. وزى ما ترسى دق لها.. فهذا على الأقل أفضل من الجنون.. وهكذا انتهى أمر قيادة البيت إلى يد الأم الجاهلة.. وليس الأمر أمر الجهل وحده.. وإنما هو جهل وسيطرة وسوء إدارة وسوء تقدير وسوء تربية.

وكانت ضحية هذه السلطة الجديدة الغبية هي البنت الصغرى فقد احتضنتها الأم ودلتها.. كل ما تطلبه يجاب في الحال.. بنتي الحلوة الكتكوتة.. القطة.. وهي قطة بالفعل وحلوة بالفعل وهذا جعل الضرر مضاعفًا.. كل يومها تقضيه أمام المرأة تسبب شعرها وتستعرض نفسها بالفستان المحزق.. إيه القوام الغزلاني

ده.. والنبي لأخليكى تجنى شبان الحتة كلهم.. ياترى فين الرجالة ييجوا يشوفوا.. أقل من ألف جنيه مأخدش مهر فيكى الحلوة دى اتخلقت عشان العريبات والأماطات والفيلات والحراير.. يا أرض احفظى ما عليكى.. حصوة فى عين اللى ما يضيعشى عمره عليكى.

والبنت عينها فتحت.. بقت تخش الحمام تغيب فيه بالساعة والأتنين، وتطلع من الحمام تتخايل.. وتقف قدام المراية وتقلع وتحسس على وسطها وصدورها.. وتتسمر فى الشباك.. وتتمخطر فى الراححة والجاية.. وتغنى.. بلاش تبوسنى فى عنيه دى البوسة فى العين تفرق ونقوم وننام على حب فى حب.. ومن سحر عيونك ياه.. (تنطقها ياح).. وهى تغمز وتلمز مثل صباح.. والأم تصفق وتأخذها بالحضن.. وكتكوتى.. وقمورتى.. ونحن الرجال نصرخ احتجاجًا على هذه الخلاعة.. والأم تصرخ فينا وتمسك الشبشب لكل من يرفع صوته فى القطة الكتكوتة.. وأبونا تعبان وضع صوابه فى الشق وترك الدنيا للديان وأصبح رجلاً محطاً لا حول له ولا قوة.. والمصروف أعطاه للست والبيت تركه للست تفعل فيه ما تشاء.. والراجل معذور، عمل اللى يقدر عليه واتهد حيله.

والمصروف يجرى من ايد الست لايد البنت.. واللبس والوجاهة وزجاجات الكولونيا للبنت الكتكوتة.. والكتكوتة ترجع من المدرسة ترمى الكتب على طول ذراعها وتتحزم وترقص عشرة بلدى، وتحت الشجر يا وهيبة.. ياما كلنا برتقال..

وترعش وسطها ولا كاريوكا في زمانها.. والأم تصفق على
الواحدة.. وأنا حتجنن لكن حاعمل إيه.. حاضريها ولا حاضرب
أمي.. ولا حاضرب نفسي بالرصاص.

وبعدين الحكاية زادت.

والبنت اللي كانت بترجع في مواعيد المدرسة بقت ترجع
متأخرة بالساعة واللاتنين.. وكنت فين يا بنت.. وتطلع الأم تبجح
فينا. وأنت مالك يا ولد.. انجر خش جوه شوف شغلك ذاكر لك
كلمتين بدل ما تعمل راجل علينا.. طيب حاضر انجريننا.

والحكاية كل يوم بتزيد.. والبنت ابتدت تمشى مع الولاد
الصايعين في الحتة.. كل يوم أشوفها مع واحد.. وأجى اتكلم تطلع
الأم تكذبني وتدافع وتقاوح.. وأخبت ما في الأمر أني كنت أشعر
أن هذه الأم تجد لذة داخلية كلما شعرت أن ابنتها سحرت رجلاً..
وأنها أصبحت معشوقة الكل، وكأنها هي التي تتلقى الإعجاب
لا ابنتها.. (أمي بهذه المناسبة دميمة لم يقل لها أحد كلمة إعجاب
في حياتها ولم يكن لها ضحية غير أبي الغلبان وعيلتنا المنكوبة).

وكنت أتصور أحياناً أنها لو كان باستطاعتها جلبت لابنتها
الرجال.. وجلست تتصنت إلى ما يدور بينها وبينهم من وراء
الجدران.

كان ما يجري أمامي شيئاً فظيماً.. كنت أمام أم مريضة وأب
انتهى.. وبنت سايبة، وكان أوان العلاج قد فات.

كنت وقتئذ بالبيكالوريوس بإحدى كليات جامعة القاهرة..
عقلي مشتت بين المذاكرة ومراقبة البنت.. والبنت كانت أيامها
بلغت الثانوية العامة، وبقت طول بعرض بصدر، والسمعة قدامها
ووراها، والعربيات بتركن جنب باب المدرسة.. وتوصلها للبيت
مرة ضابط، ومرة كويتي، ومرة ولد مسبب وارث.. مظاهر النعمة
بدأت تبان.. قزايز بارفان القزازة بعشرة جنيه.. بلوزات مكتوب
عليها ماركات من باريس.. وأطقم داخلية: كلسونات
وسوتيانا، فضيحة.. بتلبسهم لمين.. وجابتهم منين.. وشنا بقي
لون الهباب قدام الناس.

والظاهر أن كل هذه الحركات لم تكف القطة الكتكوتة..
فبدأت في مصيبة جديدة.. كانت تنتظر حتى ننام كلنا، وتتسلل
خارجة، وكان لها في هذه الأثناء صديق سعودي.. وصديق أردني..
وصديق كويتي.. تصور.

ثم بدأت ألاحظ جلسات سرية طويلة بين البنت والأم تدور
فيها الوشوشة.. وكانت البنت تبدو لي شاحبة متغيرة مرتبكة.. ثم
فهمنا أن الأم تدبر خطة سريعة لتزوج ابنتها أي جوازة والسلام،
وأن اختيارها وقع على شاب غلبان خجول وطيب.

وتقدم الغلبان وتمت الجوازة.
وحدث ربنا.

وأشهد أنها أخلصت لزوجها مدة عام ثم بدأت تعود إلى

نشاطها.. صديقها السعودي كان قد توفى في حادثة.. فبدأت تمشي مع أبيه.. تصور.. راجل في سن جدها.. ورجل آخر من دين غير دينها تسافر له الاسكندرية كل أسبوع بحجة أنها ذاهبة لأخيها ثم تببت طبعاً عنده.. وثالث يدعو زوجها إلى الاوبرج وعمر الخيام وصحارى سیتی كل ليلة ليسهر معها طبعاً لا معه.. وغيره وغيره، وكلهم يشتركون في صفة واحدة.. أنهم أغنياء عندهم فلوس وعربيات.. ليس الحب ما تجرى خلفه.. ولكن المتع الترفيحية.. الفسح والرقص والعربيات والسهرات والفساتين. وأعجب ما في الأمر حينما تأتي سيرة هذه العلاقات الحقيرة أمام الأم، أشعر أنها تقرض أسنانها من اللذة.. وكأنها تغيظنا وتكاد تقول.. شايفين بنتی.. الرجالة بيتكفوا وراها ازای، وتلمع عينها وكأن الحيوان داخلها يشفى جوعه ونهمه إلى شيء خبيث.

أما موقف بقية العائلة.. الأخت الكبرى المتزوجة تعيش لأولادها وبيتها وتبتعد بنفسها عن هذه المشاكل.. والأخ الأكبر الطبيب أصبح سلبي التفكير بعد أن تزوج.. لا يحاول أن يتدخل في شيء.. وتقلصت علاقته بنا إلى مجرد المجاملات والسلامات والترحيب الزائف.. الأخ الثاني يعيش في حيرة وألم وتمزق، وقد ابتعد عنا أخيراً في محاولة للهروب.. أبى فقد القدرة على أن يسوس نفسه وانهار تماماً. أنا وقد تخرجت الآن وتوظفت أعيش أشلاء حياة.. احتقر

نفسی، واحتقر أُمی.. واحتقر أختی.. واحتقر الدنيا كلها.
لا أعرف كيف اتصرف.

كيف أردع هذه الأخت الضالة وأعيدها إلى صوابها.
كيف أنقذ ما تبقى من الحياء؟
بماذا تنصحنی؟

ج. محمد

لقد فات وقت الردع.. ولم يتبق هناك حياء لتنقذه.. وانتقل واجب التأديب من يديك.. لتقوم به الدنيا بنفسها.

الدنيا هي التي سوف تعطي لأختك الدرس.. وسيكون درساً مريراً قاسياً، وسيكون مقنعاً أكثر من أي نصيحة تفكر فيها. إن خيوط المأساة قد تعقدت.. ولم يعد هناك مجال لإصلاح، ويبدو أنها تسير بسرعة إلى نهايتها.

إن أختك لم تشعر أبداً أن الاحترام والكرامة والعفة والشرف يمكن أن تكون لها قيمة مادية.. ولكن في الحقيقة هي في النهاية تثبت دائماً أنها ذات قيمة مادية أبقى من العربيات والأماطات.

إن المقامر قد يكسب في لحظة واحدة ما أكسبه أنا وأنت في كل عمرنا، ولكنه سوف يخسره في اللعبة التالية وفي اللعبة الثالثة سوف يقترض ليلعب.. وفي اللعبة السادسة سوف يطلق على نفسه الرصاص أو يدخل السجن.

أما أنت فتكسب قليلاً كل يوم.. ولكن هذا القليل يعيش
ويتراكم وتكسب معه أصدقاء وإخواناً.. وتكسب معه الثقة
والتقدير وحسن السمعة.. وفي النهاية تصنع من كل هذا نجاحك
المادى وثروتك التى تشتري بها عربة.. وهى عربة حلال.
إن الأخلاق لها قيمة مادية بالفعل.. قيمة مؤجلة لكنها أكيدة،
أما الكسب الرخيص فإنه يأتى ومعه وسائل إنفاقه.. ويأتى ومعه
وسائل القضاء عليه.. أختك لا تفهم هذا.. ولكنها سوف تفهم
قريباً.

أما أنت.. فنصيحتي لك أن تنقذ نفسك.. لا أختك.. انس
الموضوع.. وإذا كانت إقامتك فى البيت تجعلك مطارداً
بالاشاعات، فاترك البيت واستقل بحياتك، على أن تظل على
اتصال دائم وتعاطف ودود مع أبيك فى شيخوخته.. فأنت ضحية
أختك.. ولكن أباك ضحية الكل.. ضحية تفانيه فى تربيته أنت
أيضاً.

تذكر أن كلاً منا يحمل طائرته فى عنقه.

مؤسسة البهايم المتحدة

سنى ٢٢ سنة، عامل أحمل مؤهلاً صناعياً متوسطاً واشتغل فى
إحدى الشركات بأجر شهرى ١٦ جنيهاً.

حياتى تتلخص فى عمل متواصل يبدأ فى الصباح حتى المساء.
باستثناء ساعة التقط فيها أنفاسى وابتلع ساندويتش فول، ثم
أعاود العمل حتى آخر الوردية.. ومن الشركة إلى البيت إلى
المقهى حيث ألعب النرد على أقاصيص الحب والمغامرات التى
يحكيها زملاء الحى.. حتى منتصف الليل. فأذهب إلى فراشى..
ويكون آخر ما يدور فى خيالى قبل النوم صور شباب الحى، كل
واحد فى أحضانه واحدة.. وأنا أتقلب على فراش مهجور على جمر
الحرمان بلا حب.. بلا أمل.. لا أعرف للمتعة طعماً ولا أسمع
عن اللذة إلا فى الروايات.

كان لا بد أن فكر فى الزواج وأن أتطلع إلى الزواج، وبالموارد
الضئيلة التى أحصل عليها لم يكن هناك أمل إلا إذا تفضل على
واحد من أهل الخير فى العيلة ودفع المهر.

اتجهت إلى أبى فرفض.. وخالى رفض.. وكل واحد اتجهت

إليه تجههم في وجهي أو ضحك وصرفتي ساخرًا.. حتى الواحدة التي فكرت أن أخطبها، وكانت طالبة في سنة أولى تجارة ثانوية رفضت، وقالت إنها لن تتزوج إلا بعد أن تتم دراستها.

وضاقت الدنيا أمام وجهي وقررت أن أترك الأهل والبيت وأبتعد عن الحى كله وأسكن وحدي.

واخترت مسكنًا قريبًا من عملي في حي الإبراهيمية.. وهو بيت تملكه أرملة في الخامسة والأربعين.

ولم أحاول أن أختلط بالوسط الجديد الذي انتقلت إليه.. ولم أكن التقى بالمرأة صاحبة البيت إلا يوم أول الشهر لأعطيها الإيجار. ولكنها كانت البادئة في مبادرتي بالكلام.. وكانت تعرض خدماتها في كل مناسبة.. وكانت تأخذ مني المفتاح لتنظيف الشقة، وحينما كان يفرغ ما عندي من جاز وسكر وشاي كانت تمدني بكل ما أحتهج من عندها وترفض أن تأخذ مليمًا.. وكانت أحيانًا تدخل المطبخ لتعد لي غدائي وأحيانًا تدخل الحمام فتجد قطعة من ثيابي فتسرع في غسلها.. وبتواجدنا معًا في الحمام مع رفع الكلفة والألفة كانت تغالني بالغمزة واللمزة وبالكلمة التي لها معنيان.

وتحالفت عليّ الخلوة وسنوات الحرمان والمراهقة.. وصورتها لي كأجل امرأة في الدنيا.. ولما لبثت أن أصبحت عبدها وطوع بنانها ورهن إشارتها.

أحببتها بجنون.. وكنت أدللها كأنها طفلي.. هي العجوز الدميمة بنت الـ ٤٥ خريفًا.. وغرقت في عشقها لأذني.

ولأول مرة كنت أصحو في الساعة الثانية عشرة ظهرًا لأجد نفسي بين ذراعيها.. وطبعًا أصحو من النوم أنام تاني على رأى المثل.

وبدأت أتغيب من عملي.

وتعددت مرات غيابي.. وأنذرت مرتين بالفصل.

وصارحتها بالحكاية.. وقلت لها كفاية بقي.. ابعدى عنى خليني أكل عيش، ولكنها قالت لي وهي تضحك.. ولا يهملك.. إيه الشغل بتاعك ده اللي فالقني بيه.. سيبك منه.. أنا عندي فلوس كثير، اتجوزني وأنا اشغلك وكيل في جمع إيراد التلات بيوت التي أملكها بمرتب يوازي مرتبك في المصنع أربع مرات وزيادة.. ومن يومها بدأت أفكر.

ولكن كيف أفكر، وهي لا تترك لي عقلًا أفكر به.

والعرض مغر بيني وبينك.. والمنصب الجديد مش بطل.. والحمد لله على المؤهلات.. صحيح هي بالنسبة لي عجوز كركوبة.. لكن هذه الحكاية أصبحت بحكم التعود لا ألحظها إلا حينما يذكرني بها الغرباء الذين يلاحظون علاقتنا.

وأحيانًا أشعر بالحيرة من أمر نفسي، كيف أبيع نفسي لمثل هذه العلاقة الحيوانية.. ولكني ضعيف.. جدًا.

وطبعًا لا أحد يكره الراحة.. والكسل أحلى من العسل..
وتصور عامل بيتشغل بـ ١٦ جنيه لم يعرف الحب ولا الحنان، ولم
يذق متعة ولا أمل له في الزواج بمرتبه الكحيان.. وكيف يمكن أن
يعول أسرة في الظروف الحالية بستة عشر جنيهًا في الشهر يبقى
إيه لازمة البطر.

وكيف أرفس نعمة جاءت تسعى إلى باب بيتي..
وهي عجوز دميمة، ولكن في سواد الليل يستوى الجمال
والدمامة وتتشابه كل نساء الأرض.
أنا تعبت من التفكير.. ربحني وقول لي، أتجوزها.. أو
ما أتجوزهاش.. عاوز كلام اقتنع به.. مش مواعظ.

عبد الحميد

* * *

لو أنك ذكرت لي في سطر واحد كلمة أن هناك ما جذبك في
هذه المرأة غير المسألة الحيوانية.. كلمة واحدة عن جاذبية
شخصيتها أو روحها أو أخلاقها أو عقلها؟!
في أحسن العائلات يتزوج ابن العشرين بنت الأربعين أو
العكس ويحفظ لنا التاريخ حالات تفاوت فيها السن بين الزوجين
تفاوتًا كبيرًا ونجح الزواج.. ولكن دائمًا كان هناك شيء غير
العلاقة الحيوانية هو الذي جعل الزواج رباطًا باقياً ناجحًا.
ولكنك لم تذكر لي خلة واحدة أحببتها في صاحبك غير

الحيوان الذي فيها.. وقد تعارفتما في الحمام.. والمؤهلات التي
ستوظفك على أساسها وهي مؤهلات مخجلة جدًا يشترك معك
فيها الحمار بل ويتفوق عليك.

وأول ما يفتر في الزواج دائمًا هو العلاقة الحيوانية لأنها تصبح
ميسرة جدًا ومتكررة مما يؤدي إلى الشبع ثم الملل ثم الفشل التام
في الزواج، إذا لم يكن في الاثنين ما يحب سوى هذه الحكاية لأنها
تصبح حكاية انتهت.

وأنت كلامك عن صاحبك أنها الكركوبة العجوز الدميمة
بنت الـ ٤٥ خريفًا.. فهي إذن شيء كرهه.. لولا ظروف حرمانك
ومراهقتك.. لما نظرت إليها.

إن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى تفكير.

إن العلاقة بينكما أدت دورها وانتهت.. وتفكيرك في الزواج
لا يحدث باغراء من أنوثتها.. ولكن باغراء فلوسها.. ليس
عرض العمل.. ولكن عرض البطالة التي تعرضه عليك.. وإغراء
الصياغة والتعطل والتكسب من عرقها ومن بيوتها.. وهو الذي
يزغلل عينك.

وهو عرض غير مضمون.. فقد ترفدك من هذه الوكالة إذا
وجدت حمارًا غيرك يقوم بالوظيفة، وهي لا بد واجدة.. فما أكثر
الذين يسارعون إلى الكسل الذي هو أحلى من العسل.

والمنصب لن يكون مريحًا بالدرجة التي تتصورها.. قد يكون

مريحاً من الناحية المادية.. ولكن سوف يكون متعباً من الناحية النفسية.

إحساسك بأن هناك امرأة اشتريتك. إنك تعيش على مالها وعرقها.. وإنك لا تملك سريرك الذي تنام عليه ولا كرسيك الذي تقعد عليه، ولا تملك شيئاً في بيتك إلا صرة هدومك. كل شيء ملك الست.

والست هي المدير وأنت الفراش.

حانتعب.. صدقتي.. وإيه النهاية.. إيه الضمان في الوظيفة.

وأنت عايش من غير إرادة ومن غير إمارة.. لابس راجل بس ثم لا ضمان إلا مزاج الست ورضاها.. يوم حانتزهدك حاتلاقي نفسك في الشارع ووراك صرة هدومك.

وامرأة جاوزت سن اليأس لن يكون لها أطفال.. حاتعيش بوزك في بوزها.

ساعتها حاتفتكر أيام الشركة وحاتحس أنها كانت جنة.. وأن حياتك بعرق جبينك أجمل وألذ من حياتك في مؤسسة البهائم المتحدة اللي ربطت نفسك فيها زى الطور.

ده رأيي.. وأنت حر.

ليلة الزفاف

أنا شاب سني ٢٥ سنة من أسرة ريفية أسكن في مدينة قريبة من بلدتي حيث أعمل في إحدى المصالح الحكومية.. شغفت في صباي بالرياضة ومارستها وحققت فيها بطولات عدة.

كثيراً ما تحدثت مع بعض أصدقائي حول الزواج ومشاكله وما يلاقيه الرجل فيه خاصة الليلة الأولى حيث يعجز الكثيرون عن القيام بها وكانت لهذه الأحاديث أثرها في حياتي وتفكيري، فكنت أبتعد عن التفكير في الزواج خشية الفشل الذي ألاقه في ليلة الزفاف.

وظلت أُمي تلح عليّ وتزني لي الزواج من ابنة خالي، والواقع أني كنت أحب ابنة خالي وأتمنى الزواج ثم أعود فأتهيب الليلة الأولى في نفسي.. وأكره الزواج وسيرته.

ولكن الحياة وسنتها أقوى منا ومن تهيبنا كما تعلم.. والبنت استوت.. وبقت قمر ليلة اربعتاشر.. وأصبحت عيونها تتكلم.. ولغة العيون أقوى من لغة الوسوس.

وهكذا حدث المحذور.. ووافقت.. ولا أعرف كيف وافقت
ولكنه النصيب.

وظللت أعيش في رعب منذ قرأنا الفاتحة.. وأحلم كل ليلة
حلمًا واحدًا لا يتغير.. إن الباب يغلق على أنا وزوجتي في الليلة
الرهيبة.. وأن رجولتي تخذلني.. وأن وجهي يصبح في سواد
الهباب.. وظللت أسوف في كتب الكتاب.. وأوجل فيه ما استطع
وانتحل المعاذير.

ولكن المعاذير كانت إلى نهاية..
ولم أجد ما أقوله.. وتم كتب الكتاب.

وجاءت ليلة الامتحان.
ومهما أوتيت من قوة الوصف فلن أستطيع أن أصف لك
عذابي.. والأهوال التي عشت فيها.
كانت رؤية منظر العروس وقد أعدوها لي يخلخ مفاصل
ويشيع الرهبة في كياني.

سؤال واحد ظل يلح على.
ماذا سأفعل إذا فشلت.

ماذا سأقول؟
وكيف أتصرف.
هل أنتحر، أم أموت خجلًا.. أم أذوب من إحساسى بالهوان.

وصف لي أحدهم وصفة بلدية، حبوبًا ومرهبا.. وشرابًا فيه
بعض أعشاب مقوية.

ابتلعت الحبوب.. وجرعت الشراب وكان مرًا كالعلقم.. لبست
حجابًا قال لي أحد المشايخ انه موصوف للحالة التي أخشى منها..
وقال إن فيه كلامًا مبروكًا يجلب الوفاق والمحبة ويمنع الربط.
كنت أرتجف رجفًا.

ولو وصفوا لي بتر ذراعى لتواتيني القدرة لبترتها راضيًا..
ولفرط خوئي.. كانت لحظة اللقاء الحاسمة شيئًا كالهول
بالنسبة لي.

وكانت عروسي في زفافها جميلة كالبدنر.. وكان جماها عذابًا
زادني ارتباكًا على ارتباك.. وكانت نظراتها الحلوة تنزل كالكرباج
على وجهي.. فأنكس بصرى إلى الأرض ولا أقوى على رفعه إلى
وجهها.

ومرت الليلة كأسوأ ما تكون الليالي السوداء المشنومة..
وانهرت إلى جوارها في خذلان أسبح في عرقى وأخفى وجهى في
الجدار.

وصممت منذ تلك الليلة ألا أكرر المحاولة.
ولألتمس لنفسي المعاذير أمام الناس.. طلبت من رئيسى في
الوظيفة نقلى لوردية الليل حتى أتجنب هذا الموقف وأقضى الليل
بعيدًا عن البلاء وأسبابه.

ومرت أيام قليلة بالنسبة لي دهوراً وأجيالاً وقروناً من القلق واليأس والألم والندم والحسرة والحيرة أمام المستقبل وما يخفيه.. وأشد ما كان يؤلمني هو معرفتي ويقيني بأني طبيعي.. وأن الخوف والارتباك هما الجاني الحقيقي والسبب الخفي لمأساتي.

وفوجئت بعد الأيام القليلة بأمي تفتحنى في الموضوع. إذن فقد صارحتها زوجتي بالحقيقة.

وبعد قليل لا بد أن ينتشر الكلام وتتسع دائرة الفضيحة ويعلم الجميع وأصبح مهزلة.

وشعرت أني أموت من الهم والكد.. ولكني غالبت نفسي وطمأنت أُمي بأني سوف أحقق لها رغبتها.

وفاتحت صديقاً عزيزاً في مصيبتى فشجعني وأكد لي أنه مر بهذه المرحلة وأنه الآن سعيد وموفق مع زوجته وله طفلان فتشجعت وعاودت المحاولة وأنا في قرارة نفسي فزع يائس أقاسى الويل. وطبعاً فشلت مرة أخرى.. وأخرى.

وعشت في تفكير أسود.. أنتقل من كابوس إلى كابوس.. المخرج الوحيد الباقي هو أن انتحر واستريح.

الموت هو راحتي. وحدثت في هذه الاثناء المفاجأة التي نزلت على كالصاعقة..

قالت لي زوجتي ذات صباح أنها حامل.. حامل؟؟! أم أموت فجلاً.. لم أعلمني بكلامها..

وممن.. وتظاهرت بالفرح الأبله.. والشك يشتعل في أحشائي.. وعيناي تتلفتان في كل وجه دخل أو خرج من البيت. كل رجل زارنا أصبح في نظري هو النذل الخائن الذي فعلها، وكل بعيد أو قريب تردد علينا أصبح هو الأب الحقيقي لهذا الجنين غير الشرعي.

وهو لا شك يعرف ذلك وينظر إليّ في سخرية. وتغيرت معاملتي لزوجتي فأصبحت أثور في وجهها لأتفه الأسباب وأتمنى لو أقوم من نومي فأجدها ميتة.. وأضربها وأتمنى أن تجهض ما في أحشائها.

وطبعاً لم أصارح زوجتي بشكوكي، ولم أصارح أحداً سواك لأنني أردت أن أضع الحقيقة كلها أمامك.

والآن ما رأيك.. هل أنتحر.. أم أطلقها وأخلص نفسي وأخلصها.

وهل أنا مريض بالوهم.. أم مجنون.. أم مخدوع؟

«.....»

* * *

أولاً: أحب أن أطمئنك بأن الجنين الذي تفكر في قتله واجهاضه هو ابن شرعي.. وانه منك.. وأنت أبوه.. وأن الحمل

يمكن أن يحدث من الخارج.. وأن هذه الحادثة لها سوابق طبية كثيرة.

وأن مشكلتك هي أصلاً مشكلتك مع نفسك.
وأنك أخطأت التصرف من البداية.

ومن العيوب الشائعة في بلدنا.. التقليد المتعارف عليه بتحديد ليلة الدخلة، وهذا يجعل منها ليلة امتحان ينتظر نتيجتها جميع الأطراف ويؤدي إلى توترات نفسية شديدة عند العروسين.. وهي توترات قد تؤدي إلى الفشل بالرغم من القدرة الطبيعية عند الزواج.

وما يحدث هو نتيجة الخوف عادة كما يهرب دم التلميذ وتهرب الأجوبة من دماغه ساعة جلوسه أمام ورقة الأجوبة في اللحظة الفاصلة.

وعلاج هذه المضاعفات السيئة يكون بالإقلاع عن تقاليد ليلة الدخلة.. واعتبارها ليلة غير محددة الميعاد.. فبعد كتب الكتاب تصبح الزوجة من حق الزوج على أن تكون المعاشرة الزوجية رهنا بظروفها.. وبهذا يخالط الزوج زوجته بدون مشروع سابق ونية سابقة عند الزوجة أو الزوج بعمل شيء.. وبهذا يزول الخوف بزوال الترقب والانتظار.. ويعتبر الاثنان الليلي الأولى مجرد محاولات لرفع الكلفة.. وهي محاولات سوف تتسم بطبيعتها

بالبراءة.. وتكون الوسيلة التدريجية لتهيئة الجو في النهاية بروح من الود الكافي.

أما تقاليد ليلة الدخلة.. وانتظار الأقارب المنديل الملوث بدم البكارة على الباب.. وتوتر أعصاب الزوج.. ورعب الزوجة، فإن كل هذا ينتهي إلى حالة من الوحشية والقسوة هي أشبه بالاغتصاب منها بالتراضي.. وهذا يؤدي بدوره إلى تعقد الزوجة طول حياتها من العلاقات الزوجية.

كل هذا الكلام خاص بما يجب أن يكون وبما يجب أن يحدث.
أما في مشكلتك وبعد أن حدث ما حدث.. فاعتقادي أنك بإمكانك أن تنجح في أن تكون زوجاً موفقاً.. هذا بشرط أن تطرح من ذهنك حكاية الحمل غير الشرعي والخيانة المزعومة.. وتتصرف كابن ناس، وتعالج خوفك بمعرفة طبيب نفسي.
وبعد هذا تبدأ حياتك الزوجية من (أ، ب) الصداقة إلى الحب إلى العلاقة الكاملة في تدرج طبيعي خال من التعجل والتوتر والعصبية.

صحت ذات ليلة على صراخ الأطفال.. وتفقدت أمهم فلم أجدها.. سألت نفسي: أين يمكن أن تكون قد ذهبت في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولم أجد جواباً.

جلست مع الأطفال ألاعبهم بالرغم من تعبى ومرضى حتى بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، حينما سمعت صوت عربة تقف أمام الباب وصوت رجل يقول.. باى باى.. مع السلامة يا شيرى، والباب يفتح وتدخل الهانم تترنح وتغنى ورائحة الخمر تفوح منها.

سألتها: كنت فين يا هانم؟
ردت علىّ في تبجح: إنت مالك.. إنت جاى هنا شاويش علىّ.
مش محمد ربنا إني مستحملك ع البلاوى إالى عندك.

نظراً للبلاوى إالى عندى سكت.
ولكن الفضائح تكررت.

كل ليلة تخرج الهانم بالليل لتعود في الفجر، وتوصلها كاديلاك.. أو شيفروليه.. أو فيات ١١٠٠ حسب التساهيل.
وفي كل مرة تدخل في زفة من الضحكات المخمورة.. فإذا فتحت فمى لعنت أجدادى.. وأنت جاى هنا عشان تحبس دمي.
أنا حرة.. خد الملايم بتوعك واتفضل. أنت كل ليلة حاتفتح لى محضر.. أنت كل ليلة حاتقعد لى زى قرد قطع.. أنا مش عاوزه نكد.. إالى مش عاجبه عيشتنا يورينا عرض أكتافه.

باى باى يا شيرى

سنى ٦٣ عاماً.. بلغت سن المعاش منذ سنوات وتوفيت زوجتى وتناوبت علىّ العلل والأمراض من سكر إلى ضغط دم إلى تصلب شرايين.. هذا بالإضافة إلى وحدة وشيخوخة وبطالة.

شعرت بالعزلة والغربة وتعاسة السن.
اقترحت ابنتى أن أعيش معها.. وشجعنى على هذا الاقتراح أنها تسكن بمفردها وأن زوجها يعمل أغلب شهور السنة في الخارج.

رحبت بى وأكرمتنى فوق ما كنت أتصور.. لكن سرعان ما ظهر لى سبب هذا الإكرام.. فإذا به إكرام مثل إكرامنا للبقر.. نطعمه لناخذ منه اللبن والزبد.. كانت تقلد المرحومة أمها تماماً فتأخذ المعاش أول الشهر في نظير اللقيمات التى تقدمها إالى.. أما ما أحججه من دخان وشاى وقهوة فهى كماليات لا لزوم لها ويحسن أن أكف عنها.. وإذا كان عاجبك.

عجبنى.. وصبرت عسى أن يأتى الفرج.
وأخيراً جاء الفرج.. وياليتته ما جاء.

وطبعاً لو طلقت فسوف تتماذى فى سىرها.. وبهذا تنعكس
الآية.. فأفسدها من حيث أريد أن أصلحها.

كمال أنسى

واضح أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً.
لقد فات الوقت الذى كنت تستطيع فيه أن تفعل شيئاً.. كان
هذا ممكناً وهى طفلة.. أن تنشئها على الإحساس بالكرامة
وتربيتها على احترام جسدها.
ولكن الآن.. وهذه نتيجة تربيتك.

وبعد أن أصبحت أما وربة بيت وزوجة.. لها رجل مسئول
عنها.. انتهى دورك.

الحل الوحيد أن تترك البيت وتقيم وحدك.. ولا شك أن
السكر والضغط وتصلب الشرايين أرحم من منظر الهانم وهى
تنزل كل يوم من عربة.. وبأى باى.. يا شيرى.. مع السلامة.
إلى آخر المنظر اللى ينقط.

وإذا شعرت فى وحدتك بالحزن.. فهذا أضعف الإيمان.. فيجب
أن تحزن، فهى صنع يدىك فى النهاية.

ومن العدالة أن تتعذب وتحزن ما دامت صناعة يدىك بهذا
السوء.

وأخيراً حدثت الكارثة.
ظهرت عليها أعراض الحمل.

ماذا تقول لزوجها.. وقد سافر من شهر.

كنت أقلق طول الليل لا يأتينى نوم بسبب فضيحتها.. وكانت
تنام فى الغرفة بجوارى لا يهملها شىء، وفى الصباح أراها بوجهها
الصفيق تقول لى إنها سوف تنجب ثلاثة أيام وأن على أن أراعى
الأطفال حتى تتخلص من هذه الداهية.. وتشير إلى بطنها.

أشرفت على الموت بسبب الإجهاض.. وكان يخيل لى وهى
فى محنتها أنها ثابت إلى الله.. وأنها عاهدته ألا ترجع إلى سيرتها.

ولكنها ما كادت تتماثل للشفاء حتى عادت إلى سالف
تبعها وصفقتها واستهتارها.. وسهرها كل ليلة.. وعودتها
مخمورة تترنح.

وأنا أعيش الآن فى حيرة وتعاسة لا حد لها.

ماذا يكون موقفى من الزوج إذا عرف مصائبها.. بأى وجه
أنظر إليه.. علماً بأنه يعرف عنى أنى مستقيم متدين أقيم الفرض
فرضه.. يئست تماماً ونفدت جميع حيلى.

لم ينفع معها توجيه ولا نصح ولا إرشاد ولا تهديد.

أخشى أن أخبر زوجها فيطلقها ويشرد الأولاد.. وما ذنبهم.

وهكذا فسخت الخطبة وانتهى عهدي بالحب والسعادة لأكون
بعد ذلك زوجة لأول من تقدم لى.
رجل فاسد الأخلاق ربما بسبب البيئة التي يحتك بها في عمله
«لكن وأنا مالى».

بخيل «جلدة» يتشاجر معى لكى نسير مسافة لا تقل عن
خمسة كيلو مترات ليوفر تذكرتين أوتوبيس «ويحدث هذا في أيام
الخطبة وشهر العسل».
أسلوبه فى الكلام مكشوف وجارح وغير مهذب.. وردوده
جافة.

ولولا الطفلان الملاكين البريثان اللذان أنجبتها منه
لما تحملت الحياة معه ساعة واحدة. حاولت إصلاحه وأحطته
بالرعاية والحنان والاهتمام ولكنه كان يصدنى وكأنى ارتكب جريمة
ضده.

ولما أعطانى الله طفلى الأول وجدت كل طاقتى من الحب
والحنان تتحول لا شعورياً من الأب إلى ابنه.

وكنت أعجب كيف لا يحرك الطفل قلبه وعاطفته.. أهو
متحجر العاطفة إلى هذا الحد.. هل تزوجت صنماً؟!

وآخر المصائب منذ سنتين.. خاننى مع إحدى الجارات ثم مع
أقارب.. وخادمت.. وفى أماكن عامة.. تصورا!

وحجته فى ذلك.. أنى أهمله وأنشغل عنه.

خianat مزدوجة

أنا شابة متزوجة من عشر سنوات.. جميلة بدون غرور..
وجمالي جايلى الكافية زى ما بيقولوا، وسوف تعرف التفاصيل
فيما بعد.. المهم دعنى أقدم لك صورة تساعدك على فهمى عشان
تقوللى كلمتين أحطهم حلقة فى ودانى.

تصور مثلاً أن من تكلمك بهذه اللهجة الاستفزازية وبهذه
اللغة العربية السكلانس هى خريجة مدارس الراهبات.. ومثقفة
ثقافة رفيعة.. تسمع الموسيقى.. وتتقن اللغات.. وتهوى الرسم ولها
لوحات يقول عنها البعض إن فيها فن.

نهايته، أختصر وأقول إنه كانت لى قصة حب قصيرة.. وإن
حبيبى تقدم لخطبتى.. ولكن خطبتنا ما لبثت أن فشلت بسبب
مرض خطيبى بأعصابه.

وقد كنت متمسكة به لآخر لحظة، لكن أهلى ضغطوا علىّ
لأتركه وظلوا يطاردوننى بكلامهم.. كيف تعيشين حياتك مع
مجنون.. إنه قد يشفى ولكن سوف يعاوده جنونه.. قد يخنقك
وأنت فى الفراش.. قد ينتحر ويخلف مأساة.. قد يترك فى رقبتك
أطفالا معاتيه مثله.

انشغل عنه بأولاده وبيته.. هل هي جريمة؟؟

ويبدو أن ما تعلمت من واجبات الأمومة كان شيئاً غير معترف به في قاموسه.. فالزوجة رفيقة فراش أولاً، قبل أن تكون أمًا، وست بيت.

وصبرت.. وصبرت.. واشتكى منى صبرى.. ثم يشست ثم بدأت أفعل مثله.

سوف تقول امرأة بلا مبادئ.. أعرف ما يطوف بذهنك.. ولكنك لم تجرب أن تكون امرأة وتعيش مع رجل لا يحتمل. كان لا بد أن أفعل أى شيء.. لاحتمل حياتي.

إني غير مقتنعة بما أفعل ولكنى أموت من اليأس.. أنا في عداد المنتحرين. وحياة البيت تحولت إلى إهانة وضرب وسب وفضائح أمام الناس.

ومتنفسى الوحيد هو تلك العاطفة التي بدأت تنمو بيني وبين مدرس اللغة الفرنسية الذي يدرس لأولادي.

وهي علاقة لعلمك ما زالت بريئة.. ولكنى لا أخفى عليك ما يطوف بعقلي.. فقد أصبحت لا أعبأ بشيء وكل الكلمات الطنانة كالأخلاق والشرف أصبحت غير ذات موضوع في نظري.

أنا أعيش في جحيم.. ولا أعرف لنفسي مخرجًا.

الطلاق يرفضه.. والحياة بالمعروف مستحيلة.

ماذا أفعل؟

القارئة المعذبة

« . . . »

إن الانتقام لا يمكن أن يكون حلاً.. أنت كمن عضها الكلب فأسرعت خلفه لتعضه.. وبذلك انحدرت وأصبحت كلباً مثله وسقطت حجتها ومبرراتها ودعواها. زوجك يخونك.. أنت تخونين زوجك.. لن يعود لك حق في أن ترفعى عينك في عينه.. وأكثر من هذا سوف تسقطين في عين عشيقك الذي أعطيت له نفسك كزوجة خائنة.. ولو أنه لن يواجهك بهذا.. ولكنها الحقيقة سوف تطل من عينيه، وسوف تدمر سعادتك.. خسائر.. خسائر.. على طول الخط وتخريب يؤدي إلى مزيد من التخريب.. إلى مزيد من الدمار، وفي النهاية تظهر الحقيقة.. فلا شيء يمكن إخفاؤه وتفقدين آخر قلعة لك.. أولادك. أنت تهدمين نفسك باسم البحث عن حل.

عيشى كما عشت العشر سنوات «كنت فين طول السنين دى».

أو أطلبى الطلاق بالمحكمة.

أما غير ذلك فهو نذاله.

اللص الشريف

إني أشعر بالخجل وأنا أروى لك ما أرويه.. ولكنها مشكلة أعتيتي وهي توشك أن تنتهي بي إلى الدمار ولا مهرب من أن أحكى لك كل شيء بكل صراحة.

أنا شاب عمري ثلاثون عاماً.. للأسف حاصل على الليسانس من إحدى الكليات.. أقول للأسف لما ستعرفه عنى فيما بعد.

ولست فقط جامعياً ولكن مثقف أيضاً أقرأ بنهم كل ما يقع تحت يدي.. وأشغل وظيفة محترمة من عائلة كبيرة وأعيش بمفردي في القاهرة بعيداً عن أهلي المقيمين في الإسكندرية.

وإن جاز لي أن امتدح نفسي فأنا كريم إلى حد السفه.. متسامح وأتعاطف مع الناس بسرعة طيب القلب أتمتع بسمعة حسنة إلا أنني لا أستحق شيئاً من هذه السمعة الحسنة. فأنا باختصار لص.. لص محترف ومع سبق الإصرار والتدبير والتفكير دائماً.. ولكنني أعتبر نفسي لصاً شريفاً.

وقصتي مع السرقة تبدأ من الصغر فقد كنت وأنا تلميذ أهوى

سرقة الأقلام من زملائي وكنت إذا ما ذهبت لشراء شيء من البقال أغالطه وأدعى كذباً أنني أعطيته النقود.

وكبرت.. وكبرت معي هذه العادة.. وفي الجامعة كنت أسرق الكتب من المكتبة وبقدر الإمكان لا أشتري أي كتاب.

إلى أن تخرجت منذ ثلاثة أعوام ونصف.. والآن أنا أعتبر نفسي مريضاً بداء السرقة إن صح أن نسمى السرقة داءً وإن صح أن يكون اللصوص أمثالي مرضى.

وكعادة اللصوص مظهرى محترم جداً وشيك.. ولكنني أستغل هذا المظهر في أشياء أخرى بعيدة كل البعد عن الوجاهة أو مغازلة النساء.. فأنا أدخل المطاعم الفاخرة وأكل وأنصرف دون أن أدفع الحساب.. وأدخل المحلات الراقية وأغافل البائع واضع شيئاً في جيبى أو في حقيبتى التي لا تفارق يدي.. قد لا أسرق شيئاً أنا أحتاج إليه.. بل إني كثيراً ما أسرق أشياء لأهديتها لأصدقائي. بل ما هو أدهى أنني أحياناً أسرق أشياء لا أعرف كتبها إلا في المنزل.

أهوى الزحام في المحلات وأدخل قاصداً أن أسرق شيئاً. وأحياناً يكون ذهني منصرفاً تماماً عن فكرة السرقة، ولكن بطريقة لا شعورية أجد يدي تمتد إلى أشياء أسقطها في جيبى في غفلة من البائع.

وأنا جرىء إلى أبعد الحدود.. وأرتاد أفخم الأماكن.

ومع هذا فقد حدث لى أن ضبطت متلبسًا وأخذت نصيبى من الضرب والأقلام والشلايت، ولكن لحسن الحظ انتهى الموضوع بهذه العلقة، ثم تركنى صاحب المطعم والجرسونات لأعود إلى بيتى.

ويومها رجعت وأنا أحمد الله أن المسألة لم تتطور إلى بوليس وأن أحدا من معارفى أو أصدقائى لم يرن فى هذا الموقف. كم يلذ لى أن أحصل على أى شىء خطفًا.. يحدث أن أقف لأشترى علبة سجائر أو لأتكلم فى التليفون فأغافل أصحاب الأكشاك والتقط قطعة من الحلوى أو اللبان فأضعها فى فمى. لا أدفع أبدًا ثمن تذكرة أتوبيس.

بل إنى كنت أحيانًا أدخل دور السينما الدرجة الأولى بدون تذكرة، وتعرضت مرة للحرج بأن جاء صاحب المقعد ومعه المختص الذى سألنى عن التذكرة فلم أرتبك وقلت له مع زميلى الذى ذهب إلى التواليت ثم انصرفت دون أن يشعر بى أحد. ومواقف كثيرة.. كثيرة.. أقص لك منها هذا الموقف: كنت مرة فى القطار المتجه إلى الإسكندرية وفى أحد دواوين الدرجة الأولى وليس معى فى الديوان إلا فتاة وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث دون أن يعرف أحدنا الآخر.. وقرب طنطا أغمضت الفتاة عينيها وأخذتها سنة من النوم.. وقلت لنفسى إنى أستطيع أن آخذ حقيبتها وأنزل فى طنطا.. وفى أقل من نصف دقيقة كنت

أنفذ الفكرة وكنت أقفز من القطار قبل طنطا بقليل.. وسوف تدهش إذا عرفت أنى أهديت كل ملابسى وهى تساوى أكثر من ثلاثمائة جنيه إلى فتاة ساقطة كانت تتردد علىّ ولم تكن تطمع أبدًا فى أن تملك قطعة واحدة منها.

عندى من الأقلام وزجاجات العطر والنظارات والكرافات والدبابيس، والأحزمة والشرابات والولاعات، بل وأجهزة الترانزستور ما يكفى لفتح محل خردواتى كلها لطش لم أدفع فيها ملياً - هذا غير المنافع غير العينية كالأكل والشرب مجاناً فى المطاعم والبارات.

ولا تتصور أن كلاماً تقوله سيجعلنى أقلع عن عادتى هذه، وأنى أسميها عادة تجاوزًا ولكن هى فى الحقيقة مرض.. ولن يكون كلامك أشد وقعًا من الضرب الذى تعرضت له فى أكثر من موقف.

ولهذا فأنا أريد كلامًا خلاف النصح فأنا كما قلت لك لص شريف.. كما أنى أسرق بحوافز لا إرادية.. أرى يدي تمتد من تلقاء نفسها فتلطش كل ما تراه.

بقى أن تعرف أنى إذا تحدثت فى الدين فأنا أبهر السامعين كما أنى أعرف الله حق المعرفة.

وهو إلى الآن يكرمنى ويستر علىّ ودائمًا أطمع فى كرمه وستره. ولكن ما دفعنى للكتابة إليك هو الخوف.

الخوف من أن يلقي بي في التخشبية.. وحينئذ لن أخسر سمعتي فحسب وإنما سوف أتسبب لأهلى فى عار أبدى. وسوف تتمزق الصورة التى كونوها لأنفسهم عنى. فبالله ما هى الوسيلة التى أعالج بها نفسى. أنا أحمك مسئولية ضياع مستقبلى إذا لم تسعفى بحل ولك الأجر عند الله.

اللص الشريف

ع. م

أولا أنا أريد أن أعرف من أين لك بالشرف المزعوم.. وبأى مناسبة أسبغت على نفسك لقب اللص الشريف.

نحن نعلم من التاريخ والروايات أن اللص الشريف هو الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء، ولا يبقى لنفسه ملبياً فى جيبه، ولهذا يسمى نفسه لُصاً شريفاً لأنه مجرد واسطة خير لا يعمل لمصلحته، وكل ما يعيبه أنه ميكيافيللى اختار لغاياته الشريفة وسيلة غير شريفة، أما سيادتك فإنك تسرق وتأكل وكل ما تمتد إليه يدك إلى فمك وبطنك وجيبك وما يزيد عن حاجتك توزعه على الساقطات وليس على شحاذى السيدة زينب.. ثم أنت تفعل كل هذا بدون دوافع من جوع أو حاجة، وحكاية السرقة اللاشعورية اللا إرادية التى بدون تدبير وبدون تفكير

هى تبكيشة. بدليل ما رويته من سرقتك لزميلة القطار، وكيف أنك فكرت ودبرت ونفذت كل شىء فى نصف دقيقة.

السرقة ليست عملاً فسيولوجياً تلقائياً مثل النبض أو دق القلب لتقول لنا إنها تحدث تلقائياً وبلا شعور.. وإنما هى عملية معقدة تشترك فيها اليد والذكاء والتدبير والخيال والإرادة.. ويجب أن تفهم تماماً أنك حرامى أصيل.. عديم الشرف تماماً.

وبالطبع لن يكون كلامى أشد عليك من الأقلام التى طوردت بها كالكلاب التى تسرق العظم من دكاكين الجزارين.. فقد أخذت كفايتك ولم ترتدع.

وهم يقولون فى علم النفس إن مثل هذه الحالة التى تشكو منها يمكن أن تنشأ بسبب عقدة فى الطفولة، ويمكن أن تكون لها دوافع وحوافز فى العقل الباطن.

وسوف أكون حسن الظن وأقول لك أذهب إلى طبيب نفسانى وحلل نفسك.

والحقيقة أن نصف ما يدعيه علم النفس هو تبكيش أمريكانى، والحرامى هو حرامى وهو يسرق بعين مفتوحتين وليس بالتنويم المغناطيسى.. ولكنها موضة القرن العشرين أن يقتل القاتل ويقول عندى جنون القتل، ويسرق السارق ويقول عندى جنون السرقة، وقد جاء فرويد ليعطى للزانى والقاتل واللص مبررات علمية وجيهة.. وقد انحسرت الآن هذه الموجة الفرويدية وأصبح

كثير من مسلمات فرويد مشكوكًا فيها وأصبحنا نناقش هذا التصور العلمي الذي يستهين بالعقل الواعي ويضع الإنسان بعقله الواعي واراادته الواعية في ربة الحوافز الباطنية الدفينة وفي يد ذلك الشبح الخفى الذى اسمه العقل الباطن يفعل ما يفعل، ثم يقول هى حوافز باطنية وعقدة وكومبلكس.

ولكنى سوف أكون طيبًا جدًا.. وأقول كما يقول أولاد البلد، خلىنا مع الكذاب لحد باب الدار. وسوف أعطيك فرصة وأعطى فرويد فرصتين.. وأقول لك اذهب إلى طبيب نفسى، وإن أردت فطبيبين ليستخرجا العقدة المزعومة ويحلا الفيونكة الباطنية التى تدفعك إلى سرقة الشرابات والأقلام الأمريكانى واللبن إيك، فإذا لم يتم الشفاء على يد فرويد وحزبه فهو سيتم حتمًا على يد بوليس السيدة والأسفلت والتخشبية.

وفي التخشبية سوف تفيق تمامًا وبين أيدي زبانية جهنم الذين هم عسكر المباحث وخفراء الداورية وسوف تعلم تماما أن الله حق وأنه يمهل ولا يمهل.

خمس دقائق

أشعر أن القلم والورق والألفاظ المكتوبة كلها حواجز وأقنعة وألوان من الافتعال لا أستطيع أن أظهر بها أبدًا على حقيقتى.

كنت أحب أن أرفع الكلفة وأثرثر معك بكل ما فى نفسى، ولكنى لا أجد ذلك أبدًا إلا فى الكتب وفى الصفحات ووراء السطور، ولا مفر إذن من أن أجلس إلى الورق أحاول أن أحادثه بما فى نفسى لعله يحمل إليك شيئًا من حيرتى وعذابى.

أنا فتاة.. عندى حوالى ١٩ سنة، فى الثانوية العامة.. مشهورة بأنى سيور.. أنزل البحر، وألبس المبنى جيب وأخالط الأولاد والصبيان من صغرى.. وفى البيت يعطوننى الحرية لأفعل ما أريد.. ولكن أبدًا لم يحدث أن خرجت مرة عن الحدود.. أصلى بانتظام ولا يفوتنى فرض، وأراقب الله فى كل أفعالى.

كان البنات زميلاقى يتحدثن عن مغامراتهن مع الأولاد.. وأقف أنا لأعظهن وأظل أتكلم فى حماس حتى تنزل لى اللوز دون جدوى.

وأعود إلى البيت.. وفي الليل ومع الوحدة تتيقظ نفسي لتجاذبني الحديث.

هل أنا موضة قديمة؟.. هل أنا من مخلفات عصر انتهى؟
لماذا أبدو دائماً غريبة بين زميلاتي؟

هل مفروض أن يكون لكل بنت ولد ينفرد بها؟
ألا تسمى الحياة حياة بدون هذه الأفعال.. هل العفة والشرف
كلمات عفى عليها الدهر؟

هل تمضي أيام شبابي وصبای وتضيع في المواعظ.. ثم أندم في
المستقبل وأعيش في الحسرة لأنني لم أستمتع بها كما يجب أن تفعل
كل البنات.

أصارحك أن نفسي تراودني بما يفعل هؤلاء البنات وأتمنى
لو فعلت مثلهن.. وكففت عن هذه المحاضرات الحنبلية.. ولكنها
مجرد أمانى.

أتمنى ولا أقدر.. شيء في نفسي يمنعني.
وأعيش في تعفف واستقامة وطهارة.. ولكن الملل يقتلني.

أنا زهقانة.. زهقانة من نفسي ومن عيشتي.
لا تقل لي عيشي على كيفك وافعل كما تفعل زميلاتك البنات
فأنا لا أقدر، ولا تقل لي استمرى على مثالياتك واستقامتك..

فأنا زهقت، ولا تخاطبني بلغة الدين.. كلمني بلغة عصر القمر
الصناعي والذرة. كالمخاطبة التي تلطف ليطول حديثها كالمخاطبة
واقنعي بالشيء الذي اسمه الفضيلة.

٢٠٤ ع
الإبراهيمية - الإسكندرية

لن أكلمك بلغة الدين. وأكثر من هذا سوف أوافق معك أن
إشباع الشهوة ربما كان لذيذاً لمدة خمس دقائق.

ولكن الحياة ليست أبداً هذه الدقائق الخمس ولو كان اهتمام
الإنسان هو هذه المتعة العاجلة، لظل قرداً يقفز على الشجر أو
بهيمة تسرح في الحقل.. ولما اخترع الكهرباء والتليفزيون
والصاروخ.. ولما عرف كيف يصعد إلى القمر.

إن إنسانية الإنسان تبدأ من اللحظة التي يضبط فيها شهوته
ويتحكم فيها فيقودها بدلاً من أن تقوده.

وخضوع الإنسان لصراخ أعضائه ليس حرية ولا تحرراً،
وإنما عبودية وذل وانسحاق ليس بعده انسحاق.

وضبط الإنسان لشهوته وتأجيل إشباعها لحين العثور على
شريك حياة وبيت يعمره الحب.. هذا التنظيم هو طريق الحرية
الصحيح، طريق السلامة تماماً كما هو الحال في نظام المرور الذي
يحجز العربات خلف العلامات الحمراء فيضمن بذلك السلامة

وسرعة السير للجميع.. إنه طريق الإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية وتكريس الحياة لخدمة العلم والتقدم والأهداف الإنسانية المتعددة.

وواضح جدًا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هي الوسائل التي ينمو بها الحب ليؤدي إلى الزواج ولا سن المراهقة هي السن التي تؤمن فيها العواطف على الاختيار الواعي السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية ويعرف الإنسان من الحيوان.. ويصعد الإنسان إلى القمر ليبحث ويستكشف.

وبنت الـ ١٩ التي تتسلل إلى شقة مع صاحبها بدلا من الذهاب إلى المدرسة، هي في الحقيقة لا تمارس الحياة.. وإنما القرد في داخلها هو الذي يمارس الحياة، لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار في يد القرد الهائج بداخلها، وتحولت إلى خدمته وتلبية رغباته.

إن الشرف ليس مجرد أوامر ونواه، إنه القيد الذي نضعه على مخالب الحيوان بداخلنا لنعيش حياة أكثر إنسانية، إنه قيد فيه حرينا وتحررنا. لقد قلت هذا في اعترافات سابقة أكثر من مرة وهأنذا أعود

فأقوله وأقوله.. ولو أنك سرت في طريق صاحبائك البنات فسوف تصلني بعد شهور اعترافات من نوع آخر تبدأ بالبكاء، والصراخ، وكيف الطريق إلى الخلاص.. «لقد ظهر الزوج المناسب ولكن بعد فوات الأوان».

«أنا زوجة سعيدة ولكن الماضي يطاردني، هناك من يملك صورًا وخطابات عن علاقة قديمة وهو يهددني بإرسالها لزوجي» «لقد انزلت إلى نهاية تعسة.. فقد أحببت من لا أستطيع أن أتزوجه.. وتزوجت من لا أستطيع أن أحبه».

«اكتشف ابني بطريق الصدفة أن أباه ليس هو أبوه الحقيقي» وهكذا أيتها القارئة العزيزة م. ع. من الإبراهيمية بالإسكندرية سوف تكتشفين بعد فوات الأوان.. أن الشرف كلمة حقيقية ذات مدلول وليست موضحة قديمة.. وأن قواعد الأخلاق لم توضع للناس عبثًا.. وأن أوامر الدين لها حكمتها، وأن متعة لحظات لا تستحق كل هذا البؤس.. وأن في الحياة آلاف المتع أكثر بقاء وأكثر عمقا، كمتعة العلم ومتعة الفن.. ومتعة الصدق مع النفس، وأن الحياة ليست كلها ذلك المتر في مترين الذي اسمه الفراش.

لماذا نعيش؟

منذ سنوات كانت نظرتي إلى الحياة نظرة كلها حب وتفائل
كنت أحب عملي.. كنت أحب زملائي.. أصدقائي.. إخوتي،
إخواني.. أبي.. أمي.. وكل ماله صلة بالحياة حولي.. الطبيعة في
جميع صورها.. الربيع والخريف والشتاء حتى سقوط الأوراق
وعرى الشجر وهطول المطر ودوى الرعد.. حتى الصحارى
القاحلة.. الليل المدهم.. والبحر الهادر.

كنت كلما التقيت بإنسان تضاعف حبي للحياة.

كنت أرى الجمال في كل شيء.. وأرى الطبيعة في كل قلب،
والصفاء في كل وجه.. والسعادة في كل خطوة أخطوها.

كنت ناجحًا سعيدًا أتدفق أملاً وشباباً وطموحاً حتى حدثت
المأساة.

سقطت مريضاً وأنا في قمة نجاحي.. ودخلت المصحة مصدوراً
على شفا الموت.

وجاء شقيقي لزيارتي في المصحة فأصيب في حادث سيارة
ووضعت ساقه في الجبس.

وفي نفس الأسبوع سقط الأسانسير عندما كان أخي الثاني
يقوم بإصلاحه بالدور السادس بمبنى القصر العيني الجديد.

وفي نفس الشهر كان خالي متجهاً إلى القرية لحضور فرح
فأصيب في حادث تصادم وبترت ساقه.. ودخل زوج شقيقي
المستشفى ليجري عملية جراحية لحالة إنزلاق غضروفي، فحدث
خطأ بالعملية أدى إلى عجز كلي عن الحركة وانتهى به إلى حالة
شلل لا علاج لها.

والآن أنا في طريقى للشفاء من داء الصدر.

ولكن في طريقى إلى مرض أشع ألف مرة من داء الصدر..
لقد فقدت قدرتي على الابتسام واسودت الدنيا في وجهي واصطبغ
كل شيء أراه بلون حزين يائس.

كرهت الدنيا.

لم أعد أرى أمام عيني إلا العجزة والمشلولين وذوى العاهات،
لم أعد التقى في محيط الأسرة إلا بالكسيح والأعرج والمبتور
الساق.

لم أعد أسمع إلا الأنين..

ولم أعد التقى إلا بعبارات التعزية والمواساة.

أفكر في الهجرة والسفر والهروب إلى أى مكان.

ولكن أى مكان في هذه الدنيا البغيضة يخلو من العذاب
والأنين.

وإذا نظرت إلى إنسان يتالم ويغالب الألم سوف تعجب به أكثر
وتشعر بجماله الذي يفوق جمال كل ما في الطبيعة من مناظر.
كان يجب عليك أن تزداد أملاً وأنت ترى الموت والعذاب من
حولك وترى الإنسان يكافح عذابه في إصرار ويعلو على آلامه في
بطولة وجمال ويبتسم ويضحك ويسعد برغم كل شيء.

أليست هذه القمة الإنسانية أجمل من كل قمم أفرست
المعممة بالجليد.. إن الجمال لن ينتهي من الدنيا ما دام فيها
إنسان يفكر.. انظر في الإنسان وأنت تستعيد شجاعتك
وابتسامتك.

إنها دنيا قبيحة. لنته يسالها لفت في حياها من
الغدر والاغتيال والألم يترصد في كل ركن فيها.
ووراء هذه البحار الممتدة - هناك مالا عين رأت ومالا أذن
سمعت من صنوف الألم والعذاب.

الموت أمامنا.
والموت وراءنا.

والشيخوخة تنتظرنا.. والأمراض تلهث خلفنا.
ولا أمل.

الإنسان يولد ليموت.. ولكن بين ميلاده وموته يصنع حضارة.
وأروع ما في الإنسان أنه استطاع أن يتحدى الصواعق
والزلازل وكوارث الطبيعة.. استطاع أن يروض كواسر الوحش
ويستأنس جوارح الطير.. استطاع أن يهزم المرض ويتحدى
الشيخوخة وينتصر على الموت.

إن وفيات الأطفال كانت قبل استخدام أساليب الطب
الوقائي تصل إلى أكثر من ستين في المائة، وهي الآن في البلاد
المتحضرة أقل من خمسة في المائة. وهذا انتصار حقيقي على
الموت.

الإنسان هزم جاذبية الأرض وخرج من إسارها لينطلق إلى
الفضاء.

فإذا رفعت عيني سنتيمترا واحداً من الكتاب داعب عيني
منظر الحاوي، والمتعة على بعد خطوات من الباب المفتوح..
فإذا مشيت هذه الخطوة تصيدت عيني عشر مجلات مختلفة
مفتوحة على صور عارية مغرية وصدور وسيقان ومقالات ملتهبة
وإعلانات سينما ومسرح وستيريو.

فإذا عدت استغفر الله وارفع عيني رأيت شادية اللذيذة
الطعمة وفيلمًا لذيذًا قد بدأ في التلفزيون.

فإذا أغلقت عيني سمعت صياح إخواتي في الغرفة المجاورة
وهم يلعبون الكوتشينة.. وبصرة.. الولد يقش.. والفورة فاضل
عليها عشرة.. شد حيلك تاكل ملبن.

وأنا غلبان محروق في صفحة من كتاب مدعوق عن المعادن
والمجنيز والمولبدنم والتنتالوم.. إلخ.. إلخ.

وأنا بشر لى عينان ولى ذوق.. ولى عقل متفتح وحواس سليمة
تعرف طعم البقلاوة.. وطعم شادية.. ولذة غناء أم كلثوم ومتعة
لعب الكوتشينة.. وجاذبية نجمك المفضل.. ومجلة حواء.. وقصص
أرسين لوبين.. وأفيشات رواية هند رستم..

وإذا استطعت أن أهزم هذا الطوفان من المغريات وانتزعت
نفسى لأقف وفي يدي كتابي في البلگونه اصطادتنى عشرات
العيون الكحيلية في بلكونات الجيران واشتغلت الابتسامات
والنظرات على ودنه.. فإذا استعدت من الشيطان ونكست رأسي

أنا أطحن أضراسي

لن تجد في هذه المشكلة قصة حب ولا طفلاً غير شرعي
ولا مركب نقص ولا مركب عظمة.. ولا قارئاً مصاباً بعاهة أو
مرض مستعص.. ولكنك سوف تجد مشكلة تبدو في ظاهرها
عادية.. ومع ذلك فهي مشكلة عويصة وخطيرة وضحاياها
بالالوف وبالملايين.

ولأختصر فأقول.. أنا طالب بالسنة الثالثة الصناعية دبلوم
نقش.. فرد في أسرة من خمسة إخوة وأخوات وأب وأم وبيت،
ميسور الحال فيه راديو وتليفزيون وكتب ومجلات وشبابيك
وبلكونات تطل على الجهات الأربع.

سوف تسألني، وأين المشكلة؟

المشكلة في هذه الوفرة في وسائل الإغراء والتسلية..

قل لى بالله كيف أذاكر في كتاب عقيم جاف سخي عن
المعادن والأملاح.. وأم كلثوم تلعلع بصوتها من الراديو على بعد
متر واحد من أذني.. وخذني لحنانك خدني عن الوجود وأبعدني..
بعيد.. بعيد وحدينا.

مستوى التلاميذ وهبوط نسبة النجاح بسبب هذه المغريات..
وهذا يحدث في إنجلترا فما بال عندنا..

والحل يجب أن يبدأ من العائلة.

على البيت أن يكفل الهدوء والتفرغ والتركيز الذهني لكل
العاملين فيه.. التليفزيون له وقت محدود كل يوم ثم يغلق بالنسبة
لجميع من في البيت.. الراديو يراعى أن يكون صوته همساً.. أو
يسمعه من يشاء بسماعات أذن خاصة.

البيت ليس مقهى للكوتشينة والطاولة والتحشيش لكنه مكان
عمل وملاذ راحة وتفكير وتأمل.

الصور العارية في المجلات، يجب أن يتناولها مقص رئيس
التحرير فهذا واجب إنساني.. علينا أن نتفرق بهذا الجيل..
ولا نلهب ظهره بكرابيج الإغراء إذا أردنا أن نجعل منه جيلاً
منتجاً.

ولكن تبقى هناك حقيقة أخرى هي إرادتك.. لا بد أن تطحن
أضراسك وتكز على أسنانك.. فالتحصيل شاق.. وصوت شادية في
كل العصور كان ألد من المذاكرة.

ونحن أيضاً كنا نسمع أم كلثوم تغني.. النوم يداعب عيون
حبيبي.. وياما أمر الفراق.. ونحن نذاكر في نظريات إقليدس وفي
أدب البحتری.. وكل واحد يأخذ دوره من الغلب يا عزيزي
المعذب (ي. أ. ش).

إلى الأرض ورحت انظر في الشارع رأيت ما هو أدهى.. مساقط
رأسية لكل أنواع التسريجات الخارجة من الكوافير تحتنا.. ومعها
مالذ وطاب من الجابونيز والديكولتيه والرقاب العاجية والخصور
الملفوفة.. وآه يا عيني.. ومدعوق المنجنيز والمولبدنم والتنتالوم
وامتحان الفترة.

وأنا عندي إرادة والله العظيم.. وأنا أقاوم كل هذه المغريات
وأذاكر بدليل أني أنجح.. وأنى نجحت إلى الآن بدون رسوب مرة
واحدة.. ولكن.. على حساب أعصابي.. فأنا أكز على أسناني
وأطحن أضراسي وأغلق الباب والشباك وأغلق عيني وأذني
وحواسي الخمس وأذاكر.. ولكن أعصابي.. تتلف يوماً بعد يوم..
وللطاقة البشرية حدود.. ولا بد من حل.

وأريد أن أقول إن الحياة المدنية أصبحت الآن شديدة الإغراء
حافلة بكل ما يشد الانتباه.. وبالنسبة لطلبة في سن المراهقة
أصبح التركيز الذهني شاقاً إن لم يكن مستحيلاً. ولا بد من وسيلة
لتمكيننا من أداء واجبنا.

المعذب

ي. أ. ش

كلامك صادق.. وهو يؤكد وجود مشكلة خطيرة بالفعل.. وفي
تقارير وإحصاءات وزارة التعليم في إنجلترا تأكيد لهبوط

ترفض أن تجتمع بي مهما حاولت.. وتصدني بشدة وبوحشية..
وعناد.

وفي ليلة سوداء اعترفت لي أنها تحب رجلاً آخر.. وطلبت
الطلاق مني وأبدت استعدادها للتنازل عن جميع حقوقها ما عدا
الأولاد.. وأقسمت أنها لم تخني في غيابي أبداً.. وقالت إنها تحب
ذلك الرجل وتعبده ولا تستطيع الحياة بعيداً عنه.. علماً بأنه فقير
لا يملك ربع ما أملك.

وجن جنوني.. ولكن لم أستطع أن أفعل شيئاً.

لم أستطع أن أنفذ إلى قلبها بأى وسيلة من وسائل الإغراء..
كان قلبها قد أغلق نهائياً وإلى الأبد.. في وجهي.
وكان الدق على قلبها كالدق على باب تابوت.
لا أمل..

ماذا أفعل.
أطلقها؟؟
وكيف أعيش بدونها.

أحتفظ بها برغم أنفها؟!.. وكيف أعيش معها وهي في حالة
سرحان وبكاء باستمرار؟..

كيف أعيش معها وأنا أعلم أن قلبها يكتوى بحب رجل آخر

تزوجت من بنت خالي منذ ٨ سنوات.. ولى منها ثلاثة أطفال..
وأعترف لك أن هذا الزواج تم برغم أنفها، وبعد محاولات مني
كثيرة.. ومطاردة وإلحاح متواصل وإغراء بكافة السبل.. فقد
كنت أحبها.. ومازلت أحبها وأعبيدها.. لجمالها ورقتها وأنوشتها.

وقضيت السنوات الأولى من الزواج في سعادة غامرة. كنت
أنفق عليها ببذخ.. اشتري لها الملابس الفاخرة وأخذها في
سهرات ونزهات كل ليلة.. ومع هذا كنت أحس دائماً أنها غير
راضية، وكان هذا يدفعني إلى إغرائها أكثر بالمزيد من البذخ.

إلى أن صدر ضدي حكم بالسجن ثلاث سنوات بتهمة
الرشوة، ودخلت السجن لأعيش في حلم متواصل.. كنت أحلم
بها كل ليلة وأكتب اسمها على الجدران.. أنحت اسمها
بأظفري.. وأعد الأيام والساعات والدقائق في انتظار الخروج
لألقاها.. وأعود إليها.. وأناديها في ظلام الوحدة والقيود.. ومهانة
السجن.

وخرجت.. لأجدها تغيرت تماماً.. فهي دواماً في بكاء مستمر..

وخرجت.. لأجدها تغيرت تماماً.. فهي دواماً في بكاء مستمر..

غيرى.. أنا الذى ضحيت من أجلها.. وأنفقت عليها دم قلبى.
ما الحل؟..

«.....»

واضح أن أمارات الفشل كانت ظاهرة لك من البداية.. فهى لم تكن تحبك.. وهى تزوجتك برغم أنفها.
وحينما ظهر لك فشلك فى انصرافها عنك.. حاولت أن تغرقها بأموالك فلما نفذت أموالك بدأت تسرق من أموال الآخرين فى فيض من الرشاوى.

كنت ترتشى.. ثم تحاول بدورك أن ترشوها.
فشل.

ثم إمعان فى الفشل.

والسجن كان نتيجة طبيعية لهذه الحلقة المفرغة من الأخطاء.. وما حدث لها وأنت مسجون.. نتيجة طبيعية أيضاً.. فهى لم تكن تحبك.. وأنت فى السجن كنت فى نظرها أكثر من مجرد زوج غير محبوب.. كنت رجلاً سقط اجتماعياً.

الهوة بينكما اتسعت.

ولم يكن بينكما ود مفقود لتحاول أن تسترجعه.

أنت تحاول أن تصنع شيئاً من لا شيء..

أنا أكره الطلاق.. ولكن ما بينكما من البداية كان شيئاً كالطلاق.. وما تعيشان فيه الآن هو شئ أسوأ بكثير من الطلاق..

وأعتقد أن واجبك أن تطلقها.

هذا هو ما تقضى به الكرامة.

وأى محاولة أخرى منك للاحتفاظ بها برغم أنفها تكون محض أنانية أشبه بالاغتصاب.
أما الأولاد.. فإن حياتهم تحت سقف الكراهية.. جريمة أخرى لا تقل عن جريمة الطلاق وخراب البيت.

وكانت أمي تحب أبي.. كان اسمه منقوشا على ذراعها.. وكان أبي يحبها فيما مضى ويشيد بجهودها في تربيتها.
وكنت أشعر نحو أبي بالاحترام كلما جمعنا مجلس، ولكن لم أكن اشتاق إليه.. مها طالت بنا الفرفة.

المهم.. لا أريد أن أسترسل في تفاصيل لاقيمة لها.
عشت سني حياتي الأولى مع أمي أنام في حضنها.. وأفترش فراشها وأتغطي بلحافها وأتوسد ذراعها وأسند رأسي إلى صدرها الحنون.

وكانت سنوات دراستي الابتدائية كلها سنوات انطواء وعزلة أكاد أعيش منعزلا عن المجتمع مع أمي بلا زمالة أو صداقة أو شلة ألعب معها.

وتوطدت في نفسي بسبب ذلك كراهية للعالم والناس ونفور من الاختلاط.. وكان هذا النفور يزداد كلما نظرت إلى ملابسي فرأيتها بالية قديمة.. كان خجلي من فقرى وسوء حالى يجعلنى ازداد نفورا من الاجتماع بأى إنسان.. والحقيقة أن الخجل كان عقبة كتودا طوال حياتي.

كنت أفقد النطق ويحمر أنفى حتى يلدعنى وتحمر وجنتاى ويقشعر بدنى من قمة رأسي إلى أخمص قدمي ويتصبب العرق بارداً على جسدى كلما طلب منى الأستاذ أن أقف وأجيب على أى سؤال حتى ولو كنت أحفظ إجابة هذا السؤال عن ظهر قلب.

هل أنا رجل؟
سوف أغالب التردد وأعترف لك بكل شىء..
وسوف أبدأ معك من البداية المألوفة.

أنا شاب في السابعة عشرة من عمري طالب بالسنة الثانية الثانوية.. أبى وأمى وإخوتى مع حبهم لى إلا أنهم يشكون دائماً من أنى نحس.. وأن مقدمى إليهم كان مقدم شؤم وفقر وبؤس.. وكما يقولون.. غادرهم الخير منذ جنتهم.. كانت لهم الأغنام والأبقار والأرض.. ثم لم يعد لهم من ذلك الخير الوفير إلا أقل من القليل.

أمى تقول التشريد والمصائب نزلت بها منذ مجيئى.. لم أكد أبلغ السنة الأولى من عمري حتى كان أبى قد تزوج بأخرى وطلقها ثم طردنا من البيت وسافر أخى الكبير إلى بنغازى وتدرج في التجارة حتى أصبح تاجراً مرموقاً.. أما أنا وأمى فقد لجأنا إلى بيت صغير نملكه.

وكنت أحب أمى كثيراً.. ولم أكن أرى أبى إلا نادراً.. أحياناً مرة واحدة في العام برغم أنه لم يكن يبعد عنا كثيراً.

أنا الآن أعيش مع أخى الكبير الذى ينفق على.. وأنا طالب ثانوى بالقسم العلمى.. أشعر برغبة فى الاستقلال والإنفاق على نفسى من عرق جبينى.. ولكن الخجل يمنعنى كلما فكرت فى طرق باب العمل.

إنه الخجل دائماً.. فى راسنا رأينا كأنه يهددنا.. وأخر مرة كان الخجل سبباً فى كارثة نفسية لحقت بى.. ومازلت أعيش فى كابوسها.

كان ذلك فى ذات ليلة حينما سمعت الزملاء يتكلمون.. كل واحد يتفاخر بتجربته الجنسية.. وأن له باعاً فى تلك الشئون. ولم أجد أنا ما أقوله.. فسكت خجلانا من نفسى.

وكان أصغر واحد فى الشلة يقول إنه يدخن ويشرب الخمر ويعاشر النساء، وإنه جرب كل شىء فى الدنيا.. وإن الرجل لا يكون رجلاً إلا إذا خاض كل تجربة.

وفى تلك الليلة لم أتم.. واختمرت فى ذهنى فكرة القيام بزيارة لمحال الدعارة.

وفى اليوم المشؤم نزلت إلى الشارع أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وقلبى يدق بمخاوف لا آخر لها.

وحينما وقفت أطرق الباب.. راودتنى الرغبة فى الهرب والفرار بنفسى.. فكرت أن البوليس ربما يداهم البيت المشبوه كما يحدث فى الأفلام.. وفكرت انى ربما أصابتنى السكته القلبية من شدة

الانفعال، وفى تلك اللحظه فتحت العاهرة الباب فقطعت على حبال مخاوفى.. كانت جميلة وكانت ملامحها تبدو لى بريئة كلامح ملاك طاهر شريف.

وتأملت وجهها الطيب وسرح فكرى بعيداً عن المهمة التى جئت من أجلها.. ورحت أفكر فى مبلغ قسوة هذه الحياة التى دفعت بهذا الوجه الطيب إلى الحضيض، وقدرت أن السبب قد يكون بدافع ظروف عائلية تعيسة أرغمت هذه الفتاة على أن تنحدر هذا المنحدر، وراودنى الخاطر فى أن أدعو الفتاة إلى العودة إلى حياة الفضيلة والرشاد والبحث عن طريق حلال لكسب العيش.. ولكنها قطعت هذا الخاطر بهزة من ساقتها تستحثنى فيها على الفراغ من المهمة.. ولكن أية مهمة..! لقد تنبهت على نفسى وقد فقدت القدرة تماماً على إتيان أى شىء.

وخرجت تودعنى سخرية العاهرة وضحكاتها لأواجه الحياة بمشكلة جديدة فى شكل سؤال راح يحل على ذهنى كل لحظة.. هل أنا رجل؟

وإذا كنت رجلاً فلماذا لم أتصرف كما يتصرف كل الرجال فى هذه المناسبات؟

وبدا يركبني إحساس بالعار وبالنقص وبأنى لست طبيعياً.

وماقيمة الحياة إذا لم أكن رجلاً؟

وكيف أستطيع أن أتزوج.. وكيف أفتح بيتاً.. وأصبح أباً؟

وبدأت الدوامة السوداء.
وفي كل يوم تتسع الدوامة لتبتلعني.
ولا أعرف ماذا أفعل.
م. برغثي
توكره - بنغازي

ولن ينشأ هذا الموقف حينما تتزوج.. لأن علاقتك بزوجتك لن تكون
جناية خلقية ولا انتهاك حرمان.. وإنما ستكون علاقة تسودها الشرعية
والحب والافتناع والإحساس من الطرفين بأنها علاقة شريفة.

ولاشك أن علاقتك الوثيقة بأمك ونشأتك في حضنها طول
الوقت كانت سبباً في انطوائك وعزلتك وإحساسك بالخجل..
وربما كان الخجل الطاغى والعجز لحظة وقوفك أمام العاهرة سببه
أن عقلك الباطن صورها لك في صورة أمك المحرمة عليك.. ذات
الوجه الطيب الحنون الملائكى.. التي جنى عليها الزمان.

وكما يقول فرويد إن أى ارتباط شديد بين الأب والأم في
مرحلة طفولته يؤدي إلى عقدة أوديب.. وهى عقدة عشق الأم.
وهذه العقدة تكون باطنة غائرة في العقل الباطن غير واضحة
الشعور وتؤدي على الدوام إلى إحساس بالذنب والخجل..
وخصوصاً من العلاقات مع الجنس الآخر.. لأن الأم المحرمة
تصبح رمزاً لهذا الجنس كله.

أما رجولتك فأنا أطمئنك عليها.

ولاشك أنك رجل.. وإنسان طبيعي مائة في المائة.. وما حدث لك
لم يكن شذوذاً.. وإنما نتيجة طبيعية لأنك تعاطفت مع المرأة..
وتصورتها في صورة الفتاة البائسة فاستحال عليك أن تقوم بعمل
أصبحت ترى أنه إخلال تام بالشرف.. وهذا هو الخطأ الشائع عند كل رجل أنه يعتقد أن هذه العملية هى
عملية بدنية، ولكن الحقيقة أنها عملية نفسية عصبية تحتاج إلى
تهيئة نفسية خاصة.. فإذا لم تحدث هذه التهيئة فالنتيجة تكون
العجز.. وهو ليس عجزاً عضوياً بدنياً.. وليس نقصاً مرضياً.
ولكنه دائماً عجز نفسي.

الخجل.. والقلق.. والخوف.. والإحساس بالذنب. وتأتى
الضمير يشل هذه القدرة عند الرجل.. وخصوصاً عند الرجل
الحساس الرقيق الشعور.

وكلنا نعرف أننا نضحك حينما نرى الممثل الكوميدي يمثل
دور مجنون على المسرح.. ولكننا مع ذلك نفقد القدرة على

٥٠٦

في التربية الحديثة.. «وإن كبر ابنك خاويه» و«الجواز سترة
للبنات وصيانة للولد» و«المشورة في الرأي من حسن الفطن»
إلخ.. إلخ. فإذا ترك جلسة الأصحاب ودخل البيت تبخرت كل هذه
النصائح وانقلبت إلى العكس.. فلا مشورة.. ولا احترام لصغير
ولا لكبير.. لي أخ أكبر تجاوز الثلاثين اختار فتاة يحبها وتحبه وطلب من
الوالد السير في إجراءات الزواج.. لكنه رفض.. لأنها لم تأت عن
طريقه هو، فهي لذلك «بنت ملعونة مش بتاعة عيش.. واشمعنى
عاوز تتجوز اليومين دول.. لسه بدرى عليك لما تكمل خمسة
وثلاثين أربعين سنة».
وتتعجب إذا قلت لك.. إني حينما اشتري قميصًا جديدًا أخفيه عن
العيون وأبله ثم ألبسه مكرمًا حتى يبدو نص عمر لأتخلص من
الموشح الذي يستقبلني به الوالد العزيز عن المصاريف إلى ماهاش
لازمة.. والعيافة.. والوجاهة.. والظاهر إحنا بقينا خواجات.
وليس هذا حالي وحدي.. فلي صديق محترم موظف قد الدنيا
وعمره ربع قرن.. وما زال أبوه يناديه بلقب «يا واد».. ويستولى
على مرتبه ويعطيه مصروفه اليومي.. فإذا فتح فمه احتجاجًا..
صرخ الوالد في استنكار «أدى آخرة تربيتنا. خسارة شقانا
وتعبنا.. الواد ببيجح فيا».

وصديق ثان يعمل محصلًا بأحد الأفران ومنتسب في كلية وفي
العام الماضي حصل على درجة امتياز في القانون التجارى
والمحاسبة.. ومع ذلك أسمع بأذنى السيد والده يلوح يديه في وجهه
قائلًا.. «وده يفهم إيه فى الدنيا والا يعرف إيه عن المسئولية
العيل ده.. والله بعد ما أموت حايلف ع الأبواب يشحت».
وصديق ثالث غلبان صمم أبوه على تزويجه بالإكراه، من فتاة
لا يحبها ولا يطيقها لأنه يريد أن يفرح به.. «والله العظيم ثلاثة
إيمان بالله العظيم لو خرجت عن طوعى لا أنت ابني
ولا أعرفك.. وأنا يا ابني راجل كبير.. لو عشت السنة دى مش
حاعيش السنة الجاية.. وعاوز أشوفك عريس واتهنى بيك».
والعريس الغلبان طالب أيضًا وموظف. إيراده على قده.. يريد
أن ينتظر حتى يجد شريكة حياته التي يحبها وتحبه.. وحتى تتحسن
ظروفه المادية.
بالله عليك كيف يفكر هؤلاء الآباء.
وكيف نعيش معهم وهم بهذا الجمود.
عمره ع.أ.
خرطة أبو السعود
* * *
هذه الرسالة لكل أب ليستفيد العبرة.. ويأخذ درسًا في معاملة
الأبناء.. أما أنا فليس عندي ما أقوله.

وكنت أشعر شعورًا عميقًا بأن هذه المرأة هي المرأة التي طالما
حلمت بها وأردتها لنفسى.

ما السر.. ما السبب.. ماذا يشدني فيها.. لم أكن أعلم.
وتطور حديثنا.. وسألتها عن حياتها فقالت لي باختصار إنها
متزوجة من ١٥ سنة، وإن زوجها عنين ليس له في النساء، وأن
عندها عقدة نفسية من ناحية الجنس، وأنها ما زالت عذراء، وأنها
باردة تمامًا.. لا تشعر بأى رغبة أو غريزة تدفعها إلى الجنس
الآخر.

وحكت لي عن طفولتها فقالت إن أمها ماتت وهي في التاسعة
من عمرها فأدخلتها زوجة أبيها في مدارس الراهبات داخلية..
وعندما بلغت الخامسة عشرة زوجها لهذا الرجل وكان سنه في
ذلك الوقت ٢٨ سنة.

كانت هذه هي قصتها كما روتها لي.
ومضت أيام وليال كثيرة وأنا أفكر فيما قالته كلمة كلمة.
وعواظي تلح عليّ ألا أتركها لهذا الرجل الأثافي.. وأعصابي
يمزقها التفكير.

وذهبت إلى أمي وحكيت لها الموضوع كله عسى أن يكون لها رأى
أوفكرة وكان ردها أنه لا مانع من أن أتزوجها مادمت أحبها إلى هذه
الدرجة.. وأمي بالمناسبة تحبني جدًا ولا تطيق أن تراني أتألم.

النهاية.. كانت موافقة أمي هي القشة الأخيرة التي تعلق بها

حكاية سينما

أنا محام شاب. عمري ٢٨ سنة.. عاطفي، عنيد، أحب
الاستقلال في حياتي وشخصيتي.. نجحت بكفاحي وإصراري
ومثابرتي.. استطعت أن أشق طريقى بين المحامين الكبار وأن
أحقق لنفسى دخلًا محترمًا.

وليست هذه مبالغة في الثقة بنفسى ولكنها الحقيقة التي يقولها
عنى الآخرون.

بدأت مشكلتى في يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٦٢ دخلت
إلى مكتبي سيدة مع زوجها رأيتها فتسمرت في مكاني لا لجمالها
الباهر وحده، ولكن لشيء ما في نظرات عينيها شدني إليها شدًا.

واختصر لك الحكاية.. ترددت عليّ بعد هذا كثيرًا.. وتكلمنا
كثيرًا.. وشيء ما في شخصيتها كان دائمًا يصدني كلما فكرت في أن
أغازلها أو آخذ منها ميعادًا أو قبلة كما كنت أفعل مع غيرها من
النساء.. ففعلت ما أفعلت في أول لقاءنا فتركتها تذهب
كان شيء ما في عينيها يوقفنى عند حدى.. فأتببها.

تعلق الغريق.. فمضيت لتوى أهيبء الوسائل وأحطم العقبات.

استطعت أن أحصل لها على الطلاق من زوجها بعد شهرين.

ولا أطيل عليك.. تزوجتها

وكانت الليلة الأولى.. مفاجأة.

أحسست أنى أغبى إنسان فى العالم.

لم تكن عذراء.. كانت سيدة.

لم تكن باردة.. ولا عندها ذرة تعقيد من الجنس.

وإنما كانت شبة سوداوية لدرجة المرض، لا تشبع.. مشتعلة

الرغبة لدرجة الهوس.

وعلمت أنها كانت عادية طيلة الخمسة عشر عاماً.. لم تكن

مظلومة فى شىء.. ولكن المظلوم الغلبان الفدائى.. كان الرجل

التعس زوجها.

وتمنيت فى هذه اللحظة أن أرى ذلك الرجل البطل لأركع

أمامه وأستغفره.

وتذكرت أنه حينما ذهبت لأسعى لها فى الطلاق لم يقاوم ولم

يتحدث بحرف، وكل ما قاله إنه يشترط ألا تأخذ منه نفقة وبهذا

الشرط البسيط وافق على الطلاق.

كان واضحاً أنه يريد أن يتخلص منها.

وطويت هزيمتى فى قلبى.. وتجسم لى غبائى.. وجهلى.

حاولت أن أدمن السهر والخمر لأنسى المصيبة التى تنتظرنى

كل ليلة فى البيت.

وارتبكت أعمالى وأغلقت مكتبى.. ثم عدت ففتحته.

ومضت الأيام تجرنى.

انجبت طفلاً برغم أنفى.. أى والله برغم أنفى.. كنت أعطيها

فى اليوم الواحد خمس حقن للاجهاض بدون جدوى.

كلما نظرت إليها الآن شعرت أنها تسرق منى شبابى وصحتى

وعمرى.. وأنها تلقى بى إلى هاوية الغريزة الحيوانية انحدر فيها

يوماً بعد يوم.

أحسد كل شاب على حرите.

أسأل نفسى.. لماذا فعلت بنفسى هذا.. هل كنت مجنوناً.

أفكر فى الانتحار لأتخلص من هذه العبودية.. ثم أعود فأقول

وما ذنب الطفل البرىء..

بالله عليك ماذا أفعل.. لا تقل لى لقد أخطأت.

وتحاسبنى على أخطائى.. فأنا غبى وجاهل ولا يمكن أن يكون

الجاهل مسئولاً عن أفعاله.

الجهل لن يعفك من مسئوليتك.

إن المجنون الذى يضع إصبه فى النار.. يحترق إصبه.. جنونه

لا يعفيه من نتيجة خطئه.. وهذا حال الدنيا. لقد أخطأت الاختيار. كنت تحلم بامرأة جميلة وباردة تريحك بالليل والنهار.. فوقعت في نار مشتعلة تأكلك بالليل والنهار. وتذكر أنها لو كانت باردة معقدة رافضة الجنس كما كنت تتوقع لكانت كارثة أكبر.. فالبرودة ترهق أكثر. والظاهر أن خبرتك بالنساء قليلة. والسبيل إلى زواج موفق ليس هو البحث عن امرأة باردة أو امرأة نارية.

العلاقة الزوجية الناجحة هي توليفة موفقة.. كل من الزوجين يحاول بالعشرة والفهم والمحبة أن يؤلف رغباته وحاجاته على قدر طاقة الآخر ومزاجه وحاجاته.

العلاقة الزوجية مجموعة عادات يمكن تربيتها. وتأكد أنك لو طلقت زوجتك وتزوجت من أخرى فسوف تفشل أيضاً فأى امرأة يمكن أن تكون باردة ويمكن أن تكون مشتعلة.

ومن خلال العلاقة الزوجية الموفقة يستطيع الزوج أن يربي العادات التي تلائمها، كل ما في الأمر أنك لم تحاول.. وإنما اتخذت موقفاً عدائياً من البداية.. حينما لم تجد مطلبك.. وهو مطلب مضحك.. وحكاية خرافية.. الزوج العنين والزوجة التي تعيش ١٥

سنة عذراء.. حكايات سيما واضح أنها اختلقتها لتفتح بها مجال حديث معك لأنها كانت تريدك. نصيحتي لك أن تكف عن هذه المواقف الطفولية.. السهر والخمر وأفكار الانتحار.. وأن تحاول أن تفهم زوجتك.. وأن تحاول أن تجعلها تفهمك.

وتأكد أنك ستوفق في خلق علاقة عادية سوية.

أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات
ووالدتها التي تكافح في سبيل اللقمة وأختها الطالبة وأختها
الأخرى العاملة، كلهم يعيشون في غرفة واحدة في بدروم.
والبنت على مسحة من الجمال.. عطف عليها وساعدها مادياً
حينما شكت لى ظروفها، ثم دعته إلى منزلها واستقبلني أهلها
بحفاوة كبيرة.

ولكن هذه الأيام.. بدأت المشكلة.
وأخذت أتردد عليهم وأقع نفسي بأى سبب لذهابي.
وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة في نفسي تزداد بمرور
الوقت.

وأخيراً.. اشتيتها.. نعم اشتيتها.. وقبلتها خلسة.. على
السلم.. ودعوتها للخروج معي (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا
دون أن تدري زوجتي.

وهذه التصرفات تجعلني أحتقر نفسي.. وأنا الذي كنت أحرم
على عيني أن تنظر إلى امرأة غير زوجتي حتى ولو كانت ملكة
جمال.

إنى أشعر أن حياتي الزوجية.. وكياني وبيتي.. ومستقبلي كله
يتهدم.

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر في عين زوجتي..
هذا الشعور يعذبني..

ليست أفعى

أنا شاب في الثلاثين من عمري أشغل منصباً كبيراً ومرتبى
حوالى سبعين جنيهاً.. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن
زوجتي ٢٥ سنة.. وباختصار أقول لك إن زوجتي متكاملة..
جامعية.. جميلة.. موظفة.. ست بيت.. أم.. زوجة.. حبيبة.
سارت حياتي الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات
الست، لم يتخللها شجار ولا تفكير في خيانة ولا حتى نظرة مني
إلى أية امرأة.

طوال هذه المدة لم اشتبه أى امرأة ولم أفكر فى أنشى ولم يخطر
على بالى مخلوق غير زوجتى.

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامراتى.
بدأت تتسلل إلى نفسى ولا أقول إلى قلبى.. أفعى فى شكل
فتاة سنها ١٧ سنة.

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف، فهى عاملة
بسيطة مرتبها عشرون جنيهاً شهرياً.. عادية بل أقل من العادية،
ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جداً فهى تعيش مع

إني واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة.. العطف والإشفاق.. وإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة في طهارة.. والملل.. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة.

والبنت متعلقة بي جدًا وطبعًا لها حق فأنا لقطعة بالنسبة لها بالرغم من أني متزوج وعندى أولاد ولست من دينها.. وديني يمنعني من تعدد الزوجات.

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التي عرفتني بها.. ولكنني أعود فتنهار مقاومتي وأسرع إلى لقائها.

تعددت منذ صغري أن أصلى إلى ربي مصدر عزائي ورجائي.. أما الآن فإني أخجل من المثول بين يديه.. ماذا أقول له.

لا أريد منك أن تقول اتركها.. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يوماً بعد يوم وعلاقتي بالفتاة تزداد بدرجة تجعلني عاجزاً عن الاستغناء عنها.

وأنا مختار بين بيتي الذي أقدس.. وهذا الشعور الجديد الذي اكتسبته.

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر في هذه المشكلة.. أنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك لمادية وعطفك (المشكوك فيه).. وأنت استدرجتها.. وأنت الفخ الصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك.

وليس صحيحًا أنك لقطعة.. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات.. إذن سوف تجرّها خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهي بنت السبعين) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية.

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة في الزواج وفي الحب من شباب ند لها.. فمن منكم الضحية.. أنت أيها الرجل القادر القوى الغني المستغنى.. أم هي التي تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول في غرفة في البدروم. وأنت تسميها أفعى. وأنت الأفعى الذي تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب.. وفي النهاية سوف تبكي وتقول.. هدمت لى بيتي.

كفى رثاءً لنفسك.. بدون داع.. وأترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدنا فساعدنا بكرم ورجولة دون أن تحتلس منها القبلات على السلم.

وثق أنك إذا استمررت في علاقتك فسوف تنتهي حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد.

منى أن أقسم بعهد الله وبنور عيني وشبابي بأني لم أفكر في امرأته ولم اشتهيها، ولم أنظر إليها نظرة حرام. وفي رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه وأحياناً يترك الباب مفتوحاً ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش وتطور الشك في ذهنه إلى تصورات وهمية.. مرة يقول لى إنى أمسك ذراعها، ومرة يقول إنى تحسست شعرها، ومرة يقول إنى قبلتها، مع العلم بأنها امرأة فى سن أمى نصيبها من الجمال والجاهلية لا يزيد عن ٤ من ١٠.

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لى بالبقاء فى البيت إذا خرج فهو يأخذنى معه حينما يخرج فى الصباح الساعة التاسعة ولا يسمح لى بالعودة قبل الواحدة.. وفى المساء يأخذنى معه الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة.

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول الوقت ولا تخرج لقضاء أى طلب.. وإذا اكتشفت أنها خرجت لأى غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها. وأنا الآن طالب فى جامعة الاسكندرية فى السنة الثانية. ومن حسن حظى أنى أترك هذا المورستان وارتاح منه طول السنة الدراسية.. ولكن ما تكاد الاجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود العذاب والجحيم و«س» و«ج».

آخر مرة أقام معى تحقيقاً طويلاً عريضاً لأنه رأى أنى أقف بجانبها عند الثلاثة.

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتى عندما تزوج والدى.. وكان زواجه بعد أربعين يوماً من وفاة أمى - من سيده مطلقه ولها ولدان أحدهما أكبر منى بسنة.

وكانت معاملة زوجة أبى حسنة لدرجة جعلتني أقول لنفسى، لو أن أمى كانت على قيد الحياة لما عاملتني أحسن من هذه المعاملة.

وما زلت أقول هذا الكلام بعد مضى تسع سنوات على زواج أبى.

لم تكن زوجة أبى هى المشكلة إذن.. ولكن المشكلة كانت فى أبى الذى بدأت تتغير معاملته لى بعد زواجه بدرجة أفزعتنى.. فهو كل يوم يحلفنى على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه ولا أغرى امرأته.. ولو قلت لك ان عدد هذه الحلفانات اليومية بلغت عدد شعر رأسى لما كنت كاذباً.. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب فى كل لحظة بدون مبرر وبدون داع.. وهو فى كل مرة يرتاب فيها يأتى بالمصحف لأحلف عليه ويطلب

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة بينما كانت واقفة تطبخ.. إزاي أدخل عليها.. واتلصص.. وانظر إلى ساقها ومفاتها (ياريتك تشوف السيقان الغاب دول).

العائلة في خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمي بأربعين يوماً ولأنه باع أرضاً تركتها لى أمي وأنفق ثمنها.. وهذه طبعاً مسألة ثانوية لا تهمنى.. إنما المأساة في هذا التفكير الذي يفكر فيه والشك حتى حينها اترك البلد لأذهب إلى الاسكندرية تلازمي همومي وتمنعني من المذاكرة.

لا تظن أن والدي تعليم متوسط، إنه رجل متعلم تعليماً عالياً وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات.

لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيماني منعه. ماذا أفعل في هذا الجحيم الذي أعيش فيه؟

إن من يعيش في الجحيم الحقيقي هو أبوك.

أنت تشارك بنصيب المتفرج شهوراً قليلة من كل سنة، ولكن الذي يتقلب على جمر النار هو أبوك، وكل الوسائس التي يحترق فيها لا أصل لها بالطبع انها محض خياله وتصوراته.

ولكن رجلاً هذا خياله وتصوراته.. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق، والظاهر أنه تزوج في خريف رجولته، وأنه لم يعد يجد في نفسه الكفاءة التي كان يجدها في شبابه فانعكس شعوره

بالنقص إلى شك في زوجته وفي كل شاب يملك ما لا يملكه. أبوك مريض.. وحالته حالة سيكوباثية.. ويجب أن تعيد النظر في مشكلتك ولا تنظر في أنانية إلى ما تعانیه.. أنت وحدك. وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك.

- ٤- لماذا رفضت الماركسية
٤- نقطة الغليان
٤- عصر القرون
٤- القرآن كائن حَيَّ
٤- أكذوبة اليسار الإسلامي
٥- نار تحت الرماد
٥- المسيح الدجال
٥- أناشيد الإثم والبراءة

- ٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد التنازلي
٥٩- حقيقة البهائية

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

- قصص مصطفى محمود
روايات مصطفى محمود
مسرحيات مصطفى محمود
رحلات مصطفى محمود
حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

- صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

| | |
|----------------|--------------------|
| رقم الإبداع | ١٩٨٦ / ٧٩٦٠ |
| الترقيم الدولي | ISBN ٩٧٧-٠٢-١٩١٣-٤ |

١ / ٨٦ / ٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)